الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلّية الآداب واللّغات والفنون
قسم اللّغة العربية وآدابها

مذكرة لنيل شهادة الماجستير موسومة:

أساليب الإقناع في سورة يوسف

- دراسة لسانية تداولية -

مشروع العلوم اللّغوية والاتّصال

لجنة المناقشة:

د. سنية هني	رئيساً
د. محمد ملياني	مشرفاً ومقرّراً
د. العربي قلايلية	مناقشاً
د. محمّد برونة	مناقشاً

إعداد الطّالب: أحمد مزواغي

إشراف: د. محمد ملياني

السنة الجامعية: 2011-2012

الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلّية الآداب واللّغات والفنون
قسم اللّغة العربية وآدابها

مذكرة لنيل شهادة الماجستير موسومة:

أساليب الإقناع في سورة يوسف

ـ دراسة لسانية تداولية ـ

مشروع العلوم اللّغوية والاتّصال

لجنة المناقشة:

د. سنية هني	رئيساً
د. محمد ملياني	مشرفاً ومقرّراً
د. العربي قلايلية	مناقشاً
د. محمد برونة	مناقشاً

إعداد الطّالب:
أحمد مزواغي

إشراف:
د. محمد ملياني

السنة الجامعية: 2011-2012

PixelPlanet PdfPrinter Demoversion - http://pdfprinter.pixelplanet.com

شكر و تقدير

بداية الحمد لله ربّ العالمين من قبل و من بعد بأن وفّقني لإنجاز هذا البحث المتواضع.

ثمّ أتقدّم بالشكر الجزيل إلى مشرفي الأستاذ الدّكتور: ملياني محمد، الذي بذل قصارى جهده ليرى هذا البحث النور، و الذي لم يدّخر جهدا في تقديم ملاحظاته القيّمة و توجيهاته السّديدة من أجل تقويمه و إصلاحه، فجزاه الله عنّي خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أشكر الأساتذة الذين مدّوا لي يد العون و المساعدة سواء بالكتب أو التوجيهات ، و منهم : د/ عشراتي سليمان، د/ برقان محمد، د/ زاهر عواض الألمعي، د/ صديقي حسين، د/ بوحديبة فاروق، د/ عيسى رأس الماء، د/ بن براهيم إميمون، أ/ زقاوة أحمد، أ/ حماش محجوب، أ/ حمداش الحاج، أ/ مخناش كمال، أ/ عزّ الدين عبد العزيز، أ/ كوديش عمّار .

فجزاهم الله خيرا و بارك فيهم جميعا

إهداء

إلى التي حملتني وهنا على وهن، و غمرتني بعطفها و حنانها و لم تبخل عليّ بتضرّعها و دعائها.. أمّي الحبيبة، أدامها الله لنا ذخرا و رزقها الصّحة و العافيـــة و سعادة الدّارين.

إلى جـــــــدّتي الكريمة أطال الله في عمرها و فتح لها أبواب رحمته.

إلى زوجتي و أولادي : عبير و هاجر و محمد الطّيب و أمينة، و إلى أبناء أختي : أبو بكر و عبد القادر و محمد و آدم، و ابن أختي نصر الدّيـــن،
و إلـــى الكتكوتتين ابنة أخي و ابنة أختي : خديجة و مريم، وفّقهم الله جميعا ليكـــونوا من أهـــل العلم و التّقوى و الصّلاح.

إلى أخوتي و أخواتي، و أعمامي و عمّاتي ،و أخوالي و خالاتي ، بارك الله فيهم جميعا، إلى كلّ من علّمني حرفا من الصفّ الابتدائي إلى الجامعة.

إلى جميع أصدقائـــــي و كلّ زملائـــي في العمل بثانوية واريزان ، أساتذة و عمّالا و إداريين.

إلى كلّ محبّ و دارس لكتاب الله -عزّ و جلّ-.

أهدي هذا العمل المتواضع

و ختاما أقول: اللهمّ اجعل أجر و ثواب هذا العمل في ميزان حسنات والدي الحبيب - رحمه الله تعالى- الذي حفّزني و شجّعني على الدّراسة و التّعلّم منذ نعومة أظافري، و لم يدّخر جهدا لأحصّل و أنجح في حياتي العلمية و العملية.
فاللهمّ جازه عنّي خير الجزاء ، و اجعله من ورثة الفردوس الأعلى- آمين-.

مـقدّمـــــــــــــــــة

إنّ القرآن الكريم هو آخر الرّسالات السّماوية التي أنزلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على قلب نبيّه المصطفى محمّد – صلّى الله عليه و سلّم – خاتم النبيّين و المرسلين ليبلّغها إلى العالمين ، و يرسي بها قواعد الدّين الحقّ ، تعاليم الإسلام السمحاء فيدعو النّاس إلى توحيد الله – عزّ و جلّ – و عبادته ، و طاعة أوامره ، و ينهاهم عـــن الشـــّرك و الكفر و العصيان ، و يحذّرهم من الشيطان ليسعدوا في الدّارين و يبشّرهم بالجنّة ثوابا للمتقين ، و ينذرهم من النّار عقابا للكافرين.

و القرآن رسالة شاملة، كتاب دين و دنيا، إذ لم يبيّن للنّاس تعاليم الدّين فحســـب بل اهتمّ بتنظيم شؤونهم الدّنيوية، و رسم لهم معالم التحضّر و السّـــؤدد و الانتصار في مختلف مجالات الحياة؛ السيّاسيّة و الاجتماعيّة و الاقتصاديـــّـــة و العلمـــــيّة...كما بيّن لهم سبيل النّجاح و الفلاح في الآخرة باعتبارها دار خلـود و بقاء.

و لكي يحقق القرآن الكريم هذه المقاصد السّامية، و الغايات النّبيلة، و المناهج القويمة، و القيم الرّفيعة، اعتمد أساليب الإقناع المختلفة بتقديم الأدلّة و البراهين الساطعة و سوق الحجج الدّامغة.

و لعلّ القصص القرآني باعتباره قسما و محورا من محاور القرآن الكبرى قد اشتمل في سرده لأخبار الأنبياء و الرّسل و الصالحين و الأمم الغابرة على العديد من هذه الأساليب بغرض الاعتبار و الاتّعاظ و استلهام الدّروس ، و لاسيما قصّة يوسف ـعليه السّلامـ موضوع دراستي و بحثي التي تعدّدت و تنوّعت أساليبها الإقناعيّة من خلال الحوار الذي دار بين شخصيّاتها و الأحكام التي تضمّنتها ، فمنها ما هو لغوي كأساليب التّوكيد، التّكرار و الاستفهام.. و منها ما هو عقليّ منطقي كالاستدلال و المحاجّة، و منها ما هو نفسيّ وجدانيّ يخضع للتّأثيرات النّفسيـــّة و الانفعالات العاطفيّة، كحالات الحبّ و الكره و الحسد و الغيرة و الخوف و القلق و الحزن...، و تتداخل كلّ هذه الأساليب الإقناعية –على اختلافها و تنوعّهـــا– و تتكاثف و تشكّل طرقا استدلاليّة و أنماطا حجاجيّة موحّدة تخدم الموضـــــــوع و المعنى المراد تبليغه و الغاية المتوخّاة من تبليغه،

كون هذه الأساليب تصب - جميعا- في قالب واحد و وعاء واحد - إن صح التعبير- ألا و هو اللّغة باعتبارها الوسيلة الأساس و الأهمّ للتّواصل ، و الحامل المادّي لكلّ حوار أو جـدل أو كلام بصفة عامّة.

و أمّا عن أهميّة و أسباب اختياري للموضوع فتتلخّص فيما يلي:

1- رغبتي الشديدة و الملحّة في دراسة كتاب الله – عزّ و جلّ – للاستفـــادة و الاستزادة من إعجازه اللّغوي، بتذوّق أساليبه التّعبيرية المتمثّلة في عذوبة ألفاظه و جزالتها و دقّة دلالتها ، و في سبك تراكيبه، و حسن صياغتهـــا و جماليّة بنائه القصصي في سرد الأحداث و نسجها، و في دقّة وصفـــه و بلاغة تصويره و قوة بيانه ، و في التطلّع إلى معرفة بعض طرقه الحجاجيّة ، و الاستدلاليّة و أساليبه الإقناعيّة.

2- و لمّا كان القرآن رسالة شاملة و خالدة ، و يشتمل على جميع عناصر العمليّة التبليغيّة ، و كان مجال تخصّصي ، هو العلوم اللّغوية و الاتّصال الذي يهتم بهذا النّوع من الدّراسات ، وقع اختياري على سورة من ســوره و قصّة من قصصه المتمثلة في **(سورة يوسف)** للوقوف على أساليب الحجاج و الإقناع التي تضمنتها، و للكشف عن بعض مواطن الجمال فيها كونها جاءت مميّزة – نوعا ما – عن باقي القصص القرآني، بعرضها لقصّة يوسف – عليه السّلام – كاملة وفق نسيج واحد، و محكم للأحـــــداث من بدايتها بخلاف بعض الأنبياء و المرسلين الذين جاءت قصصهم موزّعة في كثير من سور القرآن الكريم كقصّتي موسى و عيسى – عليهما السّلام-.

3- الاطّلاع على مختلف أشكال الحوار، الذي مورس بين شخصيّات قصّة **يوسف** ، نظرا لأهميّته التّواصليّة، و الإقناعيّة و باعتباره يشكل مظهرا أخلاقيّا و سلوكا حضاريّا في تواصل الأفراد و الشعوب و الأمم مع بعضها حيث أصبح يطلق اليوم على تواصل الشعوب و الأمم و تحاورها **(حوار الحضارات)**.

4- الاستفادة من البناء القصصي **(لسورة يوسف)**، و من أساليبها الحجاجيّـــة و الإقناعيّة للنّهوض بالقصّة الفنيّة العربيّة و تطويرها بشكل خاص، و للرّفع من مستوى الفنون الأدبيّة الأخرى عموما.

5- إمكانيّة استغلال الطّرق الحواريّة و الأساليب الإقناعيّة و الأشكال الحجاجيّة التي اشتمل عليها القرآن الكريم بصفة عامّة و سورة يوسف بصفة خاصّة في الدّعوة إلى الله – عزّ و جلّ- ، و تبليغ و نشر الرّسالة الإسلاميّة.

6- الكشف عن القيم الساميّة و المقاصد النّبيلة و الأخلاق الكريمة و العـــــبر و الدّروس التي اشتملت عليها سورة يوسف.

7- الاستفادة من أشكال الحوار و أساليب الإقناع القرآنيّة في لغة الحـــــوار و التّعامل اليوميّ بين النّاس، و في تطوير مناهج و طرق التّدريس و التّعليم لديهم ، و لتبليغ و توصيل الأفكار و الدّروس و الآراء و وجهات النّظـــر في أسرع الـأوقات و بأسهل الطرق .

وحتى يؤتي هذا البحث ثماره و يحقق نتائج مرضيّة ارتأيت أن أقسّمه إلى أربعة فصول: فصلان نظريّان ، حاولت من خلالهما التدرّج للوصول إلى طرح و طرق موضوع الإقناع كإطار عام لهذه الدّراسة، و باعتباره عنصرا أساسيا و فعّالا في نجاح العملية التواصليّة، و فصلان تطبيقيّان، حاولت فيهما إبراز مختلف أساليب الإقنـاع و طرق الحجاج و الاستدلال التي اشتملت عليها **(سورة يوسف)** كموضوع للبحث.

فأمّا **الفصل النّظري الأوّل** فعنونته بـ «**علـــــم الاتّصال : دراسة في الأســـــس و المفاهيم** »، و تناولت هذا الفصل بالدّراسة ، كون الإقناع هو غاية من غايات الاتّصال و هدفا من أهدافه، إذ يساهم في نجاح العمليّة الاتّصـــــــاليّة أو التبليغيّة، فهو - إذن- جزء لا يتجزأ منها.

تطرّقت في بدايته إلى تحديد مفهوم الاتّصال لغة و اصطلاحا، من خلال تعاريف علماء اللّغة و الاتصال و علم الاجتماع ، و علم النّفس...، ثم تعرّضت لمفهوم

الاتّصال عند العلماء و الباحثين العرب قديما و حديثا، كمفهومه عند الجاحظ و ابن خلدون و السّيوطي و غيرهم.

و عرّجت بعد ذلك إلى تحديد بعض الألفاظ التي جاءت في القرآن الكريم لتـدلّ على معنى الاتّصال كالتّبليغ، و التّعارف ، و البيان لانتقل – بعد ذلـــــك – إلى توضيح الفرق و الاختلاف الدّلالي بيـــن مصطلحـــــي الاتّصـــــــال و التّواصـــــــل ثمّ انتقلت إلى ذكر أنواع الاتّصال و أهدافه ، ثمّ عرضت نموذج (**هارولد لاسويل HAROLD LASSWELL**) لعمليّة الاتّصال، أسقطت هذا النموذج - في شكل مخطط- على الخطاب القرآني , بعد ذلك تطرقت إلى مفهوم العمليّة الاتّصالية عند علمـــاء و مهندسو الاتّصال من خلال نموذج (**شنون SHANNON**) **و (ويفـر WEAVER).** و أخيرا تطرّقت إلى مفهوم الاتّصال في اللّسانيات الحديثة و بالضـــّـــــبط عند (**فرديناند دي سوســـير Ferdinand de Saussure**) و (**رومان جاكبوسن Roman Jakobson**).

و أمّا **الفصل النظري الثاني** الموسوم بـ :«**الإقناع :استراتيجياته و أساليبه**» فحاولت فيه – إن صحّ التّعبير – التّأسيس للدّراسة التّطبيقيّة على سورة يوســف من خلال الإلمام بمختلف الأساليب الإقناعيّة و الطرق الحجاجيّة و الاستدلالات المنطقيّة الموظّفة سواء في النّصوص القرآنيّة أو النّصوص الأدبيّة بصفة عامّة.

وتطرّقت بداية إلى تحديد مفهوم الإقناع لغة واصطلاحا من خلال سرد وتقديم بعض التّعريفات والأقوال لعلماء غربيين وعرب .ثم انتقلت إلى عرض استراتجيات الإقناع الثلاث بالشرح والتّحليل والتّمثيل والاستشهاد من القران الكريم ،و أولى هذه الاستراتجيّات ، الاستراتجيّة الديناميّة النّفسيّة ويعتمد فيها لتحقيق الإقنـــــاع على التّأثيرات النّفسيّة ،و الانفعالات العاطفيّة ، ثم الاستراتجيّة الثقافيّة الاجتماعية التي تبنى على الموروث الثقافي للمجتمع كالأعراف والعادات والتقاليد،بالإضافة إلى ما يتعلمه الفرد ويتطبّع عليه داخل المجتمع، من ظواهر وسلوكيّات ، تسهم كلّها في عمليّة التّأثير والإقناع ،وأخيرا استراتجيّة إنشاء المعاني التي تعتمد أساســـا على اللّغة لتغيير معان أو سلوكيّات سابقة لدى الفرد أو تعديلها

ثم أشرت إلى بعض أساليب الإقناع البلاغيّة والمنطقيّة كأساليب التّكرار، والتّوكيد، والاستفهام التّقريري والإنكاري،والتّمثيل ، والحوار والجدل والحجاج ، والاستدلال والاستقراء والقياس ،و القص ،و الاستنتاج .... ،وتناولت كل ذلك ـ أيضا ـ بالشرح والتّحليل والاستشهاد بنماذج قرآنيّة ، أو بعينات من موروثنا الأدبي .

وبعد هذا الغرض النّظري ، باشرت الدّراسة التّطبيقيّة ـ التي تعتبر لبَّ الموضوع ـ لأعالج الفصل الثالث المعنون بـ: «البلاغة وأساليبها الإقناعيّة في سورة يوسف».

و بدأت بدراسة الحوار الذي دار بين شخصيّات قصّتها، نظرا لأهميّته في العمليّة الإقناعيّة إذ يحمل في ثناياه مختلف الأساليب البلاغيّة والطرق الحجاجيـّـــــة و الاستدلالات المنطقيّة ، و ركّزت على بعض المشاهد التي اختلفت فيها طرق الحوار باختلاف المواقف و الأحوال، فقد تتغير لغة الحوار و نبرة الصّوت من حال إلى حال ، و قد تزداد أو تقلّ فيه أساليب الإقناع و الحجاج من موقف إلى آخـــر ثم تناولت بالدّراسة مختلف الأساليب البلاغيّة التي اشتملت عليها السورة كالتّكـرار و التّوكيد و الاستفهام و أغراضه و بخاصّة غرض التقرير و الإنكار، مبيّنا أهميّتها في توصيل و تبليغ الرّسالة موضحا أهميتها الإقناعيّة ، ثم انتقلت لأسلوب الإضمار أو الإيجاز بالحذف، و وضّحت أهميّته في جعل المتلقّي يعمل عقله لاستنتاج و بناء تلك المشاهد المحذوفة ،وأثر ذلك على نفسيّته من النّاحيّة الجماليّة و الإقناعيـّـــة ثمّ تطرقت للتناسق الفنيّ داخل السّورة ، المتمثل في تجاور الألفاظ و العبـــارات و انسجامها و وضّحت تأثيرها في نفسيّة المتلقّي.

و أمّا **الفصـــل الرابع** فعنونته بـ «**الاستدلال و المحاججة في سورة يوسف**» ، و بدأت بتقديم تعريف موجز لكلّ من الاستدلال و المحاججة حتى أوضّح الفرق بينهمـــا. ثم انتقلت إلى عرض بعض الصور الحجاجيّة ، و طرق و أساليب الاستدلال التي اشتملت عليها قصّة يوسف – عليه السّلام- و هي:

1- حجاج إخوة يوسف لأبيهم قصد إقناعه بفكرة اصطحاب يوسف معهم.

2- الاستدلال و المحاججة في قضية مراودة امرأة العزيز ليوسف عن نفسه.

3- حجاج امرأة العزيز لنسوة المدينة، حتى تردّ كيدهنّ.

4- الاستدلال و الحجاج في الدّعوة إلى الله - سبحانه و تعالى- باختيار الظرف و الموقف المناسبين للتبليغ.

5- المحاججة لإثبات براءة يوسف أمام الملك، و شهادة النّسوة على حسن خلق يوسف و عفّته و اعتراف امرأة العزيز بخطئها ، و صدق يوسف -عليه السّلام-.

6- و أخيرا حجّة يوسف – عليه السّلام – للإبقاء على أخيه.

واعتمدت في دراستي هذه المنهج اللّساني التّداولي لأنّه الأنسب لموضوع البحث فالتّداوليّة نظريّة للتّواصل و الإقناع معا، إذ لا تهتّم باللّغـــة كأداة اتصـــال و تواصل فقط و إنّما تدرس كلّ ما يحيط بالفعل الكلامي من مؤثـــرات نفسيـــّة و ثقافيـــّـــــة و اجتماعيّة و من مبادئها: الحوار، الحجاج، السيّاق، الافتـراض المسبـــــــــق و الإشاريات ، و الأفعال الكلاميّة، و هذه المبادئ كلها تخدم موضوع الإقناع.

و لقد اعتمدت في انجاز هذا البحث على جملة من كتب التّفاسير و أخصّ منها بالذكر:

- تفسير ابن كثير (للإمام ابن كثير).
- الكشّاف (للزمخشري).
- تفسير التحرير و التنوير (الطّاهر بن عاشور).
- صفوة التّفاسير(علي الصّابوني).
- تفسير الشعراوي(الإمام الشّعراوي).

كما استفدت من بعض الكتب و الدّراسات التي اهتمّت **بسورة يوسف** و منها:

- كتاب « في التذوّق الجمالي لسورة يوسف» (لمحمد علي أبو حمدة).
- كتاب « سورة يوسف، دراسة تحليلية» (لأحمد نوفل).
- كتاب « سورة يوسف، قراءة نفسيّة» (لمصطفى مولود عشوي).

- كتاب « لغة الحوار في سورة يوسف، دراسة أسلوبيّة» (لأحمد جمال الدّين).و غيرها من المصادر و المراجع التي أثرت البحث و أضفت عليه طابع العلميّة.

و بعد أن تعرضت لأهم الأغراض والنتائج المستنبطة من هذه الدراسة وتقديم بعض الاقتراحات والتوجيهات في خاتمة هذا البحث،ذيلته بملحق ضمنته نص سورة يوسف نقلا عن المصحف الشريف حتى أمكن القارئ أو الدارس من الرجوع إليها وأسهل عليه عمليات الفهم والنقد والمناقشة دون أن يلجأ إلى المصحف، وحتى أضعه في جو القصة قمت بتعريف السورة وذكر أسباب نزولها، وتلخيص أهم أحداثها.

و في الأخير لا يسعني إلاّ أن أقول بأنّ هذا البحث ما هو إلا محاولة متواضعة و جريئة للخوض في كتاب الله – سبحانه و تعالى – لاستنباط و دراسة أساليب الإقناع في **(سورة يوسف)** ، فإن أصبت فمن الله و إن أخطأت فمن نفســـي ، و الله الموفق و المستعان

الفصل الأوّل : علم الاتّصال : دراسة في الأسس و المفاهيم

يعتبر الاتّصال بوصفه ظاهرة اجتماعيّة حيويّة من أقدم أوجه النّشاط الإنسانيّ منذ أن خلق الله ـ سبحانه و تعالى ـ سيّدنا آدم ـ عليه السّلام- , فهو ضرورة حتميّة في تكوين المجتمع الإنسانيّ، إذ كيف يمكن أن يعيش الإنسان دون أن يتّصل مع غيره ؟! و هل يمكن أن يكون هناك مجتمع دون اتّصال أو تواصل بين أفراده ؟! هذا ضرب من المستحيل، إذ لا يمكن للفرد أن يعيش دون أن يتّصـــل و يتواصل مع غيره ، فحاجته لذلك كحاجته للهواء و الماء و الغذاء ليحافظ على وجوده و بقائه . فالإنسان اجتماعيّ بطبعه، و لفظة اجتماعيّ تقتضي التّعارف و التّعايش و التّعاون حفاظـــا على البقاء و الاستمرار و التقدّم و الازدهار.

فالاتّصال ـ إذن- ظاهرة أساسيّة لتعارف النّاس و استمرار حياتهم و تقدّمهـــا و في هذا يقول الله -عزّ و جلّ-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (1).

و كلمة "**اتّصال** " تعدّدت مفاهيمها و تنوّعت مدلولاتها الثّقافيّة باختلاف المرجعيّات العلميّة و تعدّد العلماء و الباحثين و الدّارسين الذين تناولوا هذا المصطلح في شتّى التّخصّصات (2) حيث يستخدمها مهندسو الاتّصـــال للإشـــارة إلى الهاتف والتّلغراف والرّاديو ، و يستخدمها الأطبّاء في الإشـــارة إلى الأمـــــــــراض المعدية، ويستخدمها علماء الاجتمـــاع في الإشـــارة إلى العمليّات التـــــي يؤثّر بها و عن طريقها الأفراد فيمن حولـــهم و ينظر علماء السيّاسة إلى المجتمـــعات على أنّها نظم اتّصال(3).

(1) الحجرات الآية 13
(2) ينظر: فضيل دليو : مقدمة في وسائل الاتّصال الجماهيريّ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1998 ص17
(3) ينظر: كرم شلبي : معجم المصطلحات الإعلامية ط(1) دار الشروق بيروت 1989 ص 121

- يستنتج من هذا الكلام أنّه على الرّغم من اختلاف و تعدّد معاني و دلالات لفظة "**اتّصـــال**" في شتّى التّخصّصات إلاّ أنّها تشترك جميعا في أمر واحد و تصـــبّ في إناء واحد، ألا و هو علاقة الإنسان بغيره، و ارتباطه بـــــه و مشاركته له مما يؤكّد اجتماعيّة الإنسان.

1 ـ مفهوم الاتّصال:

كلمة "**اتّصال**" مشتقة من مادّة "**وصل**" التي تعني أســـاسا الصّـــلة و بلوغ الغاية نقول: «وصلت الشّيء وصلا و صلة... و الوصل خـــلاف الفصل اتّصل الشّيء بالشّيء يعني لم ينقطع، و وصله إليه و أوصله إليه أنهاه إليه و أبلغه إيّاه»[1] و وردت لفظة "**اتّصال**" (Communication) في القاموس الفرنسي بمعنى :

1 -عملية "**اتّصال**" أو "**تحاور**" (Action de Communiquer).

2 -رأي، معلومة (Avis , Renseignement).

3 -محادثة هاتفيّة، (Conversation téléphonique).

4 -وسيلة ربط (Moyen de liaison) [2].

و هي في الانجليزية مشتقّة من الكلمة اللاّتينية (communis) الّتي تعني الشّيء المشترك و فعلها (communicare) أي؛ يذيع و يشيع [3]، أو (Communicate) بمعنى : نقل ،أوصل ، بلّغ [4].

و أمّا «الاتّصال» في الاصطلاح هو انتقال الأفكار و المعلومات بين النّاس داخـــل نسق اجتماعـــيّ معيّن، و قد يحـــدث بين شخصين أو أكثر، بين جماعة أو جمهور. يقول **(كارل هوفلاند)** (Karl hoffland) [5]:«الاتّصال هو العمليّة التي ينقل بمقتضاها الفرد (القائم بالاتّصال) منبّهات (عادة رموز لغويّة) لكي يعدّل سلوك

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2،1969.ص252

(2) Larousse – Dictionnaire de Français, Euro livres à Manche court. France 2005/ p : 81

(3) محمد سيد محمد : الإعلام و اللغة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1982 ، ص23

(4) محمد زيد محمود عزّت، قاموس المصطلحات الإعلام (إنجليزي - عربي) ط1 ،دار الشروق بيروت 1984 ,ص85

(5) **كارل هوفلاند**: عالم النفس الأمريكيّ ولد في 12 يونيو 1912 في شيكاغو ، و توفي 16 أبريل 1961 في نيو هافن (New Haven)

الأفراد الآخرين (مستقبلي الرسالة) » [1]، و حســـب **(تشارلز كولي)** (Charles Colley) [2]:« الاتّـــــصال هو ذاك الميكـــــــانيزم الذي من خلالــه توجد العلاقات الإنسانيّـــة ، و تنمو و تتطوّر الرموز العقليّة بواسطة وسائل نشر هــذه الرّمـــوز عبر المكـــان ،و استمرارها عبر الزّمان ، و هي تتضمّن تعبيرات الوجه و الإيماءات و الإشارات و نغمات الصّوت و الكلمات و الطّباعة و الخطوط الحديديّة و البرق و الهاتف» [3] ويرى عالم الاجتماع **(شارلز ورايت)** [4] « إنّ الاتّصـــال هو عمليّة نقل معنى بين الأفراد »[5].

ما يمكن استخلاصه من كل هذه التّعريفات هو أنّ الاشتراك في معان و رموز محدّدة، شرط لتحقق و استمرار التّواصل بين الأفراد ، و تحقيق التّفاعل من خلال تبادل الأدوار بين المرسل و المرسل إليه أثناء العمليّة الاتّصاليّة حيث يصبح المرسل إليه مرسلا ، و المرسل مرسلا إليه.

فالاتّصال -إذن- هو عمليّة التّأثير و التّأثّر التي تحدث بين المرسل و المرسل إليه أثناء العمليّة الاتّصاليّة - و هي المعبّر عنها بالتّفاعل - فتؤدّي إلى التّواصل و التّفاهم بينهما مهما اختلفت أشكال الاتّصال و أنواعه. و قد يؤدّي هذا التفاعل بين طرفي الاتّصال إلى حدوث عمليّة الإقناع.

2 ـ الاتّصال عند العرب:

استقطب مفهوم "**الاتّصال**" اهتمام الباحثين و الدّارسين العــرب قديمـــا وحديثا - مفسّرين ولغويّين ـ فأخذ مكانة في الدّراسة العمليّة التي لا تقــلّ أهميـــّة عن باقي

---

[1] جيهان أحمد شتى: الأسس العلمية لنظريات الإعلام ،دار الفكر العربي القاهرة 1978, ص 50

[2] **تشارلز كولي**: 1929-1864 ، عالم اجتماع أمريكي ساهم في نظرية التفاعل الرمزي و كذلك في عملية التنظيم الاجتماعي ، كما قام بتحليل أنواع الجماعات الاجتماعية و كذلك تصنيفها 'لى 1- جماعات أولية 2- جماعات ثانوية. www.wikipedia.org

[3] محمود عودة والسيد محمد خيري : أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي بيروت : دار النهضة العربية 1988ص7

[4] شارلز رايت: (1916-1962) ، استنادا إلى منظوره النقدي في علم الاجتماع ، اعتبر أنّ كل علم اجتماعي سياسي بالضرورة و أ، عليه أن يغيّر المجتمع و أن يكافح الأحكام المسبقة.www.wikipedia.org

[5] نبيل عارب الجردي:مقدمة في علم الاتصال مكتبة الإمارات 1985,ص21

أبحاثهم؛ كونه يعتبر الأسلوب الناجع في نشر الدّعوة الإسلاميّة وتثبيت العقيدة و الدّفاع عن الرّأي و وسيلة لإيراد البيانات والاستظهار بالأدلّة. فقد أضحى حافزا لقيام الحضارة و تثبيت الهويّة ، حيث يقول **(ابن خلدون)** : «يشتمل البيان البحث عن الدّلالة التي للهيآت و الأحوال» [1].

والحديث في البيان واسع و لا حصر له، ذلك لأهميّة البلاغة في نجاح العمليّة الاتّصاليّة التي تتماشى و التّقنيّات الحديثة في ظلّ الاتّصال الجماهيري. فالدّلالة الظّاهرة على المعنى الخفيّ ، هي البيان ، و من ذلك بحث المفسّرون واللّغويون العرب في وضع إطار للاتّصال ـ و هو ما يعرف بالبلاغة و البيان عندهم- و في هذا يقول أحدهم : « كان للعرب العاربة التي نزل بها القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم ، فعلقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنّقص من حروفها، و استعملتها في أشعارها ، و محاوراتها ، حتى جرت مجرى العربيّ الفصيح و وقع بها البيان ، و على هذا الحدّ نزل بها القرآن» [2].

فالكلام المنطوق و دواوين الشّعر عند العرب القدامى -إذن - هي التي كانت تمثّل مظاهر الاتّصال و أساليبه. و لتجلية المعنى و تبليغ الرّسالة للمتلقّين و إقناعهم بمضمونها و فحواها، اعتمدوا البلاغة و البيان.

و على هذا الأساس ارتبط مفهوم الاتّصال عندهم بالبيان ، بل كان البيان ذاته ، حيث قال **(الجاحظ)** : « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجاب دون الضّمير، حتّى يفضي السّامع إلى حقيقته، و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، و من أي جنس كان ذلك الدّليل

(1) عبد الرحمن بن خلدون : "المقدمة"ط3 ، دار الفكر العربي بيروت 2003 ص 550
(2) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ط1 دار الكتاب اللبناني بيروت 2003، ص 334

لأنّ مدار الأمر و الغاية التي يجري إليها القائل و السّامع ، إنّما هو الفهم و الإفهام فبأيّ شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع» [1].

- يفهم من هذا التّعريف أنّ الغرض من الاتّصال؛ ه و تحقيق الفهم و التّفاهم بين طرفي الاتّصال -القائل و السّامع- مهما اختلفت و تنوّعت الأدلّة و الحجج.

و قد حاول بعض الباحثين و الدّارسين العرب المعاصرين تقديم و إعطاء تعريفات للفظ "**الاتّصال**" ، أذكر منها ما جاء في قول **(الطنّوبي)** ، حينما يقول: «الاتّصال ما هو إلاّ عمليّة توصيل المعاني ، و هو يتضمن كلّ الوسائل و الطّرق التي يمكن بها لعقل بشريّ غزو بشري آخر ، و التّأثير فيه ، و هذا بالتّأكيد يتضمن بالإضافة إلى الكلمة الشّفوية و المكتوبة و الموسيقى و المسرح والفنون التّصويرية كلّ أنواع السّلوك الإنسانيّ» [2].

لم يخرج **(الطنوبي)** في تعريفه هذا عمّا جاء في تعريف **(الجاحظ)** للبيان و كأنّي به حاول أن يشرح و يوضّح ما جاء فيه ، إلاّ أنّه أضاف عن الكلام الشّفويّ و المكتوب أشكالا و أساليب أخرى للاتّصال غير مباشرة و هي الموسيقى و المسرح و الفنون التّصويريّة و كلّ أنواع السّلوك البشريّ لتبليغ الرّسالة إلى المتلقّين و التّأثير فيهم و إقناعهم.

و عرّف **(إبراهيم إمام)**الاتّصال على أنّه« حامل العمليّة الاجتماعيّة و الوسيلة التي يستخدمها الإنسان لتنظيم و استقرار و تغيير حياته الاجتماعيّة و نقل أشكالها و معناها من جيل إلى آخر عن طريق التّعبير و التّسجيل و التّعليم» [3].

---

(1) الجاحظ أبو عثمان: البيان و التبيين ج(3) ط(4) المكتبة التجارية الكبرى القاهرة 1956 ، ص77

(2) محمد عمر الطنوبي : نظريات الاتصال ط(1) مكتبة الإشعاع الفنيّة مصر 2001، ص12

(3) عاطف عدلي، العيد عبيد: مدخل إلى الاتصال و الرأي العام ط(3) دار الفكر العربي القاهرة 1999، ص15

لقد حاول صاحب هذا التّعريف التّركيز على نوع من أنواع الاتّصال ألا و هو الاتّصال الجماهيريّ، و هذا بتبيان و توضيح أغراضه و غاياته المتمثّلة في تغيير الحياة الاجتماعيّة و تحسينها و تطويرها عن طريق التّعليم و التّأريخ، و مختلف أشكال التّعبير و التّبليغ.

وترى **(جيهان أحمد رشتي)** أنّ الاتّصال هو : « العمليّة التي يتفاعل بمقتضاها متلقّي و مرسل الرّسالة ، و في هذا التفاعل يتمّ نقل الأفكار و المعلومات بين الأفراد عن قضيّة معيّنة أو معنى مجرد أو واقع معين» [1].

يتّضح للدّارس من خلال هذا التّعريف أنّ صاحبته حاولت أن تركّز فيه على علاقة التّفاهم و المشاركة التي تحدث بين المرسل و المرسل إليه، فيتمّ بمقتضاها تبادل الأفكار و المعلومات بينهما.

و أمّا **(زهير إحدادن)** فيرى في كتابه «مدخل لعلوم الإعلام والاتّصال »: «أنّ الإنسان يحتاج إلى الاتّصال ، فقد اهتمّ العلماء بمعرفة كيف يتمّ هذا الاتّصال و ما هي الوسيلة التي يستعملها الإنسان ليتّصل بغيره ، و يقع تبادل المعاني فإنّه يبدو أنّ الوسيلة الفطريّة السّليمة هي الكلام ، غير أنّ الدّراسات حول هذا الموضوع بيّنت أنّ الكلام أو اللّغة ، و إن كان وسيلة سليمة للتبادل ، فهو غير كاف،و توجد وسائل أخرى للاتصال تستعمل بدون ألفاظ، و تستعمل كذلك كإفصاح أكثر للكلام» [2]

أشار صاحب هذا التّعريف إلى وسائل و أنواع أخرى للاتّصال غير اللّفظية أي التي لا تعتمد على لغة الكلام كالرّسومات و الإشارات و الموسيقى ، فتكون أكثر تعبيرا ، و أقوى تأثيرا من لغة الكلام ، بالإضافة إلى تلك الحركات

(1) جيهان أحمد رشتي: الأسس العلمية لنظريات الاتصال ص13
(2) إحددان زهير: مدخل لعلوم الإعلام و الاتصال,المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (دت) ص11

و الإيماءات التي تصـــاحب الكلام ، فتـــزيد في عملية التّوضيح و الإفهـــــام و تقريب المــعنى إلى الأذهان.

ما يمكن استخلاصه بعد عرض هذه التّعريفات لمفهوم الاتّصال هو اتّفاقها جميعا على أنّ الاتّصال هو تبادل أفـكار و معلـومات و خبرات بين مرسل و مرسل إليــه و على هذا الأساس شمل التّوافق بينها تحديد ثلاثة عناصر أساسيّة للعملية الاتّصالية ألا و هي : المرسل و المرسل إليه و الرّسالة. إنّ التباين فيما بينها يظهر نوعا ما في تعداد بعضها لأساليب الاتّصال و أشكال التّواصل و التّعبير المختلفة المباشرة و غير المباشرة، اللّفظية و غير اللّفظية، حيث صنّف بعضهم بعض الفنون الإنسانية مثل المسرح و الموسيقى و الرّسم كأدوات و أساليب تعبير و اتّصال. فهي و إن كانت غير مباشرة إلاّ أنّها قد تكون أقوى تأثيرا و أكثر إقناعا من أساليب الاتّصال المباشرة كالخطب و المحاورات و المناظرات و وسائل الاتّصال الجماهيرية كالتّلفاز و المذياع و الجرائد.

3 ـ الألفاظ الدّالة على معنى الاتّصال أو الإعلام في القرآن الكريم:

لم تـــرد كلمة "اتصال" في القرآن الكريم بلفظها و إنّما وردت بمرادفاتها التـــي تـــؤدّي معناها ، و هي: « لفــظة التّبليغ و مشتقّاتها، و التّعارف ، البيان ». و أمّا "الإعلام" فلم يرد في القرآن الكريم ـ أيضا ـ و إنّما وردت بعض مضـــامينه من خلال اشتقاقات كلمة "علم" و في الوقت نفسه، لم يرد الإعلام «كوسيلة لأداء رسالات الأنبيّاء» [1] ، و إنما ورد مصطلح التّبليغ. فما هو التّبليغ؟

التّبليغ: الاسم من الـــــبلاغ ، و هــو ما بلغ من القرآن و السنّة. و ذووا الــبلاغ والتّبليغ؛ هم الّذين بلّغونا [2]. و **البلاغ** : الكفاية و الوصول إلى الشّيء ، **ما بــلغك** :

[1] مازن مرتضى: " الإعلام و التبليغ" قراءة في المصطلح و الوسائل ، موسوعة أطلس " الشبكة المعلوماتية ـ انترنيت ـ
[2] ابن منظور ، لسان العرب ـ مادة بلغ ـ الجزء الأول ، مصدر سابق ص 255

ما يتبلّــغ به و يتوصّل إلى الشّيء المطلو ب[1]،«و هو من البلغة »، و **البلغة** : طـــــــفيف من الطعام يتبلّغ به. و **البلاغة** : هي كذلك مختزل من القول النّافذ والمعبّر، فقد قالوا: **البلاغة**: الإيجاز.

و لقد وردت لفظة "البلاغ" و مشتقّاتها في القرآن الكريم دالّة على معنى الرّسالة السّماويّة أو على حثّ أمر الله - سبحانه و تعالى- لأنبيائه و رسله بتوصيلها إلى عباده ، و إعلامهم و إقناعهم بها. و من ذلك قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [2]

يأمر الله -عزّ و جلّ - في هذه الآية الكريمة رسوله محمّدا - صلّى الله عليـــــــه و سلّم- بأن يبلّغ القرآن كلّه ، بدون استثناء ، فلا يمتنع و لا يقصّر في تبليغه، أو تبليغ بعضه خوفا من النّاس أو إرضاء لهم ، و إن يفعل ذلك فما بلّغ رسالة ربـــــــــّه و يطمئنه -عزّ و جلّ - بأنّه سيحفظه و يحميه من أذى النّـــــــــاس و بطشهم.

و جاء على لسان هود -عــليه السّلام- فـــي دعوة قومه إلى الله و محاجّته لهم، قوله - سبحانه و تعالى- : ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٥٧﴾ [3]

أي إن تعرضوا عمّا جئتكم به من عبادة الله ربّكم وحده لا شريك له فقد قامت عليكم الحجّة بإبلاغي إيّاكم رسالة الله التي بعثني بها[4].

---

[1] محمد رضا : معجم متن اللغة ، مجلد1 منشورات دار الحياة بيروت 1908ص340
[2] سورة المائدة الآية 67
[3] سورة هود الآية 57
[4] ينظر: ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج2 دار الفكر،بيروت1986ص291

و أمّا في قوله: ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [1]

بمعنى أنّ هذا القرآن رسالة للنّاس، تنذرهم وتحذّرهم من الشّرك بالله - سبحانه وتعالى- و عصيانه و ما ينجرّ عنهما من عذاب شديد يوم القيّامة. و تبيّن لهم العقيدة الصّحيحة السّليمة المتمثّلة في إثبات وحدانيّة الله -عزّ و جلّ - و إفراده بالعبادة. و بهذه الرّسالة (القرآن) يتذكّر و يتّعظ و يتدبّر ذووا العقول.

و يمكن للقارئ أو الباحث من خلال هذه الشّواهد القرآنيّة أن يتوصّل إلى أنّ لفظتي (اتّصال) أو (إعلام) لم تذكرا في القرآن الكريم و إنّما ذكرت لفظة "البلاغ" و مشتقّاتها، و يمكن فهم معنى الاتّصال أو الإعلام في خضم العمليّة الاتّصالية الربّانية التي تقوم على تبليغ الرّسالة الإلهيّة و الدّعوة عن طريق الرّسل و الأنبياء «التّبليغ إذن مصطلح إسلاميّ قرآنيّ ، و الدّليل هو كثرة ورود هذه المادّة و مشتقّاتها في المعنى الإعلاميّ المعروف في القرآن الكريم» [2].

فبالإضافة إلى لفظة " التّبليغ " و مشتقاتها التي دلّت على معنى الاتّصال والإعلام في القرآن الكريم ،فهناك لفظان آخران يفيدان هذا المعنى و هما : التّعارف و البيان :

- أمّا **التّعارف:** ففعله (تعارف) على وزن تفاعل ؛ الذي يفيد المشاركة بين مرسل و متلقّ ؛ حيث يكون بينهما تبادل الخبرات و التّجارب و المعلومات و الأفكار

[1] سورة ابراهيم الاية 52

[2] مازن مرتضى : الإعلام و التبليغ ، قراءة في المصطلح و الوسائل،موسوعة أطلس العالم.
الموقع: www.uofislam.net/uofislam/view.php

والعواطف و غيرها بواسطة اللّغة، فالتّعارف يقتضي الاتّصال أو التّواصل بين النّاس و لا يمكن أن يحدث التّعارف بدون ذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

ـ و أمّا **البيان**: و إن سبقت الإشارة إليه في قول **(الجاحظ)** فلا بأس من التّذكير هاهنا، فهو من الفعل (بيّن)، بمعنى أوضح و أفهم، و في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[2]

يقول **(سيّد قطب)**: «إنّنا نرى الإنسان ينطق و يعبّر و يبيّن و يتفاهم و يتجاوب مع الآخرين فننسى بطول هذه الألفة عظمة هذه الهبة و ضخامة هذه الخارقة، فيردّنا القرآن إليها، و يوقظنا لتدبرها في مواضع شتىّ» [3] مثل آيات سورة(الرّحمن) التي سبق ذكرها ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[4] و قوله تعالى:﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾[5].

و مادامت لفظة (التّبليغ) و مشتقّاتها هي الموظّفة بشكل كبير في القرآن الكريم لتدلّ و تشتمل معنى الاتّصال و الإعلام ، فلماذا لا يعمّم هذا المصطلح في اللّغة العربيّة باعتبار أنّ القرآن هو مصدر قوّتها و سرّ جمالها؟!

يقول **(مازن مرتضى)**:« هناك فارق جذريّ بين «الإعلام الغربيّ » و «التّبليغ الإسلاميّ»، يتمثل بشكل أساسيّ في الهدف، فالهدف من التّبليغ الإسلاميّ الإنسانيّ

(1) سورة الحجرات الآية 13
(2) سورة الرحمن الآية1-2-3- 4
(3) سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج 6 ط15دار الشروق بيروت 1988ص3446
(4) سورة الرحمن ، الآية 1-4
(5) سورة البلد ، الآية 8-9

يفرز بين الخير و الشّرّ، و يقدّم الخير إلى الإنسان، و يبعد الشر عنه ،في كلّ مكان متّخذا من أجل ذلك وسائل مشروعة، و مبتعدا عن كلّ الوسائل المبتذلة ،في حين لا يبالي الإعلام الغربيّ بالهدف، و ليس هناك فرز بين الخير و الشّرّ، فالخبر المثير مهما كانت نتائجه، هو المقدّم في ذلك الإعلام ، و ليس هناك أي تحفّظ في استخدام أيّة وسيلة في سبيل تحقيقه و وصوله إلى أكبر عدد من الأفراد و المجتمعات و أكبر عدد من البلدان في العالم» [1].

و إذا كان الهدف الأساسيّ للإعلام الغربيّ هو نقل الخبر المثير إلى أكبر عـــــدد من الأفراد و المجتمعات و البلدان بأيّ طريقة كانت دون مراعاة لأيّ أخلاق أو نتائج وخيمة تنجـــــرّ عنـــــه ، حيث الغاية تبرّر الوسيلة ، فالمهمّ هو الهيمنة الإعلاميّة و التّجـــاريّة و الغــزو الفكريّ و الثّقـــافيّ ، فـــإنّ التّبليغ الإسلاميّ هدفه أسمى و أنبل، يتمثّل في حبّ الخير للإنسان في كلّ مكان و يسعى إلى إبعاد الشّرّ عنه ، فهو إذن تبليغ أخلاقيّ بنّاء ، أفليس هذا أمرا يحتّم و يفرض على العرب والمسلمين انتهاج المنهج القرآنيّ الرّباني ألا و هو « التّبليغ»؟

4 ـ الفرق بين الاتّصال و التّواصل:

عرف العصران الحديث و المعاصر تطوّرا ملحوظا و كبيرا في وسائل الإعلام و تكنولوجيا الاتّصالات ، الأمر الّذي قرّب المسافات ، و سهّل عمليّة نقل الأخبـــار، و تبادل المعلومات و الخبرات بين الأفراد و المجتمعات في مختلف أرجاء العالم في ظرف زمنيّ قياسيّ ، فأصبح العالم كأنّه قرية صغيرة ، خاصّة بعد اكتشـــــــاف و انتشار الشّبكة المعلوماتيّة أو العنكبوتيّة (الإنترنيت).

و لقد أدّى هذا التطوّر الكبير الهائل في تكنولوجيا الإعلام و الاتّصال إلى تداخل بين مصطلحي «الاتّصال» و «التّواصل» من حيث مدلوليهما ، فكثيرا ما نصـــــــادف

[1] مازن مرتضى : الإعلام و التبليغ مرجع سابق .

الموقع: www.uofislam.net/uofislam/view.php

فـــــــــي قراءتنا اللّسانية المعاصرة عـــدّة كلمات متباينة في دوالها في الوقت الذي لا يعني بها أصحابها إلاّ مفـــــــــهوما واحدا و من هذه الكلمات بالنسبة لما نحن فيه ، الاتّصال ،التّواصل ،و التّوصيل، و التّبليغ و البلاغ [1].

و يرجع هذا الخلط و التّداخل بين المفاهيم إلى ما يسمّى في الوقت المعاصر بإشكاليّة المصطلح ، ذلك المصطلح العلميّ الذي يترجم من لغة أجنبيّـة ما كـــالفرنسيّـــة أو الإنجليزيّة مثلا ، فتتعدّد و تختلف ترجمته من مترجم لآخر، على حسب المستوى العلميّ و الثقافيّ و إتقان اللّغتين المترجم منها و المترجم إليها ، فإن كان الاتّصال والتّواصل كلاهما ينتمي و ينتسب إلى المجال نفسه ألا و هو الإعلام أو التّبليغ، فما الفرق بينهما؟

للقضاء على هذا المشكل حاول بعض الباحثين و الدّارسين العرب تبيان الفرق بين المصطلحين بتقديم تعاريف و خصائص مميّزة لكلّ مصطلح ، و من هؤلاء:

(مختار محمّد أبو الخير) : الذي يرى أنّ كلمة (تواصل) علـــــــى وزن (تفاعل)، أمّا كلمة (اتّصال) فهي على وزن (افتعال)... وحدّد الفرق بينهما بتقديم تعريف للتّواصل مفاده هو ذلك التّأثير المتبادل بين طرفي عمليّة التّفاعل المواجهية، أين يجد الأفراد الحريّة في التّعبير عن أنفسهم فهو يخلق مناخا نفسيّا و اجتماعيّا ملائما للمناقشات الجماعيّة[2]

فمصـــطلح التّواصل حسب هذا التّعريف يتطلّب اشـتراكا بين المرسل والمتلقّي، في عمليّة بثّ و تلقّي الرّسالة.

---

[1] عبد الجليل مرتضى: اللغة العربية و الاتصال مجلة المجلس الأعلى للغة العربية ، أعمال الموسم الثقافي الجزائري 2000 ص 51

[2] ينظر محمد أبو الخير : التواصل و الاتصال،المجلة الجزائريّة للاتصال العدد08، 1992ص49

و يبيّن **(محمود عودة)** الاختلاف بينهما ، و ذلك انطلاقا من الحركة الانتقاليّة للأفكار و المعلومات المتداولة بين طرفيّ عمليّة الاتّصال ، و التي تشكّل محور الرّسالة الإبلاغية وهي مقسّمة لديه على النّحو التّالي:

أ ـ الانتقال الأحاديّ الخطّ للمعلومات.

ب ـ الانتقال الثّنائيّ الخطّ للمعلومات. [1]

و يمـــثل **الانتقال الأحادي الخط** ظـــاهرة الاتّـــصال التي تقوم على مركز الإرسال ، ومركز الاستقبال ،أي: على عنصري الباثّ و المتلقّي ، الذي يكون إنسانا أو آلة تبـــثّ الرّسالة ليستقبلها دون المشاركة في إعـــادة تركيب الرّسالة وبثّها مجدّدا ، وفي هذه الحالة يمثل الباثّ بعدا ايجابيّا يتمحور في عمليّة الإبلاغ ، بينما يمثل المتلقّي بعدا سلبيّا يتمحور في عمليّة التلقّي دون التّبادل أو المشاركة في عمليّة البثّ ، فهذا المحور ـ محور الاتّصال ـ يمكن إدراجه فيما يعرف بالاتّصالات الجماعيّة في حين يمثل **الانتقال الثنائيّ الخطّ** ّظاهرة التّواصل التّي تتلخّص عادة في التّبادل الكلامي بين فردين أو مجموعة أفراد يشاركون في تبادل المعلومات والأفكار بشكل دوري مستمر ، فبعد أن يستقبل المتلقّي أنماطا معيّنة من الرّموز التـــي تمّ اختيارها وتركيبها من قبل الباثّ ، يقوم هذا الأخير بتخزينها وتأويلها ، ثـــم فكّها و تركيبها مجدّدا في شكل رسالة مبلّغة، و في هذه الحالة يمثل الباثّ و المتلقّي عنصرين إيجابيين في ظاهرة بث و تلقّي الرّسائل.

و بناء على ما سبق ، فإنّ (الاتّصال) يختلف عن (التّواصل) في أنّه له مجال معيّن يستعمل فيه ، إذ ينحصر في مستوى عام كالمسرح و السينما و الإذاعة والاتّصال السّلكي و اللاّسلكي، و غير ذلك من الوسائل الموجّهة للمتلقّـــــي ، أمّا التّواصل فمجاله محدود قائم أساسا على فردين أو مجموعة أفراد يشـــــــــتركون في تبادل المعلومات و الخبرات بشكل مستمرّ.

[1] ينظر محمود عودة : أساليب الاتصال و التغيير الاجتماعي،دار المعرفة الجامعيّة 1998 ،ص6

و في ذات السّياق يقول **(أحمد يوسف)** : « لا بدّ أن نضع في حسباننا الفرق الذي تتيحه لنا مفردات اللّغة العربيّة بين مصطلحي الاتّصال و التّواصل ، إذ أنّ الاتّصال قد يحدث حتى بين الموجودات غير البشريّة بينما التّواصل يتطلّب مبدأ الشّراكة و التّعاون و التّفاعل بين الذوات ، حيث المرسل مرسل إليه و المرسل إليه مرسل». [1]

و المثير في الأمر أنّ التّداخل بين هذين المصطلحين لا يزال مطروحا بنسب متفاوتة ، لاسيما في حقل الدّراسات اللّسانيّة ، و من الأمثلة على ذلك اعتماد **(مازن الوعر)** لفظة «التّبليغ» و «الاتّصال» مرادفين لبعضهما فيقول في هذا الشّأن:"عندما نرى متكلّمين يتكلّمان اللّغة العربيّة مثلا فإن ذلك يعني أكثر من استعمال النّطق المشترك أو النّظام النّحويّ الذي ينظّم الكلمات نفسها بعمليّة فكريّة معقّدة ... إنّ هذا الإجراء الكلاميّ يعني أنّهما بدآ يفهمان بعضهما بعضا بتلك العمليّة التي تسمّى عمليّة التّبليغ أو الاتّصال"[2].

و لمّا كان المتكلّمان يفهمان بعضهما بعضا باستعمال النّطق المشترك ، أو النّظام النّحويّ الواحد -على حسب قول **(مازن الوعر)** - فكان من الأفضل أن يوظّف لفظة «تواصل» بدل لفظة « اتّصال » لأنّ هذا الأخير ليس شرطا أن يتحقّق به الفهم و التّفاهم ، و تبادل أطراف الحديث بين المرسل و المتلقّي أو ما يصطلح عليه **برجع الصّدى** ، أو **التّغذية المرتدّة** كأن يتحدّث أحد إلى غيره بلغة لا يجيدها أو لا يفهمها ، أو أن يحدّثه بمستوى علميّ و ثقافيّ أعلى من مستواه ، فهاهنا يحدث الاتّصال دون أن يتحقّق التّواصل لعدم فهم المتلقّي للرّسالة التي سمعها من القائم بالاتّصال.

---

[1] أحمد يوسف : سيمائيات التواصل و فعاليات الحوار1 مكتبة الرشاد سيدي بلعباس الجزائر 2004 ص12

[2] مازن الوعر : قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ط1 دار طلاس دمشق 1993 ص 30 - 31

5 ـ عناصر العمليّة الاتّصاليّة

تعتمد عمليّة الاتّصال على مجموعة من العناصر المتّصلة و المتداخلة والمتشاركة مع ظروف نفسيّة و اجتماعيّة تؤثّر في النّهاية على انتقال الأفكار والمعلومات بين الأفراد و هذه العناصر هي كالآتي:

1- **المرسل** : **"Emetteur"** ، هو منشئ الرّسالة الذي يؤثّر في الآخرين«المتلقّين» بشكل معيّن عن طريق عرض أفكار أو معلومات أو آراء أو غيرها ،و يعرّفه **(أحمد زكي)** بقوله:" هو الذي يصوغ فكرة في شكل رموز معيّنة و يبعثها في شكل معلومات أو أفكار أو آراء أو معان إلى الآخرين" [1] ، و يعتمد نجاح الرّسالة في تبليغ المعنى على حسن اختيار الرّموز من قبل المرسل لكي يعبّر عن فكرته بدقة و وضوح.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾

[2]و قال تعالى في آية أخرى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ [3] ، فمصدر الإرسال في هاتين الآتين الكريمتين هو الله - سبحانه وتعالى- و ما دلّ على ذلك هو ضمير الجمع المتكلّم الذي يعود على ذاته العليّة (إنا ، نون الجماعة في «أرسلنا، آياتنا») و هناك الكثير من الآيات في القرآن الكريم التي تدلّ على المرسل و التي لا يتّسع المقام لذكرها كلّها.

[1] أحمد زكي بدوي: "معجم مصطلحات الإعلام" دار الكتاب المصري القاهرة 1985ص44
[2] سورة البقرة الاية 119
[3] سورة البقرة الاية 151

والاختلاف يـكمن في شخصيّة المرسل في حدّ ذاته ، فمثلا قوله تعالى في سورة(يوسف) :﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[1]. فالمرسل هنا يتمثّل في امرأة (العزيز) .

2 - المتلقّي : " Récepteur"، و هو مستقبل الرّسالة و هو طرف ضروريّ وعنصر أساسيّ في العمليّة الاتّصالية سواء أكان هذا المتلقّي فردا أو جـــــماعة أو مؤسّسة أو جمهورا أو جماهيريّا.[2] و الذي يتلقّى محاولات التّأثير الصّـــادرة عن المرسل و التي على إثرها يتجاوب و يتفاعل معه فأثناء الحديث أو الكلام السّامع هو المتّهم و أثناء الكتابة القارئ هو المتّهم ، باعتبار كل منهما متلقّ ، و قد يـــكون هو نفسه المرسل، كما هو الحال في الاتصال الذاّتي، قال - سبحانه و تعالى-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3] فالمستقبل في هذه الآية النّاس كافة لأنّ الإسلام رسالة لكلّ البشر و رحمة للعالمين. وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[4]، و لذا قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى

[1] سورة يوسف الاية 31
[2] ينظر صلاح خليل أبو الأصبع : الاتصال الجماهيري ، ط1 دار الشروق عمان 1999 ص12
[3] سورة سبأ الآية 28
[4] سورة القصاص الاية 86

ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٖ ﴿٦﴾ ﴾[1]، فالمتلقّي في هاتين الآيتين الكريمتين هو الرّسول -عليه الصّلاة و السّلام -، يـــــــرى **(القرطبي)** في تلـــقّي معناه فـــــهم وفطن و قيل قبل و أخذ ، و كان يتلقّى الوحي أي يستقبله و يأخذه و يتلقّفه ، نقول خرجنا نتلقّى الحجيج أي نستقبلهم[2].

3 - الرّسالة: "Message" ، هي أساس و لبّ العمليّة الاتّصاليّة ، و نعني بالرّسالة المعلومات أو الآراء أو المشاعر أو الاتّجاهات التي يرغب القائم بالاتّصال بنقلها إلى الآخرين عبر الرّموز التي قد تكون صوتيّة مثل الكلام أو صوريّة مثل الكتابة أو حركيّة مثل الإشارات أو قد تكون خليطا مـــــــــــن أشكال الرّموز هـــــذه [3]، و في هذا الشّأن يقول (**أبو الهلال العسكري)** : «الرّسالة هـــــي جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤدّيها إلى غيره » [4].

وهناك ثلاثة أمور يجب أخذها بعين الاعتبار بالنّسبة للرّسالة ألا و هي:
كود الرّسالة (الرموز) - مضمون الرّسالة - معالجة الرّسالة.

أ - الشفرة: Code

وهي عبارة عن مجموعة من الرّموز توضع في ترتيب معين فتشكل للمتلقي مغزى يفهمه إذا كانت الرّسالة معبّرة عن مضمونها ، و ذات معنى محدّد يـتناسب مع مقصد المرسل ، و مثل ذلك في القرآن الكريم ما جاء في سورة (يوسف) من رؤى قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ

[1] سورة النمل الاية 06
[2] ينظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج1 ط2 دار إحياء التراث العربي بيروت 1952ص 323
[3] ينظر صلاح خليل أبو أصبع : الاتصال الجماهيري ،مرجع سابق ص12
[4] ابو هلال العسكري : الفروق في اللغة ط4 دار الآفاق الجديدة بيروت 1963 ص284

عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [1]

و فهم سيّدنا يوسف -عليه و على نبيّنا السّلام - رموز رؤيا الملك و تمكّن من تأويلها وتفسيرها ،بفضل ما وهبه الله - سبحانه و تعالى- من علم و حكمة.

ب - المضمون: "Contenu"

يعرف المضمون بأنّه مادّة الرّسالة أو محتواها و الذي يختار من طرف القائم بالاتّصال ليعبّر به عن هدفه و مغزاه ، فهو العبارات التي تقال و المعلومات التي تقدّم و الاستنتاجات التي تستنبط و الأحكام التي تقترح قال -عزّ وجلّ-: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [2]

ما يستخلص من الآيات أن سيّدنا عيسى -عليه السّلام- فصّل مضمون رسالته إلى قومه و دافع عن والدته ، و أقام عليهم الحجّة فلم يبق لهم إلا إتّباع طريق الهدى بعد أن تبيّن لهم الحقّ , أو الضّلال باتّباع هوى الشيطان.

جـ - معالجة الرسالة: "Traitement de message"

تتمثل في الطّريقة أو الكيفيّة التي يقدّم بها المرسل مضمون رسالته و في اختيار الرّموز و الشّفرة المناسبة لها، فقد يختار المرسل رسالة

[1] سورة يوسف الاية 43
[2] سورة مريم الايات 30 ...33

معينة و يحدّد فيها المعاني والأدلّة التي يريدها ، و لا يذكر كلّ الحقائق أو التّفاصيل فيها ، حيث يترك للمتلقّي مهمّة إنهاء الجوانب التي لم تذكر. و هكذا تتحقّق أهداف كلّ فرد في اتّخاذ القرارات الأفضل ، قال تعالى: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾.[1] في هذه الآية الكريمة إيجاز بالحذف حيث لم يذكر الله - سبحانه وتعالى- أسماء الفتية وملابسهم و زمانهم و مكانهم و غيرها من التّفاصيل بل ركّز على القيم و العبر فيها ، أي أنّه عالج ما هو مستهدف في الرّسالة و ما هو مهّم.

4 - الوسيلة (القناة): "Canal"

الوسيلة هي الوسيط لنقل الرّسالة من المرسل إلى المرسل إليه، و قد تكون الوسيلة سمعيّة مثل: الخطب و المحاضرات و الإذاعة، أو بصريّة كما في المطبوعات (كتب، صحف، مجلات، صور، ملصقات...) أو سمعيّة بصريّة مثل التّلفزيون أو السّينما أو الفيديو أو قد تكون الحواس الإنسانيّة من سمع و بصر و شم و ذوق و لمس كما هو الحال في الاتصال الذاتي[2] قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾.[3]

و يرى كلّ من **(حسن عماد مكّاوي)** و **(ليلى حسين السّيد)** أنّه توجد عوامل تتحكم في استخدام وسيلة الاتّصال و هي:

---

[1] سورة الكهف الاية 10

[2] ينظر إبراهيم أبو عرقوب الاتصال الإنساني ودورة في التفاعل الاجتماعي مرجع سابق : ص40-41

[3] سورة المائدة الآية 67

أ ـ طبيعة الفكرة المطروحة أو الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من خلال رسالة معيّنة.

ب ـ خصائص الجمهور المستهدف.

جـ ـ تكاليف استخدام الوسيلة بالنّسبة لأهميّة الهدف المطلوب تحقيقه.

د ـ عامل الوقت و أهمّيته بالنّسبة للموضوع المتناول.

هـ ـ مزايا كلّ وسيلة و ما تحقّقه من تأثير على الجمهور المستهدف.

5 ـ التّشويش: "Noise"

هو عائق أو مانع يتدخّل إثر انتقال الرّسالة من المرسل إلى المتلقّي فيقلّل من فعاليّتها أو يدفع إلى تغيير معناها محدثا سوء الفهم ، والتّأويل الخاطئ يجعل الرّسالة تنحرف عن هدفها ، فالتّشويش يعيق عمليّة الاتّصال لأنّه يقلّل من فعاليّة الرّسالة، وهو نوعان[1] :

أ ـ تشويش ميكانيكي: (آلي) وهو أي تدخّل فنيّ يطرأ على إرسال الإشارة في طريقها إلى المتلقّي مثل : وجود عيوب في صوت المرسل أو استخدم تردّدات غير مناسبة في الإرسال ، أو ضعف حاسّة السّمع أو البصر عند المتلقّي ، وقد يحدث نتيجة مؤثّرات نفسيّة (كالشّرود الذّهنيّ ، التّفكير ، السّهو ،...) وقد ينتج عن مؤثّر جسماني (ألم ، صداع ، نعاس...) .

ب ـ تشويش دلالي **:** يحدث داخل الفرد حين يسيء النّاس فهم بعضهم البعض لأي سبب من الأسباب وحين تختلف المعاني لديهم لنفس الكلمات والعبارات فقد يستخدم القائم بالاتّصال في رسالته كلمات وعبارات مختلفة للتّعبير عن المعنى نفسه ، فلا يفهم المتلقّي بعضها أو يسيء فهم بعضها ، فسوء الفهم

[1] ينظر حسن عماد مكاوي و ليلى حسين السيد ، الاتصال و نظرياته المعاصرة،ط3 الدار المصريّة القاهرة 2002 ص50-51

أو عدم الفهم الجيد لمعاني الرّسالة يعتبر نوعا من التّشويش الدّلالي ، وكلّما زاد التّشويش قلّت فعاليّة الرّســـالة .

و من أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [1] ففي هاتين الآيتين الكريمتين يتدخّل الشّيطان كعنصر أو مصدر تشويش بين طرفي عمليّة الاتّصال ، الله -عزّ وجلّ- وآدم -عليه السّلام- ، فالشّيطان وسوس لسيّدنا (آدم) وأمّنا (حوّاء) بأن يأكلا من الشّـــــــــجرة التي نهاهما الله عنها ، بغرض أن يعصيا الله -سبحانه وتعالى- ولا يستجيبا لنهيه ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة** ﴾ وأيضا حسدا لما هما فيه من نعيم ، فكان الشّيطان عائقا حقيقيّا في العمليّة الاتّصاليّة إذ تمكّن فعلا من إغراء آدم -عليه السّلام- وزوجه .

ويمكن التّمثيل لهذه العمليّة الاتّصالية بالمخطّط الآتي :

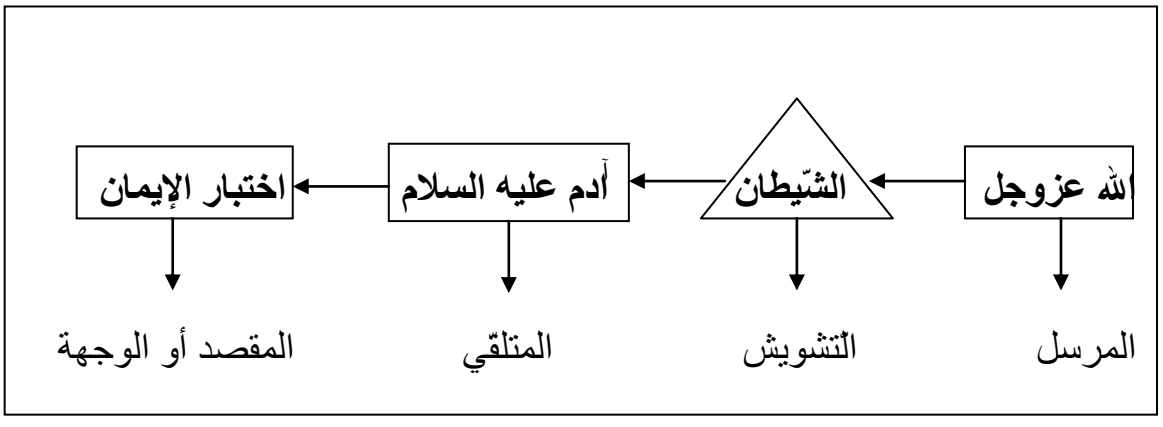

[1] سورة البقرة الآيتان 35 - 36

ـ يقول الطّنوبي: « إنّ التّشويش هو أيّ شيء يؤثر على كافة عمليّة الاتّصال البشريّ »[1].

6 ـ رجع الصّدى "Feed Back"

يقصد إعادة المعلومات للمرسل حتّى يستطيع أن يقرّر ما إذا كانت الرّسالة حقّقت أهدافها أم لم تحقّق.

كما أنّ رجع الصّدى يشجّع المرسل على الاستمرار في بثّ رسالته ويقنعه بأنّها أدّت مهمّتها وحقّقت هدفها ، أو العكس هنا ينبغي على المرسل أن يعيد تشكيل وبناء رسالته من جديد . ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۡجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[2]

و رجع الصّدى في هذه الآية الكريمة يتمثل في استجابة الله ـسبحانه و تعالىـ لدعاء يونس ـ عليه السّلام ـ بأن نجّاه من بطن الحوت و هذا أمر يشجّعه و يثبته و يزيده إيمانا و ثقة بالله ـعزّ و جلّـ (و كذلك ننجي المؤمنين)

و هناك من يرى أنّ رجع الصّدى هو الرّدّ على الرّسالة بالإيجاب أو السّلب أوبتغيير السّلوك أو تعديله ، و له أقسام هي :[3]

ـ رجع الصّدى الإيجابيّ و السّلبيّ:

أ ـ رجع الصّدى الإيجابيّ: يشجّع المرسل على استمراره في بثّ و تقديم رسائله على المنوال نفسه قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا

(1) محمد عمر الطنوبي : نظريات الاتصال مرجع سابق ص 115
(2) سورة الأنبياء الآية 88 "
(3) حسن عماد مكاوي و ليلى حسين السيد: الاتصال و نظرياته المعاصرة، ص51-52

وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [1]

ب ـ *رجع الصّدى السّلبيّ* : و هو عكس الإيجابيّ ، حيث أنه لا يشجّع المرسل على توجيه رسائل مشابهة للرّسالة الأولى، بل يقضي و يستوجب تعديلا في محتوى الرّسائل و شكلها ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2]

ـ رجع الصّدى الدّاخليّ و الخارجيّ:

أ ـ *الدّاخليّ*: يصدر من داخل الشّخص أي هو ردّ فعل داخليّ يصدر عن الفرد عندما يتأثّر برسالة معيّنة مثل الحديث النّفسي الدّاخليّ أو مناجاة الذات ، قال تعالى :

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [3]

[1] سورة الأنبياء89-90
[2] سورة القمر : الآيات 17 - 20
[3] سورة مريم الآية 23

ب ـ الخارجيّ: هو ردّ الفعل الذي يصدر عن المتلقّي بعد استقباله الرّسالة، ومنه يظهر مدى استجابته و تقبّله لها و درجة تأثّره و اقتناعه بها، أو رفضها تماما، قال تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَـٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1].

ـ رجع الصّدى الفوريّ أو المؤجّل:

أ ـ الفوريّ : يكون سريعا و مباشرا كما هو الحال في الاتّصال الشّخصيّ المواجهيّ، أي يتلقّى المرسل ردّا و استجابة سريعة و مباشرة على رسالته من قبل المتلقّي، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [2].

ب ـ المؤجّل : هو الذي يتأخّر نوعا ما كما في وسائل الاتّصال الجماهيريّة (الصحف، المجلات ، التّلفزيون و الأنترنت....)؟

ـ رجع الصّدى الحرّ أو المقيّد:

أ ـ الحرّ: و هو الذي يصدر مباشرة دون عائق أو تنقيح.

ب ـ المقيّد : و هو الذي يستغرق وقتا طويلا حتى يحقّق أهدافه كما يحدث في الرّدّ على كتاب معيّن أو نقده ، فمثلا ابن رشد ردّ في كتابه «تهافت التّهافت » على كتاب أبي حامد الغزالي« تهافت الفلاسفة»، و لكنّ صدور هذا الكتاب استغرق وقتا طويلا.

[1] سورة الحجر الآيتان : 23-33
[2] سورة البقرة الآية 67

ـ و يتيح رجع الصّدى وظائف مفيدة لكلّ من المرسل و المتلقّي على السّواء ،فيتيح للمرسل فرصة قياس مدى فهم الرّسالة و استيعابها من قبل المتلقّي، كما يسمح للمتلقّي بالتأثير في عمليّة الاتّصال.

ـ وأخيرا فإنّ عناصر الاتصال تتداخل و تتشابك كلّها في تشكيل وضع العمليّة الاتّصاليّة ، و يمكن التّمثيل لها بهذا المخطط:

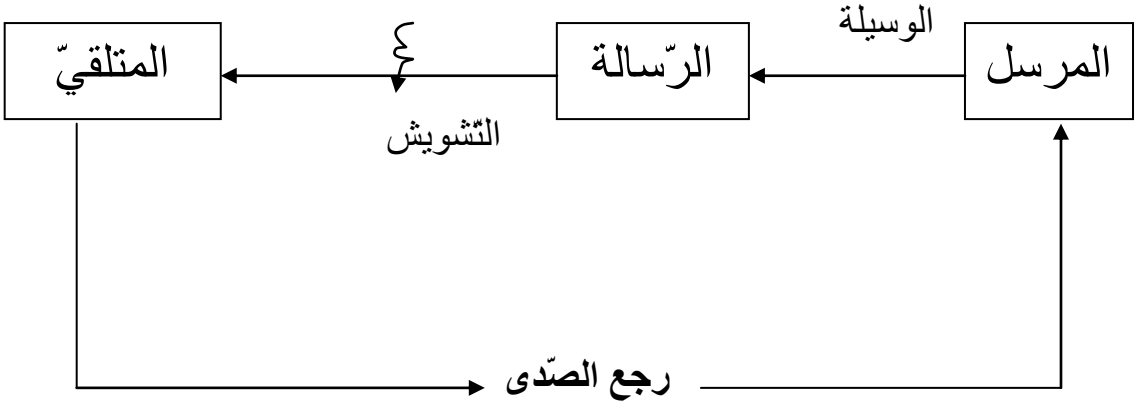

6ـ أهداف الاتّصال و وظائفه:

ولمّا كانت حاجة الإنسان للاتّصال ضرورة إنسانيّة اجتماعيّة لا تـــــــــــقلّ عن حاجته للغذاء و المأوى و الأمن ، و بما أنّه كائن اجتماعيّ اتصاليّ لا يستطيع العيش بمعزل عن المجتمع ، فإنّه كان لازما أن يكون للاتّصال وظائف و أهداف يمكن حصرها فيما يأتي:

1ـ الهدف التّثقيفيّ:

يهدف الاتّصال إلى تزويد النّاس بكمّ معتبر من المعلومات و الأفكار النّافعة لهم في جميع نواحي حياتهم المختلفة، و يوسّع فهمهم لما يدور حولهم من أحداث

فالهدف الرئيسيّ هو تزويد النّاس بالثّقافة الجماهيريّة التي تساعد على تضامن المجتمع بشتىّ أنواع مؤسّساته.

2- الهدف التّعليميّ و التّدريبيّ:

التّعليم يعني التّغيير المستمرّ في سلوك الفرد ، و ذلك بتزويده بالخبرات والمواقف و الأفكار ،و القيم الاجتماعيّة التي تساعده على التّكيّف مع مجتمعه وبالإضافة إلى اكتساب المواقف و المهارات و الخبرات و المفاهيم الجديدة يساعد في نقل العلوم و التّراث من جيل لآخر مما يساعد على تواصل الخبرات في المجتمع والهدف من التّدريب هو اكتساب الفرد مجموعة من الخبرات و المعارف التي يحتاج إليها لممارسة عمل معيّن أو لرفع مستوى كفاءته في الأداء وزياد إنتاجيّته و ذلك عن طريق الاستعانة بوسيلة أو أكثر من وسائل الاتّصال المختلفة[1].

3- الهدف التّوجيهيّ:

يتحقّق هذا الهدف للاتّصال حينما يكتسب المستقبل اتّجاهات جديدة أو يعدل عن اتّجاهات قديمة ، أو يثبتها ، وبشكل عام فإنّ الاتّجاهات تتركّز على عدد من الخصائص مثل : العمل ، الوضع الاجتماعيّ ، الدّين ، الثّقافة ، التّعليم الطّبقة الاجتماعيّة ، الجذور التاريخيّة والأصل العرقيّ الذي ينسب إلي الشّخص .

4 - الهدف الاجتماعيّ:

الاتّصال عمليّة تفاعل اجتماعيّ تقوم بنقل معلومات وتهدف إلى تغير السلوك الإنسانيّ [2] فهو أداة فعّالة في تكوين العلاقات الإنسانيّة عن طريق تسهيل تبادل المعلومات بين الأفراد وتقويّة الصّلة الاجتماعيّة بينهم كما يعتبر عاملا مهما في توحيد الأفكار والاتّجاهات .

---

[1] ينظر محمد عمر الطنوبي : مرجع سابق ص40-41

[2] ينظر : إبراهيم أبو عرقوب مرجع سابق ص 48

5 ـ الهدف الدّينيّ:

للاتصال دور كبير وفعّال في نشر الدّعوات والتّعاليم الدّينيّة ، فوسائل الإعلام اليوم تساعد كثيرا في نشر الدّين الإسلاميّ في كلّ بقاع العالم فأصبح هناك قنوات فضائيّة دينيّة خاصّة ،بالإضافة إلى مواقع في الانترنيت ناهيك عن الكتب والصّحف والمجلاّت والمقالات وغيرها من وسائل الإعلام .

6 ـ الهدف التّرفيهيّ:

ويتحقّق هذا الهدف عندما يدخل القائم بالاتّصال البهجة والسّرور والمتـــــــعة إلى نفس المستقبل ويقضي بذلك على الملل والخمول الذي قد ينتابه أثناء العمليّة التّبليغيّة

يعدّ من أكثر أنواع الاتّصال جذبا للجمهور، وأنّه من الممكن عمليّا استخدام التّرفيه كشكل اتّصاليّ لتوصيل المعلومات سواء أكان ذلك على المستوى الشّخصيّ أو على المستوى الجماهيريّ [1]

7ـ الهدف الاقناعيّ :

يرى **(أرسطو)** «أنّ الهدف الأساسي من الاتصال هو الإقناع » [2] ، فالهدف في هذه الحالة هو التأثير على النّاس وذلك من الجانب الفكريّ أو السلوكيّ أو العاطـــــــفيّ أو الانفعاليّ لغرض إقناعهم بوجهة نظر معيّنة أو رأي محدّد

7 ـ أنواع الاتّصال

«يعتبر المهتمّون بالاتّصال الإنسانيّ كلّ فهم منظّم ثابت يعبّر به الإنســـــــــان عن فكرة تجول بخاطره أو إحساس يجيش بصدره ، إنّما هو لغة قائمة بذاتها » [1]

[1] محمد عمر طنوبي مرجع سابق ص 43
[2] عبد العزيز شرف "نماذج الاتصال"(ط1) الدار المصرية اللبنانية القاهرة 2003ص 93

1 ـ الاتّصال اللّفظيّ:

يدخل ضمن هذا النّوع من الاتّصال كلّ أنواع الاتّصال التي يستخدم فيها «اللّفظ » كوسيلة لنقل الرّسالة من المصدر إلى المتلقّي، ويكون هذا اللّفظ منطوقا فيدركه المستقبل بحاسّة السّمع [2]

وجاء في معجم مصطلحات الإعلام أنّ الاتّصال اللّفظي : « هو الاتّصال الذي يعتمد على وسائل تتكوّن أساسا من كلمات مكتوبة أو غير مكتوبة في توصيل الفكرة أو المعنى مثل النّشرات ، التّقارير ، الخطابات ، المحادثات التّلفزيونيّة والمؤتمرات »[3] فلغة الكلام والكتابة إذن هي أساس من الاتّصال ، و خير دليل على ذلك أنّ القرآن الكريم اعتمد الاتّصال اللّفظيّ في تبليغ الرّسالة ، لأنّه خطاب بين الله و رسوله و إذا ما نظرنا إلى فحوى الخطاب القرآنيّ (عقيدة ـ تشريع ـ قصص...) نجده قائما على الاتّصال اللفظي (الأمر والنهيّ، الترغيب والترهيب، الحوار والجدل)، سواء أكان ذلك بين الله و أنبيائه، بين الله و ملائكته، بين الله و الشّيطان، بين الشّيطان و آدم، بين الأنبياء و أقوامهم أو بين أهل الجنّة و النّار...

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾[4]

و اللّغة أداة رمزيّة يتمّ بواسطتها التّعبير عن أفكار الإنسان و مشاعره و نقلها إلى الآخرين ، و لذلك تعدّ اللّغة أهمّ وسيلة يتحقّق بها التّواصل بين النّاس، و يعني هذا أنّ الفكر بحاجة إلى الألفاظ اللّغويّة و تركيباتها حتى يتمّ انتقاله بين النّاس ، كما تساعدنا على التّفكير بطريقة أكثر دقة و وضوحا، و من هنا كانت للّغة أهميّتها لدى الجنس البشريّ. عرّفها **(ابن جني)** بأنّها« أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم »

---

(1) صلاح الدين جوهر عالم الاتصال مفاهيم ونظريات ومجالات (دط) مكتبة عين شمس القاهرة 1980 ص 16
(2) ينظر حسن عماد مكاوي وليلى حسين السيد: "الاتصال ونظرياته المعاصرة " ص 26
(3) احمد زكي : معجم مصطلحات الإعلام (ط1) دار الكتاب المصري القاهرة 1985ص 49
(4) سورة طه الآية 117

[1] ، و يؤكد **(مصطفى ناصف)** أهميّة اللّغة حين يتحدّث عن الهدف الذي من أجله يستخدم الإنسان وظيفة الكلام و الاستماع فيقول: « إنّنا نتكلّم لنقول شيئا و حينما نستمع إلى امرئ نتوقّع منه أيضا شيئا يراد قوله، إنّنا نتكلّم في العادة من أجل أن نبلغ هدفا».

و يرى **(عبد المجيد يحيى)** أنّ الاتّصال اللّفظي هو الذي يعتمد على الكلمات أو الألفاظ التي تنطق بها ، و اختيار هذه الكلمات التي قد تعبّر عن أشياء ماديّة أو معنويّة و التي لا تحمل إلاّ معنى واحدا، و قد تحمل أكثر من معنى ، و تتحدّد تلك المعاني من الإطار أو الوقت الذي تستعمل فيه (السيّاق).

و قد أمر الله - سبحانه و تعالى- رسوله - صلّى الله عليه و سلّم- بالاتّصال اللّفظي في أكثر من مائتي موضع نذكر منها قوله تعالى: ﴿... إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ .... ﴾ [2] و قوله: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [3] و كذلك قوله: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾. [4] .

[1] ابن جني "الخصائص" ج2 - ط4 دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1990ص20
[2] سورة البقرة الاية :120
[3] سورة البقرة الاية 139
[4] سورة البقرة الاية 219

هكذا يحرص الرّسول ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ على تنفيذ ذلك ، ويأمر أصحابه والمسلمين فيقول : « **والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنّة حتّى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتّى تحابّوا أولا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السّلام بينكم**» [1] ، وهناك من يرفض اعتبار اللّغة وسيلة اتّصال فقط يحقّق بها النّاس أغراضهم بل يعتبرها غاية في حدّ ذاتها ومن هؤلاء **(حسن ظاظا)** إذ يقول : «اللّغة غاية لا واسطة لولاها ما بان الإنسان من باقي الحيوان إلا بتخطيط جسمه ، ولولاها لما وجد إلى المعرفة بابًا واسعًا ، لا نرى عاقلا يشكّ في أنّها من مهمّات علم الإنسان، في أنّها الأسبق إلى منازل الشّرف ومواقع التّعظيم لا علم إلاّ هو دليل عليها، ولا خير إلا وهو السّبيل إليها ، نقول ما كان شيء في الوجود أنور فانوسا من اللّغة التي نفثت الحياة في العدم فأخضب ، وضربت السّحر في الجماد فتحرّك ، لولا اللّغة لبقيت النّطيقة الإنسانيّة كامنة محجوبة ، لاستولى الخفاء على قاصيها ودانيها ، لعجزت النّفس أن تنتهي إلى خابية الحقّ المعتقة ... [2]».

إنّ اللّغة في نظر **(حسن ظاظا)** هي تلك التي تبدأ في الوجدان وتمرّ عبر اللّسان،فهي ليست فرعا للشّفاه أو وسيلة طينيّة في سبيل غاية وجدانيّة ، ولو حاولنا أخذها من معدنها الصّافي وجب علينا أن نستقيها من الوجدان ذاته، ،فهي النّفس المركوزة في الإنسان تصاحبه منذ نشأته حتّى وفاته[3].

و خلاصة القول إنّ اللّغة كظاهرة إنسانيّة و اجتماعيّة قديمة عرفت منذ خلق الله -سبحانه و تعالى- آدم -عليه السّلام-: «وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

[1] أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، "سنن ابن ماجة" ط1، كتاب الأدب، باب إفشاء السلام، دار ابن حزم ، بيروت، 1422هـ-2001م، ص557

[2] حسن ظاظا : اللسان والإنسان " مطبعة المصري القاهرة (دت) ص 84

[3] ينظر نفس المرجع والصفحة

ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ »[1] هي أساس كلّ

اتّصال وتواصل ، ومصدر كلّ فكر و تطور ، و الحامل الماديّ لكلّ العلوم فلا يمكن لأيّ مجتمع أن يتطوّر ما لم يهتمّ بلغته و يطوّرها ، و يعلّمها للأجيال حتّى و لو كانت لغات أجنبيّة ، و هذا مصداقا لقول النّبي - صلّى الله عليه و سلّم - «**من تعلّم لغة قوم أمن شرّهم**».

2- الاتّصال غير اللّفظيّ:

و هو اعتماد علامات أخرى دالّة من غير اللّغة المنطوقة أو المكتوبة متعارف و متّفق عليها في مجتمع ما ، كلغة الحركات و الإشارات و الإيماءات و التّغيّرات الفيزيولوجيّة ، التي تطرأ على وجه الإنسان نتيجة انفعال معيّن ، يقول نايف خرما: «إنّ تعريف بعضهم بأنّ اللّغة وسيلة للاتّصال بين البشر ليس تعريفا دقيقا تماما فمن ناحيّة يمكن أن يحصل الاتّصال بين البشر بوسائل غير لغويّة تتراوح بين ردود الفعل العفويّ كاحمرار الوجه دلالة على الخجل ،والعبوس تعبيرا عن الغضب والإيحاء المعتمد بأحد أجزاء الوجه والوسائل الكثيرة الأخرى كالرّسوم والنّقود والأعداد. .. والقصيدة الشّعريّة أو القطعة الموسيقيّة... ».[2]

ويطلق عليه أحيانا اللّغة الصّامتة أو السّاكنة وقسّمها الباحثون إلى ثلاثة أقسام هي:

أ-لغة الإشارة :

وتحتوي مجموعة من الرّموز البسيطة أو المعقّدة أو الشفرات التي يستعملها المرسل قصد الاتّصال بغيره، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا

[1] سورة البقرة الاية 31

[2] نايف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت1978 :ص 31

تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ [1]

فالاتّصال اللّفظيّ في هذه الآية الكريمة يتمثل في استعمال الرّمز الذي هو لغة الإشارة وقد يحمل الرّمز من المعاني ما يعجز عنه اللّفظ .

ب- لغة الحركة أو الأفعال :

وتتضمّن جميع الحركات التي يأتيها الإنسان لينقل إلى غيره ما يريد من معاني أو مشاعره [2].

ج- لغة الأشياء :

ويقصد بها اللّغة التي يلجأ إليها أو يستخدمها مصدر الاتّصال لتوصيل خطابه إلى المتلقي ، ويستخدم فيها غير الإشارة والحركة ، التّعبير عن معان أو أحاسيس يريد نقلها للمتلقّي وذلك باستعمال الأشياء أو الكائنات التي تحلّ محلّ اللّفظ فيها .

ويعرّف **(عبد المجيد يحي)** الاتّصال غير اللّفظي قائلا : « هو الذي تستخدم فيه التّصرفات والإشارات أو تعبيرات الوجه والتي قد يكون استعمالها مساعدا للاتّصال اللّفظي أو مستقلاً عنه ، حيث أنّ القائم بالاتّصال يورد لفظا يدلّ على معنى من غير سياق الكلام له ، أو يوجز العبارة مع كثرة المعنى ، أو يشير إشارة حركيّة ما يفهم منها شيء معين وقد جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿....وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ... ﴾ [3] ففي قوله «له» إشارة إلى نسب الأب

[1] سورة آل عمران الآية 41
[2] ينظر حسن مكاوي وليلى السيد : مرجع سابق ص 27
[3] سورة البقرة الآية 233

وقوله تعالى : ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾[1] قوله تعالى (وغيض الماء) إشارة إلى انقطاع مادّة المطر ونبع الأرض وذهاب ما كان حاصلا من الماء على وجه الأرض » [2]

و قد وظّف الرّسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أسلوب الإشارة في اتّصاله بالمسلمين فقال : « **بعثت أنا والسّاعة كهاتين** » [3] ، وجمع بين أصبعيه في إشارة إلى أنّ الفرق النّسبي بين طول أصبعيه كالزّمن بين بعثه ـ صلّى الله عله وسلّم ـ وقيام السّاعة ، أي اقتراب موعدها .

وقال كذلك ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ : « **أنا وكافل اليتيم كهاتين** » [4]، وأشار بأصبعيه ليبين علوّ مكانة كافل اليتيم وقربه منه ـعليه أفضل الصّلاة والسّلام- .

3 ـ الاتّصال من حيث حجم المشاركين في العمليّة الاتّصاليّة :

وينقسم هذا النوع من الاتّصال إلى عدّة أقسام اذكر منها على سبيل المـــــــثال لا الحصر ما يلي:

أ ـ الاتّصال الذّاتي :

هو الاتّصال الذي يتمّ بين الفرد وذاته ، فهو إذن عمليّة شخصيّة بحتة يتمّ فيها مخاطبة الإنسان لذاته [5] ، فيصبح المرسل والمستقبل للخطاب في آن واحد.

---

[1] سورة هود الآية 44
[2] عبد المجيد يحي العلاقات العامة بين النظرية الحديثة و المنهج الإسلامي مكتبة القرآن القاهرة 2001 ،ص 109
[3] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، البخاري، صحيح البخاري ، كتاب: الرقاق، مج4، ج4، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص183
[4] المصدر نفسه، مج4، ج4، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما، ص76
[5] ينظر : صلاح خليل : الاتصال الجماهيري، مرجع سابق ص 13

إلى جانب أنّه يسمح لنا باتخاذ قرارات مبنية على المعلومات الواردة إلينا عن طريق الحواس ويساعدنا على التكيّف مع أنفسنا وبيئتنا ومجتمعنا [1] .

وقد احتوى الخطاب القرآني على هذا النّوع من الاتصال إذ يقول الله- سبحانه وتعالى-: ﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [2]

فهنا تفاعل سيّدنا (يعقوب) داخليّا مع رائحة قميص يوسف -عليه السّلام-، فعن طريق حاسّة الشّم عرف أنّ(يوسف) مازال على قيد الحياة، وعن طريق اللّمس ارتدّ إليه بصره. وقوله تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ ﴾ [3] وفي هذه الآية الكريمة نلمس الاتصال الذّاتيّ في حديث صاحب الجنّتين مع نفسه أسفا وحسرة وندما على زوال جنّته ونعمته بسبب شركه بالله- سبحانه وتعالى- .

[1] إبراهيم أبو عرقوب : الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي مرجع سابق ص 116
[2] سورة يوسف الآيات :93 - 96
[3] سورة الكهف الأية 42

ب- الاتّصال الشّخصيّ:

هو الاتّصال المباشر أو الاتّصال المواجهيّ حيث يمكن فيه أن نستخدم حواسنا الخمس ، ويتيح هذا الاتّصال التّفاعل بين الأشخاص والتّعرف على رجع الصّدى من المتلقّي ، ويعتبره **(صلاح خليل)** « أفضل أشكال الاتّصال ، إذ نوّفر للمتّصل فرصة التّعرف الفوريّ والمباشر على مدى تأثير رسالته في المتّصل به (المتلقّي) ومن ثم تصبح الفرصة أمام المتّصل سائحة لتعديل رسالته وتوجيهها بحيث تصبح أكثر إقناعا أو فعاليّة» [1] كما يمكن للقائم بالاتّصال ـ طبعاـ معرفة مدى فاعليّة رسالته و تأثيرها في المتلقّي من خلال ردّ فعله ، أو رجع الصدى حيث يتسنّى لهذا الأخير المشاركة في العمليّة الاتّصالية عن طريق المحاورة و المناقشة و الاتّصال الشّخصيّ الذي يتمّ بين مرسل ومستقبل أو مرسل ومستقبلين أو مرسلين ومستقبلين وجها لوجه دون استخدام وسائل اتّصال كالإذاعة والمطبوعات والتلفزيون[2].

ومن هذا القول نفهم بأنّ الاتّصال الشّخصيّ ينقسم بدوره إلى قسمين هما :

ـ شخصيّ (ثنائي): يكون بين شخصين فقط مثل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [3].

ـ جمعيّ : يحدث بين مجموعة من الأفراد حيث تتاح فرصة المشاركة للجميع في المواقف الاتّصاليّة مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [4].

---

[1] صلاح خليل أبو أصبع "الاتصال الجماهيري "مرجع سابق ص 13 - 14
[2] ينظر ابراهيم عرقوب : مرجع سابق ص 121
[3] سورة الكهف الآية 34.
[4] سورة يوسف الاية 08

ج ـ الاتّصال الجماهيريّ : هو اتّصال منظّم ومدروس ، يتمّ باستخدام وسائل الإعلام الجماهريّة ويتميز بمقدرته على توصيل الرّسائل إلى جمهور عريض متباين الاتّجاهات والمستويات ولأفراد غير معروفين للقائم بالاتّصال ، وتصلهم الرّسالة في اللّحظة نفسها وبسرعة مدهشة [1] بقصد التّأثير على معلومات أواتّجاهاتهم أو سلوكيّاتهم .

ويعرفه **(الطّنوبي)** بأنّه عبارة عن « بثّ رسائل واقعيّة أو خياليّة على أعداد كبيرة من النّاس يختلفون فيما بينهم من النّواحي الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسيّاسيّة والثّقافيّة ... وينشرون في مناطق جغرافيّة متفرّقة » [2] وتكمن أهميّة هذا النّوع من الاتّصال في سرعة وسهولة نقل الأفكار والمعلومات وتوجّهها إلى عدد كبير من الأفراد ، إلى جانب استخدام وسائل أكثر نجاعة وفعاليّة مثل :
الصّحف ، الكتب ، المجلات ، السّينما ، الانترنيت ، التّلفزيون ، الرّاديو[3]

وخلاصة القول أنّه يستحيل تجريد اللّغة وعزلها عن إطارها الحيويّ في المجتمع ، كما أنّه يستحيل دراستها دراسة صرفيّة ، أو نحويّة أو دلالية دون ربطها بالوظيفة الاجتماعيّة التي تؤدّيها ، فاندماج الفرد في اللّغة يعدّ مفتاح هذه الطّبيعة السّيكولوجيّة ، ذلك أنّ التّفكير بعمق وتكوّن العواطف البشريّة ، وإدراك مبادئ معيّنة،والتّعلم ، لا يمكنه أن يتأتّى إلاّ من خلال إدراكنا لكيفيّة استخدام الرّموز اللّغوية،وفهم معانيها الدّاخلية المرتبطة بها فهمًا صحيحًا [4]

8 ـ بعض النّماذج المشهورة لعمليّة الاتّصال :

المختصّون في علم الاتّصال يميلون إلى اعتبار **(هارواد لاسويل)** [5] (harold lasswell)أوّل من استخدم النّموذج لتصوير عمليّة الاتّصال ، وقد ظهر نموذجه عام 1948 في شكل خمسة أسئلة :

---

(1) ينظر صلاح خليل : مرجع سابق ص 15
(2) محمد عمر الطنوبي : نظريات الاتصال مرجع سابق ص 202
(3) ينظر ابراهيم أبو عرقوب : مرجع سابق ص 121.
(4) ينظر جيهان أحمد رشتي : الأسس العملية لنظريات الإعلام مرجع سابق ص 579
(5) هارولد دوايت لاسويل(HAROLD Dwight Lasswell) ، عالم اجتماع أمريكي (1978، 18 سبتمبر، 1902، 13 فبراير) (WWW.WIKIpedia.org)

من ؟ Who

يقول ماذا ؟ Says what

عبر أي وسيلة ؟ With which Chanel

لمن ؟ To whom

وبأي تأثير ؟ With which effects

ويقصد بمن ؟ المصدر أو القائم بالاتّصال، يقول ماذا ؟ يعني الرّسالة التي يتضمّنها كلام المصدر أو المرسل، عبر أيّ وسيلة ؟ بمعنى وسيلة الاتّصال أو وسيلة نقل الرّسالة (القناة) لمن ؟ مستقبل الرّسالة ويطلق عليه أيضا المستهدف أو المتلقي، وبأيّ تأثير ؟ يدلّ على الأثر الذي تتركه الرّسالة على تفكير المستقبل.

وحاول (**بيرلو) berlot** (1960) [1] شرح أربعة عناصر منها في نموذجه باختصار :

ـ **المرسل أو المصدر:** هو صاحب الرّسالة الإعلاميّة أو الوجهة التي تصدر عنها هذه الرسالة سواء أكانت هذه الجهة فردا أو جماعة أو هيئة معنوية أو جهازا...الخك

ـ **المستقبل:** هو من توجّه إليه هذه الرّسالة سواء أكان فردا أو جماعة أو هيئة معنويّة...

ـ **الوسيلة :** ما تؤدّى به الرّسالة الإعلاميّة سواء أكانت هذه الوسيلة صحيفة ، إذاعة،تلفزة ، خطبة أو معرضا ...وقد يطلق عليه اسم «القناة».

ـ **الرّسالة :** هي المضمون الذي تؤدّيه الوسيلة .

وإذا ما طبق نموذج **لاسويل** على الخطاب القرآني فيمكن أن يمثل له هذا المخطط:

[1] ينظر دليو فضيل : مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيري ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1998 :ص 46

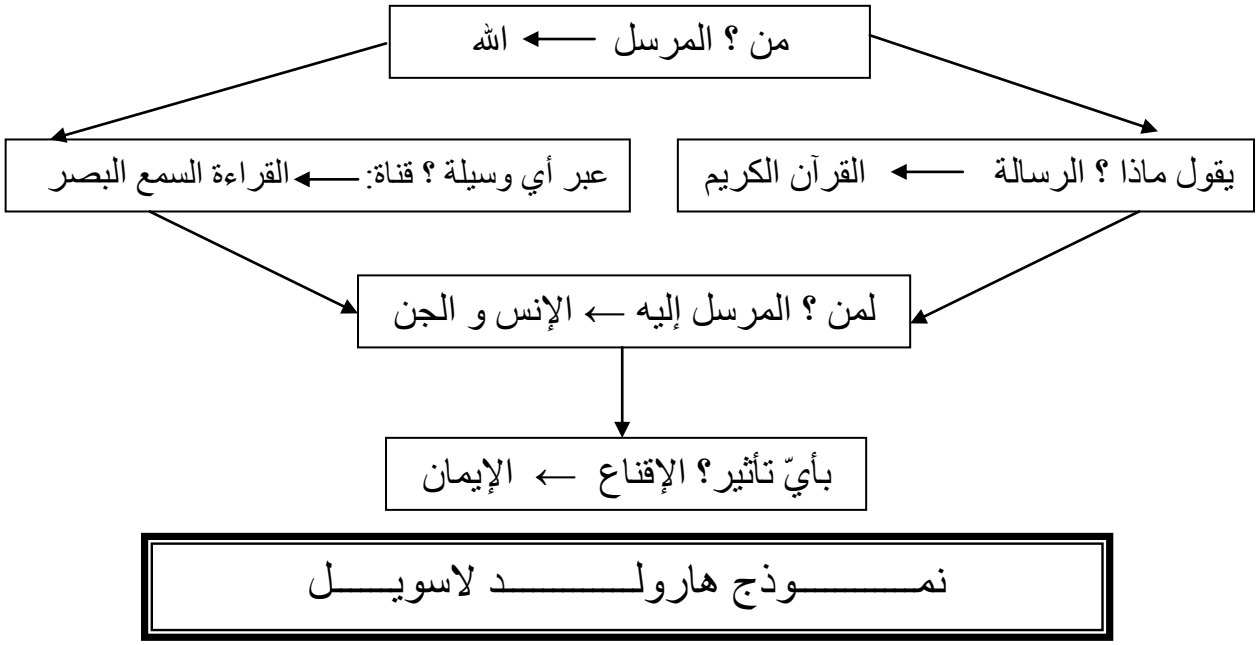

9- الاتّصال في اللّسانيّات الحديثة :

لقد ساهم بعض اللّسانين في مجال النماذج الاتّصالية ومن بينهم :

1- فرديناند دي سوسير[1]:

تتّضح عمليّة الاتّصال عنده من خلال مخطّط سمّاه دائرة الكلام يتمثّل في الشّكل الآتي:

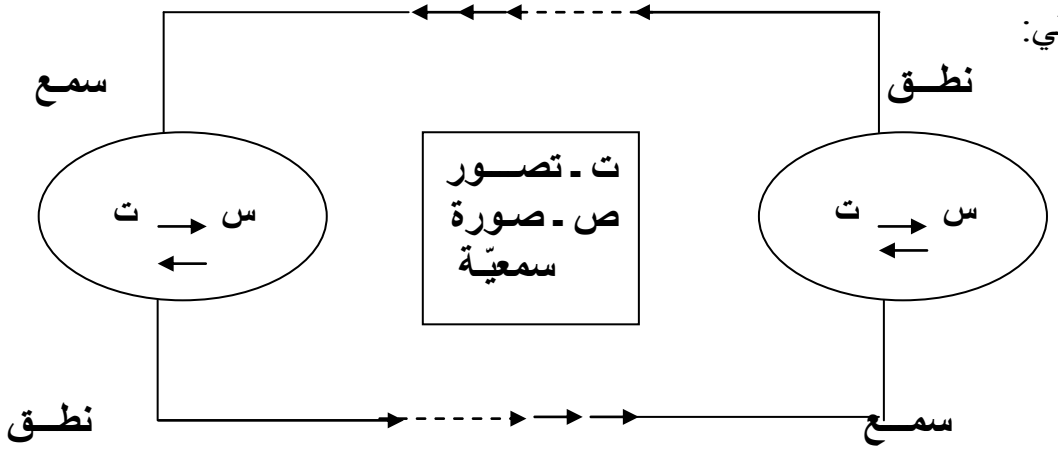

يشير **(دي سويسر)** إلى أنّ عمليّة إعادة بناء دائرة الكلام واكتمالها ،إنّما تفرض على الأقل وجود شخصين ، ثم يشرح كيف تتمّ عمليّة التّواصل أو التّخاطب بينهما يرمز لهما بـ **(أ)** و **(ب)** ، فيقول :« إنّ نقطة انطلاق الدّائرة تكمن

[1] فرديناند دي سوسير: (1857 نوفمبر26، 1913 فبراير 22)، عالم لغوي سويسري ، يعتبر الأب و المؤسس لمدرسة البنوية في اللسانيات.(WWW.WIKIpedia.org)

في الدّماغ أحد المتحاورين ولنقل المتحدث (أ) ، مثلا حيث تترابط وقائع الضّمير المسمّاة تصورات (concept) مع تمثيلات العلامات الألسنيّة ، أو الصّور السمعيّة المستخدمـــــــة في التّعبير عنها ، ولنفترض أن تصوّرا ما يثير في الدّماغ صورة دماغـــــــــيّة مماثلة ، فهذه ظاهرة نفسيّة كليّا تتّبعها بدورها آلية فزيولوجيّة ، فالدّماغ ينـــــــقل إلى أعضاء النطق ذبذبات ملازمة وهذه الآلة فيزيائيّة بشكل صرف ثم تستمرّ الدّارة حتى المستمع (ب) في اتّجاه معاكس»[1]

فعمليّة التّواصل عنده تتشكّل من ثلاثة فروع هي :

1- المسافة : وهي البعد الزّمنيّ الفاصل بين الباثّ والمستقبل أثناء التّبليغ ، حيث يمثلها في مخططه بنقاط مستمرة مباشرة بعد السّهم .

2 - الجانب النّفسيّ الفيزيولوجيّ : يمثل ظاهرتي التّلفّظ والاستماع أين يقوم الباثّ بإرسال أصوات متتابعة تشكلّ كلمات ذات معنى ، ويتمّ ذلك في شكل ذبذبات صوتيّة تقرع طبلة أذن المتلقّي فيقوم بتأويلها وفقا لتصوّراته الذّهنيّة .

3 - الجانب الدّلاليّ : يمثل العلاقة التّلازميّة بين المفهوم الذي يمتلكه كـــــــــــلّ من المتخاطبين ومدى مطابقــته للـــــــــــــصّور السّمعيّة (les Images acoustiques)[2]، فعدم مطابقة الصّورة السّمعيّة للتّصورات الذّهنيّة لدى طرفي الاتّصال أو لدى أحدهما من شأنه أن يؤدّي إلى فشل عمليّة التّواصل بينهما

و يعتبر **(رومان جاكبسون) (Roman Jakobson)**[3] أيضا من أهم العلماء الذين تحدّثوا عن عملية الاتّصال من زاوية لسانيّة ، حيث أسّس نظرية التّواصل اللّغوي

---

[1] فردينا نددي سوسير : " محاضرات في الألسنية العامة . تر يوسف غازي و مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة1986 ص 23

[2] المرجع نفسه ص 23

[3] رومان جاكبسون : (Romain Jacobson): ولد بتاريخ 11-10-1896 في موسكو ، و توفي بتاريخ 18- 07- 1982 في ولاية بوسطن الأمريكية ، كان هذا العالم أحد أعضاء الحملة السوفيتية إلى براغ عام 1920 ، و أحد مؤسسي مدرسة براغ اللغوية عام 1933. غادر براغ عشية الحملة الفاشية الألمانية على تشيكوسلوفاكيا إلى الدانمرك و منها إلى النرويج ثم إلى السويد . و في عام 1941 توجه إلى أمريكا للعمل في مجال علوم اللغة في الجامعة الفرنسية في المهجر ، توصل سنة 1960 إلى تقديم نموذج الوظائف اللّغوية. (WWW.WIKIpedia.org

انطلاقا من العلاقة الوثيقة بين اللّسانيات و مختلف العلوم [1] و خاصّة علم الاتّصال الذي اهتم به اهتماما بالغا باعتبار أنّ اللّغة هي الوسيلة الأولى التي تؤسّس كل عمليّة تواصليّة بالنّسبة للإنسانيّة جمعاء [2]. وتتمثل عناصر الشّبكة عنده في المرسل (المتكلّم أو المبدع أو الكاتب)، والمرسل إليه (السّامع، المتلقّي) والرّسالة (المحتوى، الموضوع) والقناة (النّاقلة) والسّياق (المرجع) والسّنن (الرموز وقوانين التّرميز) [3]

لقد حاول **(جاكبسون)** إيضاح أنّ أيّ رسالة تحمل عدّة وظائف ، ممّا سمح له باكتشاف وظائف متميّزة بقدر عناصر المخطوط ، سنحاول إيضاحها باختصار،وهي:

1- الوظيفة التّعبيريّة :La Fonction expressive تخصّ مرسل الرّسالة، وتعبّر عن مواقف لمحتوى رسالة ما، الرّسالة تأتي بمعلومات حول انفعالات، عواطف و أفكار المرسل و الرّسالة التعبيريّة هنا تحمل علامة الذاتيّة للمرسل.

2- الوظيفة الإفهاميّة La Fonction conative : و تتولّد عن المرسل إليه حيث إنّ الرّسالة تهدف إلى ممارسة فعل على هذا المستقبل يتمثل في مثلا: طلب ، أمر، رسالة إشهاريّة، أو دعائيّة ... الرّسالة هنا تتركّز بخاصّة في مميزات و ردود فعل المستقبل و التي تحاول هذه التّأثير عليها.

---

[1] رابح بوحوش ،" الخطاب والخطاب الأدبي وثورته اللغوية على ضوء اللسانيات وعلم النص ، مجلة اللغة و الأدب ، العدد12، ديسمبر 1996، ص 171

[2] Romain Jakobson, Essai de linguistique général, Tome (2) : Les éditions de minuit, paris 1973

[3] بوحوش مرجع سابق ص 172

3- الوظيفة المرجعيّة: La Fonction référentiel

و تمثّل هنا السّياق بمعنى الإحالة على أشياء و موجودات تمّ الحديث عنها [1] فالخطاب العلميّ و الإعلام الموضوعيّ اللّذان يسردان أحداثا حقيقيّة وواقعيّة ، هما رسائل ذات وظيفة مرجعيّة[2].

4- الوظيفة الانتباهيّة La Fonction phatique : تولد عن القناة و هي نوع من الحرص على إبقاء التّواصل بين طرفي الجهاز أثناء التّخاطب ، و في مراقبة عمليّة الإبداع [3] و توجد هذه الوظيفة في الاتصالات الهاتفيّة مثلا العبارات التّالـــية ألو ... هل تسمعني ؟ و تستعمل لجلب انتباه المستمع و ضمان التّواصل المستمر.
الوظيفة الانتباهيّة تلعب دورا مهما في أغلب طرق الاشتراك (الطقوس و الشعائر الدينية ، الاحتفالات الخطابات....الخ).

5 - الوظيفة المعجميّة La Fonction métalinguistique :تتولّد عن السّنن Code بمعنى أن تكون اللّغة مشتركة بين طرفي التّخاطب ، مهمتها إعطاء توضيحات ، معلومات دقيقة حول الرّمز و استعمالاته ، و تستند على الكلـــمات وعلى باقي الإشارات التي تمثل سند الاتّصال بهذه الرسائل، المستمعون يتحققـــــون ما إذا كانوا سيستمعون بالرموز نفسها أم لا ، و القاموس يـــــؤدي في هذه الحالة وظيفة ما وراء لغوية.

6- **الوظيفة الشّعريّة La Fonction poétique** : تضع بديهيّا الجانب المحسوس للإشارات ، كلّ ما في الرّسالة ما يجلب معان إضافيّة عن طريق لعبة بنية الإشارات المستخرجة من الوظيفيّة الشّعريّة في الفنّ و الأدب ، الرّســـــــالة عن طريق شكلها تأخذ استقلاليّة خارج الوضعيّة الاتّصاليّة التي أسّستها أداة اتّصال

---

[1] بوحوش مرجع سابق ص 173

[2] Grilles Armando, Andre Guitlet, Dynamique des communication , 1993, P37

[3] بوحوش مرجع سابق ص 173

في وقت معطى حتّى تصبح الموضوع في حدّ ذاته.

ويمكن تمثيل هذه الوظائف في المخطط التالي :

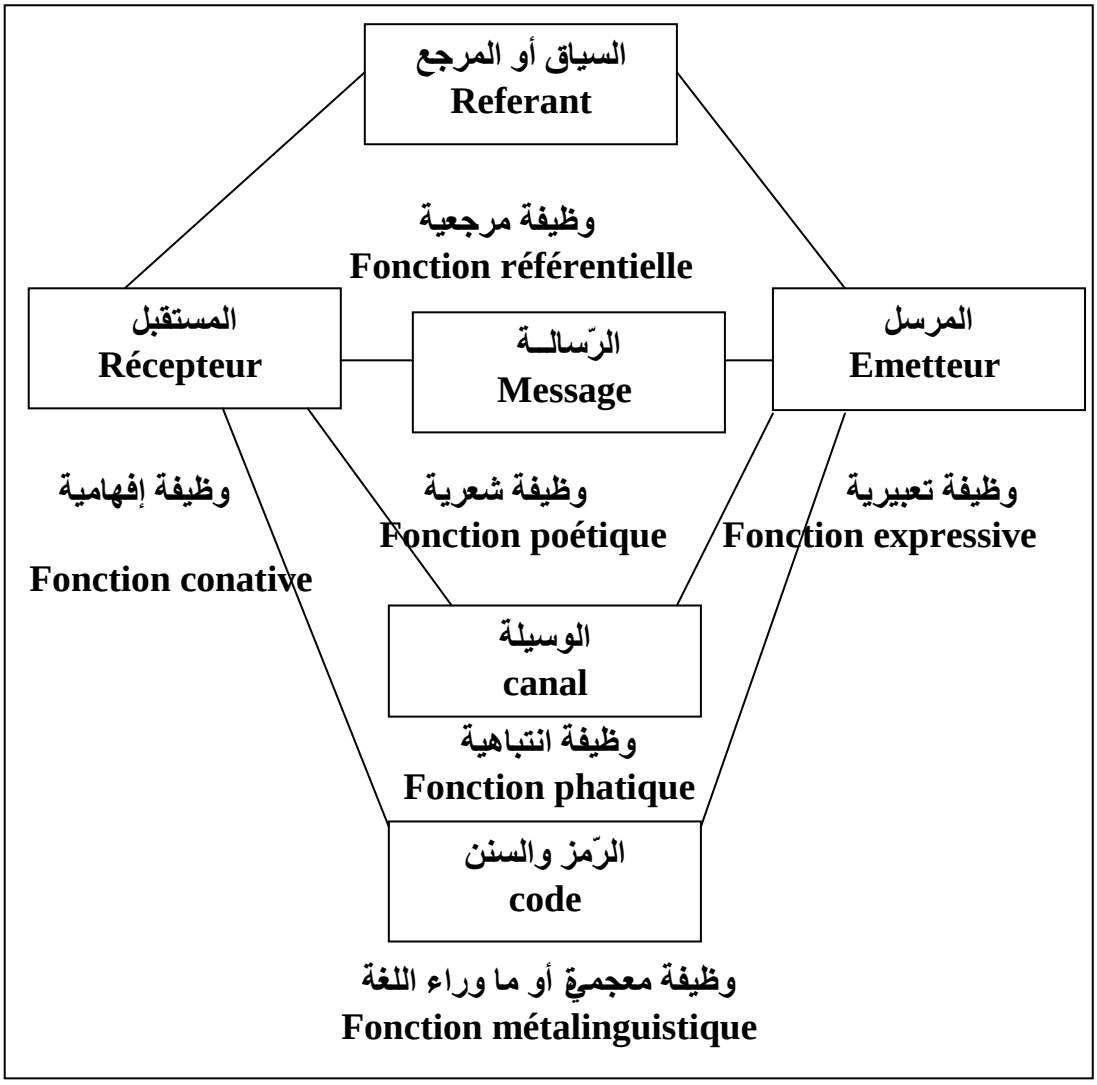

من خلال هذا المخطط المقدم من طرف **(جاكبسون)** يتّضح لنا أنّه قدم لنا إسهاما بالغا في تحليل عناصر العمليّة الاتّصاليّة و بخاصة ما يتعلّق بعنصري المرجـــــــع و السّنن أو الرّموز أين بيّن لنا أهميّة هذين العنصرين في استمرار العملية الاتّصاليّة مع تركيزه على وظيفة يعتبرها جد أساسيّة أو بالأحرى هي محور العمليّة الاتّصاليّة و هي الوظيفة الشّعريّة التي تقوم بها الرّسالة ، فالرّسالة حسبه هي التي تشكل عمود التّواصل بل يعتبرها موضوع العمليّة الاتّصاليّة في حدّ ذاتها ، هذا و إن كان النّموذج المقدّم من طرف **(جاكبسون)** ذا صبغة لسانيّة بحتة ، إذ يضـــــع في الاعتبار اللّغة ليس وسيلة اتّصالية فحسب بل المؤسّسة للعمليّة الاتّصاليّة ، رغم أنّنا نعلم أن هناك وسائل أخرى يمكن أن يحدث بواسطتها اشتراك فـــــي الاتّصال و هي الإيماءات ، الإشارات ...إلخ ، أو ما يسمّى بالاتّصال غير اللّفظيّ.

10- تقنية الاتّصال عند شانون و ويفر:

من النّظريّات الأولى التي اعتبرت حافزا لتطوّر العديد من النّماذج الاتّصاليّة اللاحقة « هي النّظرية الهندسيّة للاتّصال » التي جاء بها المهندس **(شانون) (SHANNON)**[1] ، المبنية أصلا على المفهوم الإحصائيّ الحسابيّ لعمليّة الاتّصال التي جاء بها **(ويفر) (WEAVER)**[2].

فهي لا تقتصر على التّواصل اللّسانيّ وحده، بل تخص ظاهرة الاتّصال بشكل عامّ، و المهمّ في هذه الدّراسة هو تلك الدّلالة الكامنة وراء الأصوات في اللّغة الشّفويّة ، ثم وراء الأحرف في اللّغة المكتوبة ، مع تحدّد عدد الرموز و الشفرات الموظّفة من قبل المتكلّم أو الكاتب[3].

و يعتمد النّظام الاتّصالي وفقا لنموذج **(شانون)** و **(ويفر)** على مصدر المعلومات الذي ينشىء رسالة يختارها من بين العديد من الرّسائل المحتملة و قد تكون هذه الرّسالة على هيئة شيء يتمّ إدراكه بالسّماع أو النّظر حيث يقوم جهاز البثّ بتحويـــــل الرّسالة إلى رموز أو ذبذبات كهربائيّة حسب نوع جهاز البـــــــثّ أو الإرسال، سواء أكانت مطبـــــوعة أو إذاعة أو تلفزيون ، و في الجانب الآخر من عمليّة الاتّصال يقوم جهاز الاستقبال مثل الرّاديو أو التّلفزيون أو التّلفون بإعادة تلك الرموز أو الذبذبات الكهربائيّة إلى الشّكل المسموع أو المرئي حتى يتسنى للمستقبل فهم محتواها [4] , و الشّكل التّالي يوضح ذلك.[5]

---

[1] كلود إيلود شانون: (1916- 2001)، عالم أمريكي في الرّياضيات ، يعتبر من مؤسسي نظرية المعلومات ، توفي و عمره 84 سنة. WWW.WIKIpedia.org

[2] ورين ويفر: ولد سنة 1878 و توفي سنة 1978 ، عالم أمريكي رياضي ومدير أبحاث . (WWW.WIKIpedia.org

[3] ينظر : عبد الجليل مرتاض : " اللغة والتواصل " دار هومه للطباعة، الجزائر، ص 83

[4] ينظر : سعيد إسماعيل صيني : شروط القائم بالاتصال عند المسحيين والمسلمين أطروحة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم الإعلام 1988ص 67

[5] Lucien SFEZ : Dictionnaire Crique de la communication, PUF, 1993, tome (1) P : 482

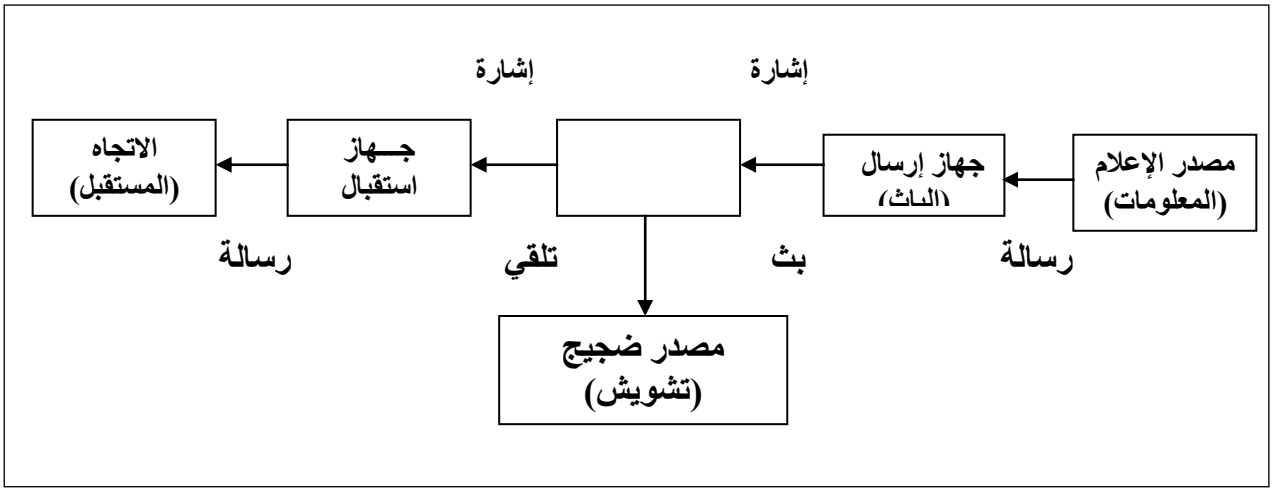

إذن عمليّة الاتّصال عند **(شانون)** و **(ويفر)** تعتمد على العناصر التّالية:

- مصدر إعلام (المعلومات)
- الرّسالة.
- جهاز الإرسال(باث)
- إشارة مبثوثة
- مصدر ضجيج (التّشويش)
- إشارة مستقبلة
- جهاز استقبال(متلقّ)
- الاتّجاه

فهذا المخطط الاتّصالي يمكن تطبيقه على جميع أنواع الاتّصال و وسائله ، فمـــــثلا إذا كان الاتّصال بواسطة الهاتف فإنّ القناة تكون عبارة عن خيوط سلكيّة و الإشارات التي تنتقل عبرها تتمثل في التّيار الكهربائي المتّصل بتلك الخيوط و الباثّ في هذه الحالة هو « باثّ هاتفيّ » حيث يتحوّل ضغط الصّـــوت (La Pression de son) إلى تيّار كهربائيّ.

و أمّا الاتّصال بواسطة اللّغة المنطوقة فإنّ الدّماغ يعتبر مصدر الإعلام (Source de l'information) بينما يعتبر الباثّ الآلة الصّوتيّة المنتجة لذلك الضّغط الصّوتيّ الذي يعدّ الإشارة المتنقّلة عبر الهواء أو القناة[1].

(1) Voir : Lucien SFEZ : Dictionnaire Crique de la communication, PUF, 1993, tome (1) P : 482

و ما يمكن استخلاصه من هذا أنّه يوجد قاسم مشترك بين النّظريّات الرياضيّاتيّة للاتّصال و بين النّظريات اللّسانية الحديثة يتمثل في اللّغة و تحديدا في الصّـــــــوت فإذا كان **(جاكبسون)** قد استفاد من نظريّة شانون في الاتّصال فإنّ هذا الأخـــير قد استفاد من نموذج **(دي سوسير)** التّخاطي حيث إنّ **(شانون)** ينطلق في نظريّته الرياضيّاتيّة من عنصرين مهمّين: الباثّ و المتلقّي ، الذي مثّل لها **(دي سوسير)** بالرّمز- أ - و - ب - و أمّا ما سمّاه **(دي سوسير)** بالمفهوم (La concept) و الذي يعتبر الحامل الفكريّ للرّسالة فقد اعتبره **" شانون"** في مخططه مصدر الإعلام (Source d'information) ، كما أنّ تبادل المفاهيم و الصّور السّمعيّة بين الباثّ و المتلقّي يتجسّد في تركيب الرّسالة و تفكيكها بشكل دوري منتظم[1].

و خلاصة الكلام حول نظريّة الاتّصال عند **(شانون)** و **(ويفر)** هي أنّ كلّ عمليّة تخاطب تقتضي جهازا أدنى يتكوّن من باثّ و مستقبل و ناقل ، فالباثّ هو المـــــتكلّم أو القائم بالاتّصال الذي يقوم بعمليّة التّركيب ، أي صياغة المفاهيم و المتصوّرات المجرّدة في نسق كلاميّ محسوس ، يـــــــــنقل عبر القناة الحسيّة بواسطة الأداة اللّسانية ، وأمّا المستقبل فهو المخاطب الذي يقوم بعمليّة التّفكيك ، فالملاحظة أن عمليّة التّركيب تنطلق من المتصوّر المجرّد لتجسيمه قي قالب كلاميّ محسوس ، بينما تنطلق عمليّة التّفكيك من موضوع حسّيّ لإرجاعه إلى مدلولاته المجرّدة[2].

و الشّرط الأساسيّ الذي يجب أن تتوفّر عليه هذه النّظريّة التي تعتمد في بناء الرّسالة على تقنيّة التّركيب و التّفكيك بين الباثّ و المستقبل هو اشتراكهما في الرّموز المستعملة في لغة تخاطبهما ، حتى تنجح العمليّة الاتّصاليّة و تتحقّق الغايات المرجوّة من الرّسالة ، سواء أكانت إعلاميّة أو تربويّة أو تعليميّة أو إقناعيّة.

---

(1) Voir : Gisel Gschwind holtzer, analyse sociolinguistique de la communication, Crédif Hatier, France, 1981, P12

(2) ينظر: عبد السلام المسدي :" الأسلوبية والأسلوب" ط2 الدار العربية للكتاب ص 62

الفصل الثاني : الإقناع :استراتيجياته و أساليبه

1 - مفهوم الإقناع:

إنّ الإنسان باعتباره كائنا اجتماعيّا مفطور و مجبر على التّواصل و التّعايش مع غيره ليحقّق أغراضا اجتماعيّة و سياسيّة و اقتصاديّة و علميّة... و يعرض أفكاره و يبدي رأيه و وجهة نظره، و حتّى يبلغ و يحقّق ذلك كان لزاما عليه أن ينتهج استراتيجيّات و أساليب إقناع.

فما مفهوم الإقناع؟ و ما هي استراتيجياته و أساليبه؟

الإقناع لغة: من مادّة قنع، هو الرّضى بالشيء، نقول: قنع بنفسه، قنعا و قناعة رضي[1] ، و من أمثال العرب « خير الغنى القنوع ، و شرّ الفقر الخضوع»[2] و المقصود بقناعة النّفس، الاقتناع؛ و هو الرّضى بالشيء.

و أمّا الإقناع اصطلاحا: تعني حمل الشخص على اعتقاد شيء [3] . و هذا ما يراه **(القرطاجني)** في كتابه «منهاج البلغاء» حيث يقول: « أنّ الإقناع هو حمل النّفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو اعتقاده »[4]- أي: القدرة على جعل المتلقّين يؤمنون بصحة و صواب أفكار معيّنة أو جعلهم يتخلّون عن أفكار و أمور كانوا يعتقدون صحتها و صوابها.

و يظهر هذا المعنى جليّا عند **(الجاحظ)** - و إن لم يرد بلفظه - فيما أكّده حول مكانة الكلام البليغ و وقعه في النّفوس، إذ يقول: «إذا كان المعنى شريفا و اللفظ بليغا و كان صحيح الطبع، بعيدا عن الاستكراه، و كان منزّها عن الاختلال مصونا عن التّكلف، صنع في القلب صنع الغيث في التّربة الكريمة»[5] .

فمعنى ما يصنعه الكلام البليغ في النّفس هو قوة التّأثير فيها وهو سبيل الإقناع،وكثيرا ما يستعمل أهل الكلام و الفلسفة كلمة التّصديق للدّلالة على الإقناع العقلي الذي يحصل في النّفوس فيقول **(ابن رشد)** : « إن طباع النّاس متفاضلة في التّصديق فمنهم من يصدّق بالبرهان ومنهم من يصدّق بالأقاويل الجدليّة تصديق صاحب البرهان بالبرهان ، إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك ، ومنهم من يصدّق

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب ،مادة"قنع" ص321

(2) الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة و النشر بيروت 1984 مادة " قنع" ص524

(3) Nouveau dictionnaire analogique, paris, ed références la rousse, 1981 p : 521

(4) حازم القرطاجني، منهج البلغاء، تحقيق محمد بن الخوجة، دار الكتاب الشرقية ، تونس 1966، ص20

(5) الجاحظ: البيان و التبيين،تحقيق حسن السنوسي ط4، ج3 ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، 1956، ص37

بالأقاويل الخطابيّة كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانيّة »[1]، والإقناع في العصر الحديث مصطلح يعني حمل الإنسان على اعتقاد رأي للعمل به [2] .

فالإقناع - إذن- هو سوق الحجّة الكافية التي يتطلّبها موقف المجادلة و المساجلة.

وحسب **(جوديت لازار)** ،الإقناع يستند إلى مساعي معمولة من أجل تغيير السّلوك عن طريق علاقات وتبادلات رمزيّة (رسائل) [3]، والإقناع عكس الإكراه فمثلا الدّولة في تعاملها مع الشعب تملك سلطتين ، سلطة الإقناع وسلطة الإكراه ، وتمثل هذه الأخيرة فشل الأولى ، كما أنّ مدى استعمال سلطة الإكراه يظهر حدود مجهودات الإقناع الموظّفة لصالح فكرة ما [4]. ويفهم من هذا القول أنّ الإقناع يخضع لسلطة العقل بتوظيف الحجّة والبرهان، والإكرا ه يخضع لسلطة القانون بتطبيق سياسة العقاب والقهر، فالإقناع عقليّ والإكراه قهريّ.

وهذا ما يراه **(إبراهيم أبو عرقوب)** : « أنّ الإقناع هو أن تجعل شخصا يقوم بعمل ما عن طريق النّصح والحجّة والمنطق أو القوة فهو اتّصال مكتوب أو شفويّ أو سمعيّ أو بصريّ يهدف بشكل محدّد إلى التّأثير على الاتّجاهات والاعتقـــادات أو السّلوك» [5] ، وأمّا **(محمد عبد الرحمان عيسوي)** فيقول : « إنّ الإقناع يخضع يخضع للقوانين التي تحكم عمليّة الإدراك والمعرفة ....إنّ الفرد يميل إلى الإقناع بالإيحاءات التي يعتقد أنّها تصدر من الأشخاص ذوي المكانة الاجتماعيّة البرّاقة »[6] البرّاقة»[6] ,أشار صاحب هذا القول إلى أهميّة المكانة الاجتماعيّة للمرسل - المتمثلة في الجاه والمنصب وقوة الشخصيّة - في عمليّة الإقناع ، نهيك عن قوة الإدراك والمعرفة .

وهو عند **(عامر مصباح)**: «عمليّة إيصال الأفكار والاتّجاهات والقيم والمعلومات إمّا إيحاءاً أو تصريحاً، عبر مراحل معيّنة وفي ظل حضور شروط موضوعيّة وذاتيّة مساعدة وعن طريق عمليّة الاتّصال»[7].

وتعرّفه **(ليلى داود)** « بأنّه آليّة رئيسيّة لتكوين الآراء والمواقف»[8]

ويعرّفه **(الصرايرة محمد نجيب)** على « أنّه محاولة واعية للتّأثير في تفكير الآخرين وسلوكيّاتهم من خلال استخدام استمالات شّخصيّة ومنطقيّة ونفسيّة »[9] الأمر الذي يستنتج من هذه التّعاريف هو اشتراكها واتّفاقها - جميعا على وجود آليّات وعوامل تخدم عمليّة الإقناع .

---

(1) الوليد بن رشد : فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال تحقيق : محمد عمارة ،ط3، المؤسسة العربية للدراسات و النشر 1986 ص 31

(2) Grand Larousse, encyclopédie, 1984, P:690

(3) Voir : Judith Lazare, Sociologie de la Communication de masse, Paris Armand Colin, éditeur, 1991, P166

(4) Voir: Michel le net, l'etat annonceur technique, doctrine de la communication social, Paris, 1958, PP34,36

(5) إبراهيم أبو عرقوب : الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي ط 1، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع ، الأردن 1993 ص 189

(6) عبد الرحمان عيسوي ، دراسات في علم النفس الاجتماعي ط(1) النهضة العربية بيروت ، 1974 ص 16

(7) عامر مصباح :" الإقناع الاجتماعي " ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص 16

(8) المرجع نفسه ص 16

(9) الصرايرة محمد نجيب : العلاقات العامة للأسس و المبادئ مكتبة الرائد العلمية ، الأردن ، 2001 ، ص 94

2 – استراتجيّات الإقناع :

كان فنّ الإقناع قديمـًا، وقبل ظهور وسائل الإعلام الجماهيريّ ة، يعتمد أساسًا على فنّ الكلام من خلال ما يعرف بالفصاحة أو علم البيان الذي يستعمل للإشارة إلى فنّ استخدام اللّغة للتأثير على أحكام الآخرين وسلوكهم.

لقد كانت تلك مهارة هامّة بالفعل ، ومع ازدياد تطوّر المجتمعات ، ازدهر فنّ الإقناع الشفهيّ بالكلام الفصيح ، هذا عن فنّ الإقناع الذي مورس منذ قرون ، غير أنّ علم الإقناع هو نتاج القرن العشرين بعد انتشار وسائل الإعلام الجماهرية وتطوّرها والتي تهدف إلى التّأثير على أفكار وسلوكيّات الجمهور العريض .

وتأثير الرّسالة الإعلاميّة يبدأ بإقناع الجمهور بمشاهدتها أو الاستماع إليهـــا أو قراءتها....وعمليّة الإقناع تبدأ من فكرة وطريقة التّعبير عنها وأسلوب نقلها ، والرّبط بين الفكرة والتّعبير عنها وكيفيّة نقلها ، من الأمور الشائعة بين دارسي الإعلام وخبرائه ، حيث عرض الباحثون ثلاث استراتجيّات نظريّة للإقناع ، يخاطب كل منها: نفس المتغيّر التّابع ،وهو السّلوك العلنيّ ، وتتمثل هذه الاستراتجيّات فيما يلي :

أ- الاستراتجيّة الدّيناميّة النّفسيّة :

تعتمد هذه الاستراتجية على العامل السيكولوجي لإحداث عمليّة الإقناع والتّأثير في سلوك الفرد بواسطة إثارة الجوانب الانفعاليّة والعاطفيّة فيه ، وتوظيفها بشكل يؤدّي بالفرد إلى تقبّل ما يتلقّاه أو على الأقل يتجاوب معه تجاوبا ايجابيّا .

ومن المعروف « أنّ المخلوق البشريّ تركيب معقّد من مكوّنات بيولوجيّة وعاطفيّة وإدراكيّة ، ومن بين هذه الأنواع الثلاثة لابدّ أن ترتكز الاستراتجيّة الديناميّة النفسيّة إمّا على عوامل عاطفيّة أو عوامل إدراكيّة ، إذ من المستحيل تعديل عامل بيولوجيّ موروث كالطّول أو الجنس ... » [1] ، « ويعمد الواضعون لهذه الاستراتجيّة إلى تحديد مجموعة خطّيّة من المفاهيم هي المعبّر عنها بالحاجات النفسيّة والدّوافع والمعتقدات والمصالح ، وأسباب القلق والمخاوف والقيم والآراء والمواقف ،وتعتبر هذه العناصر بواعثا أساسيّة لسلوك الفرد، ومعيار فهم اختبارات السّلوك لدى الفرد وتفضيلاتـه وأولويّاته أي أنّها البوّابة الرئيسيّة لفهم أعمق لعمليّة

[1] معتصم بابكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ط 1 كتاب الامّة الدّوحة 2003 ص 37 -38

الإقناع والتّأثير »[1] إلاّ أنّ تغيير السّلوك أو تعديله يختلف من فرد إلى آخـــــــر على حسب تأثير هذه البواعث والعوامل فيه ، وعلى حسب استجابته لها .

إنّ العواطف تمثل أساسا واضحا لاستراتجيه الإقناع ، ولكنها تستعمل في حالات محدودة من المواقف ، وهناك محاولة للتّأثير على العوامل الإدراكيّة ويعود هـــذا إلى افتراضين :

- العوامل الإدراكيّة مكتسبة من عمليّة التنشئة الاجتماعيّة .
- العوامل الإدراكيّة هي مؤثرات على السّلوك الإنساني ّ، فإنّه إذا كان من الممكن تغيير العوامل الإدراكيّة فسيتسنّى عندئذ تغيير السّلوك [2]

ومن هنا يكن القول : « إنّ جوهر الاستراتجيّة الديناميّة النفسيّة هو استخدام رسالة إعلاميّة فعّالة لها القدرة على تغيير الوظائف النّفسيّة للأفراد لكي يستجيبوا لهدف القائم بالاتّصال ، أي أنّ مفتاح الإقناع يكمن في تعليم جديد من خلال معلومات يقدمها القائم بالاتّصال لتغيير البناء النّفسيّ الدّاخليّ للفرد المستهدف (الاحتياجات ـ المخاوف ـ التّصرفات) مما يؤدي إلى السّلوك المرغوب فيه» [3]
والرّسم التّالي يوضّح مخطّط الاستراتجيّة الديناميّة النّفسيّة للإقناع [4]

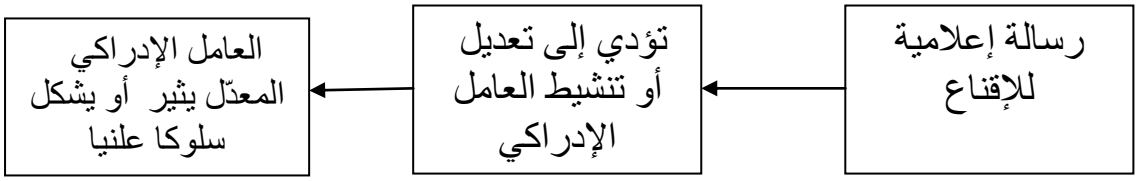

ـ أمّا القرآن الكريم فقد اعتمد الاستراتجيّة الدّيناميّة النّفسيّة منهجا لتغيير مواقف النّاس وأفكارهم وسلوكيّاته م ، وتقويمها وتوجيهها وتصحيحها من خلال أساليب الأمر والنّهي والتّرغيب في الجنّة ونعيمها ، والتّرهيب من النّار وشقائـــها وفي هذا يقول **(معتصم بابكر مصطفى)** : « تقع آيات التّرغيب والتّرهيب ضمن هذه الاستراتجيّة، هي كثيرة جدّاً ،غالبة، طاغيّة ، ومقصدها الزجرُ من ارتكاب محظور ، أو الحث على امتثال مأمور ، وغاية الكلّ صلاح الفرد وفوزه ونجاته من النّار »[5]

---

(1) عامر مصباح : الإقناع الاجتماعي مرجع سابق ص 51
(2) ينظر ملفين دفلير ـ ساندرا روكشيش : نظريات وسائل الإعلام ترجمة : كمال عبد الرؤوف ط 5 الدار الدولية للاستثمارات الثقافية القاهرة 2004ص 380
(3) معتصم بابكر مصطفى : المرجع السابق ص 38 -39
(4) ميلفين دفلر ـ ساندرا روكتيش مرجع سابق ص 384
(5) معتصم بابكر مصطفى : المرجع نفسه ص 78 -79

ومن أمثلة الآيات التي تدخل ضمن هذه الاستراتجيّة على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾[1]

ففي هاتين الآيتين الكريمتين ترغيب وترهيب ، حيث يبشّر الله - سبحانه وتعالى- المؤمنين الذين يعملون الصّالحات بأنّ لهم أجرا كبيرا ألا وهو الجنّة ،بالتّالي هذا أسلوب ترغيب لكلّ عاقل في عمل الصّالحات لنيل الأجر والفوز بالجنّة ، وبالمقابل هناك ترهيب للذين لا يؤمنون بالآخرة بأنّ لهم عذابا أليما فأسلوب التّرهيب هـــذا فيه من التّهديد والوعيد والتّخويف ما يمكن أن يغيّر أفكار الذين لا يؤمنون وسلوكيّاتهم مــن اللاّ إيمان إلى الإيمان.

ومن أمثلة ذلك - أيضا - قولـــــــه تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2]

ففي هاتين الآيتين تقرير لنبوّة محمّد - صلّى الله عليه وسلّم - وتحدّ من الله تعالى للكافرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو ببعضه، فإن عجزوا - والحال أنّهم سيعجزون - فالنّار مثواهم، فهو تهديد ووعيد لهم [3].

(1) سورة الإسراء الآيتان : 09 -10
(2) سورة البقرة الآيتان : 23-24
(3) معتصم بابكر مصطفى : المرجع السابق ص 79

وقوله تعـــــالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[1]

تشير الآيتان إلى وجوب إتّباع هدى الله ومن اتّبعه فلا يضلّ الطّريق المستقيم طريق الهدى والحقّ ولا يشقى في الآخرة، وبالمقابل فإنّ الشّقاء في الدّنيا و الآخرة هو عقاب من ضلّ وابتعد عن دين الله [2] .

ب - الاستراتجيّة الثقافيّة الاجتماعيّة :

إذا كانت الاستراتجيّة الديناميّة النّفسيّة تعمل على أن تسيطر على سلوك الفرد من الدّاخل وفقا لقواعد علم النّفس ، فإنّ هناك علوما اجتماعيّة أخرى تفترض أنّ قدرا كبيرا من السّلوك الإنساني تشكّله قوى من خارج الفرد [3] تلك هي الاستراتجيّة الثقافيّة الاجتماعيّة.

وتقوم هذه الاستراتجيّة على فكرة مفادها أنّ الثّقافة تؤدّي وظيفة حيويّة في تشكيل السّلوك البشريّ ، وأكثر من ذلك أنّها تتحكّم في الأنماط السلوكيّة المنبثقة عن الشخصيّة فهي الخلفيّة الفكريّة والمعرفيّة والاعتقاديّة للسّلوك ، فالثّقافة تحمل في طيّاتها الأشكال السّلوكيّة والقوالب الفكريّة التي تطبّع عليها الفرد ، ويضاف إليها كذلك عمليّة التّعلم الاجتماعيّ التي هي أحد أشكاله ، فالثّقافة ليست حكرا على معاهد أو مؤسّسات تعليميّة ، وإنّما قد تكتسب بطريقة عفويّة وتلقائيّة نتيجة تفاعل للفـــرد مع محيطه .

وانطلاقا من هذه الاعتبارات تبنى الاستراتجيّة الثّقافيّة الاجتماعيّة في الإقناع والتّأثير [4] .

إذن، هذه الاستراتجيّة تؤكّد ما وصلت إليه العلوم والدّراسات الاجتماعيّـــــة من التّأثير القويّ للثّقافة على السّلوك ، ويظهر هذا التّأثير في السّيطرة على التّصرف الإنسانيّ [5] « فما تتطلّبه استراتجيّة ثقافيّة اجتماعيّة فعّالة هو أن تحدّد رسائل الإقناع للفرد قواعد السّلوك الاجتماعيّ ، أو المتطلّبات الثّقافيّة

---

(1) سورة طه الآيتان 123 -124

(2) ينظر معتصم بابكر مصطفى المرجع نفسه ص 82

(3) ينظر معتصم بابكر مصطفى : المرجع السابق ص 40

(4) ينظر عامر مصباح : الإقناع الاجتماعي مرجع سابق ص 52

(5) ينظر مفلين ديفر : نظريات وسائل الاعلام : مرجع سابق ص 386.

للعمل الذي يحكم الأنشطة ، التي يحاول رجل الإعلام أن يحدثها ، وإذا كانت التحديّات موجودة فعلا تصبح المهمة هي إعادة تحديد هذه المتطلّبات »[1].

وتستخدم الدّول الأجنبيّة هذه الاستراتجيّة لبثّ ثقافتها وتقاليدها في البلدان الأخرى وهذا يعني أنّ الرّسالة الإعلاميّة تعمل على تعميم ثقافة تلك الدّولة وقيّمــها ، وتقيم بالتّالي لغة مشتركة بين البلدين ، تسهّل للطّرف الأقوى فرض سيطرته على الطّرف الأضعف ويبدو أنّ العالم الإسلاميّ اليوم يشكّل الطّرف الأضعف ، حيث تتمّ السّيطرة الثّقافيّة عليه(.....)ومما ساعد على تدعيم هذه السّيطرة وتثبيتها ، التدفّق الحرّ للمعلومات ،و ضخامة الإنتاج للشّركات الإعلاميّة العالميّة الكبرى. [2]

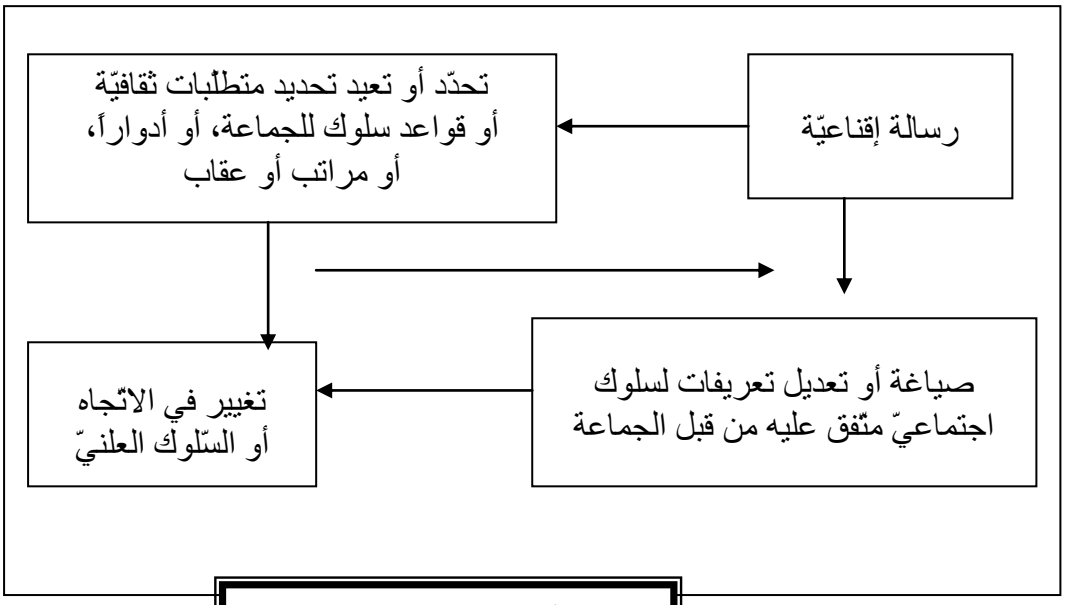

مخطّط يمثل الاستراتجيّة

ولمّا كان الإقناع يرتكز من جهة أخرى على العلاقات الاجتماعيّة ، ودافعيّة الانتماء ، وحرص الفرد على تقدير الجميع له ، كانت هذه العوامل تجعله يتجنّب السّلوك الذي لا ترضى عنه الجماعة ، ويستجيب إلى السّلوك الذي يتوقّــــــف مع المعايير الاجتماعيّة التي تتمثل في القيم والتّقاليد والأعراف التي تحدّد معايير السّلوك لدى المجتمع وخصائصه الثّقافيّة ،كان على القائم بالاتّصال في عمليّة الإقناع أن يجعل من هذه المعايير والقواعد والضوابط مؤشّرات لاتّجاهات التّأييــــــد أو المعارضة،أو بصفة عامّة قبول التّوصيات أو رفضها في الرّسالة الإقناعيّة . [3]

(1) معتصم بابكر مصطفى : المرجع نفسه ص 41
(2) ينظر معتصم بابكر مصطفى : المرجع نفسه ص 41-42
(3) ينظر معتصم بابكر مصطفى : المرجع نفسه ص 84

وفي القرآن الكريم اقترنت هذه الاستراتجيّة بمعجزات الرّسل ـ عليهم السّلام ـ حيث كانت تتّفق مع القيّم والعادات والأعراف التي كانت سائدة في مجتمع كل نبـــــــيّ من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى ـ عليه السّلام- السّحر وتعظيم السّحرة ، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار ،وحيرّت كلّ السّحرة ، فلمّا استيقنوا أنّها من عند العظيم الجبّار انقادوا للإسلام ، وصاروا من عباد الله الأبرار[1] .

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾[2].

[1] المرجع نفسه ص 85
[2] سورة طه : من الآيات 57 إلى 70

وأمّا عيسى ـ عليه السّلام ـ فبعث في زمن الأطبّاء وأصحاب علم الطّبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه فمن أين للأطبّاء القدرة على إحياء الموتى وبثّ الرّوح في الجماد و مداواة الأكمه والأبرص؟[1].

قال تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾[2].

وأمّا محمّد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ النّبي الأمّي فقد بعث في زمن البلغاء والفصحاء وأرباب البيان وفحول الشّعراء ، فأتاهم بكتاب من الله -عزّ و جلّ- بنفس لغتهم (قرآنا عربيّا) فأذهلهم وأعجزهم ببلاغته وفصاحته وبيانه ، وتحدّاهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله ، فلم ولن يستطيعوا حتّى وإن اجتمعت الإنس والجنّ وتعاونوا فيما بينهم على فعل ذلك فقال -عزّ من قائل- : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾﴾[3].

ج ـ استراتجيّة إنشاء المعاني:

تقوم هذه الاستراتجيّة على مفاهيم علماء "الأنتروبولوجيا" القائلة أن المعاني ترتبط مباشرة باللّغة ،والتي يعبّر بها الإنسان عمّا يجول بخاطره ويتصرّف حيال العالم الخارجيّ بناء على ما يحمله من معان وهذه البنية المعرفيّة الدّاخليّة تزوّد الإنسان بتعريفات للمواقف التي تواجهه ، ومن ثم فالتّصرف إزاءه منبثق من بنيته المعرفيّة الدّاخليّة. [4] ،أي أنّ الإنسان يحكم على العالم الخارجيّ ، ويبني سلوكيّات ه أو يعدلها تجاهه انطلاقا ممّا يحمله من معان ومعارف .

---

[1] ينظر معتصم بابكر مصطفى : المرجع نفسه ص 86
[2] سورة آل عمران الآية :49
[3] سورة الإسراء الآية: 88
[4] ينظر عامر مصباح : الاقناع الاجتماعي : مرجع سابق ص 54

و« تستخدم وسائل الإعلام الجماهيرية في إنشاء ودعم الصّور الذهنيّة من خلال مصادر غير محدّدة للمعلومات ، تعمل على صياغة أو تعديل المعاني التي خبرها النّاس عن كل شيء »[1]، فمثلا يستخدم المرشّحون السيّاسيّون بناءات في المعاني الايجابيّة عن أنفسهم وتنقلها وسائل الإعلام مثل استعارات النّظام الجديد ... النّظام النّظيف.. الحرب على الفقر ... بدايات جديدة.. أفكار جديدة...وما إلى ذلـــــك من شعارات [2].

إذن اللّغة هي القاعدة الأساسيّة في استراتجية إنشاء أو بناء المعاني حيث تعتمد وسائل الإعلام الجماهيريّة على اللّغة من أجل أن تنقل للجمهور المتلقّي معان جديدة أو تعمل على تغيير المعاني السّابقة لديه ، وبالتّالي التّغيير والتّعديل في السّلوك الاجتماعيّ وهذا ـ طبعا ـ عن طريق تقديم معلومات فعّالة.

وقد أحصى بعض العلماء وظائف اللّغة الاجتماعيّة في الآتي :

أ ـ اللّغة تجعل للمعارف والأفكار البشريّة قيّما اجتماعيّة، لسبب يقوم على استخدام المجتمع للّغة بقصد الدّلالة على أفكاره وتجاربه.

ب ـ اللّغة تحتفظ بالتّراث الثّقافيّ والتّقاليد الاجتماعيّة جيلا بعد جيل.

ج ـ اللّغة عبارة عن وسيلة لتعلّم الفرد ، تعينه على تكييف سلوكه وضبطه حتّى يلائم تقاليد المجتمع وسلوكيّاته .

د ـ اللّغة تزوّد الفرد بأدوات التّفكير ، وما وصل المجتمع البشريّ إلى ما هو عليه الآن إلا من خلال التّعاون الفكريّ المنظّم لحياته ، ولا يأتي هذا التّعاون الفكـــريّ إلا بالتّفاهم وتبادل الأفكار بين أفراد المجتمع ، والوسيلة الميسورة لهذا التّبادل هي اللّغة[3] والشّكل التّالي يوضّح مخطّط استراتجيّة إنشاء المعاني [4]:

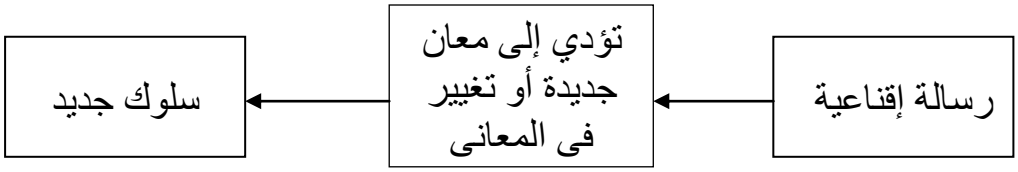

و هذه الإستراتجيّة مطبّقة كثيرا في القران الكريم كون أنّ الإسلام جاء لتغيير مجتمع كان يعيش في جهل وتخلّف وفساد ، وانحلال خلقيّ ، وهذا التّغيير بحاجة إلى إنشاء معان جديدة وتغيير معان أخرى راسخة [5] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ

(1) معتصم بابكر مصطفى : من أساليب الاقناع في القران الكريم مرجع سابق ص 43
(2) ينظر : ملفين ديفلر ، سندرا وكتيش : " نريات وسائل الإعلام "مرجع سابق ص 397
(3) ينظرعبد العزيز شرف : علم الإعلام اللغوي الشركة المصرية العالمية للنشر القاهرة 2000 ص 126:
(4) معتصم بابكر مصطفى : مرجع سابق ص 45
(5) ينظر المرجع السابق نفسه ص 96

ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[1].

جاء في سبب نزولها عن **(عاصم)** قال:"سألت **(أنس بن مالك)** عن الصفا والمروة،فقال كانا من شعائر الجاهليّة ،فلمّا كان الإسلام أمسكوا عنهما فنزلت الآية"[2]. وفي هذا تغيير للمعنى ، حيث أنّ شعائر وطقوس الجاهليّة تختلف في معانيها عن شعائر الدّين الإسلامي الحنيف ، وفي ذلك تصحيح للمفاهيم والمعاني التي كانت سائدة في الجاهليّة ومنها الطّواف بالصّفا والمروة ، ودفع للحرج عن المسلمين [3].

فالمعنى اللّغوي للآية ـ إذن ـ كان له أثر في تغيير وتعديل المعنى والسّلوك المتعلّق بالصّفا والمروة لدى المسلمين .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾[4].

لقد فسّر **(ابن العربي)** معنى هذه الآية بأنّه خلف الأبناء على حلائل الآباء ، أي زواجهم بهنّ ، إذ كانوا في الجاهليّة يستقبحونه ويستهجنون فاعله ، ويسمّونه المقتي، نسبوه إلى المقت.... قال: وقوله تعالى: ﴿ إلاّ ما قد سلف ﴾ يعني من فعل الأعراب في الجاهليّة , إذ أنّ بعضهم كانت الحميّة تغلب عليه فيكره أن يعمر فراش أبيه غيره فيعلو هو عليه ....وفي الآية نهي عن هذه العادة السّيئة وهذا المعنى والسّلوك الاجتماعيّ الجاهليّ، وفي ذلك إنشاء لمعنى جديد يقضي إلى سلوك جديد يتعلّق بحفظ الأنساب [5] وقوله تعالى : ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ

---

(1) سورة البقرة الآية 158

(2) أبو بكر محمد بن عبدا لله بن العربي : أحكام القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ، بيروت :ص 64، في معتصم بابكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص 97

(3) ينظر معتصم بابكر مصطفى المرجع نفسه ص 97

(4) سورة النساء الآية 22

(5) ينظر معتصم بابكر مصطفى : مرجع سابق ص 98

ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[1]

ذكر **(الإمام القرطبي)** في تفسيره أنّ **سودة** -رضي الله عنها- قيل لها لم لا تحجّين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك ؟ فقالت : قد حججت واعتمرت ، وأمرني الله أن أقرَّ في بيتي قيل : فو الله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها ، رضوان الله عليها ، وقال **(ابن العربي)** : « لقد دخلت نيفا على ألف قرية ، فما رأيت نساء أصون عيالا ولا أعفّ نساء من نساء نابلس ، التي رمي بها الخليل - عليـــــه وعلى نبيّنا السّلام- بالنّار ، فإنّي أقمت فيها فما رأيت امرأة في طريق نهارا إلاّ يوم الجمعة ، فإنّهن يخرجن إليها حتّى يمتلئ المسجد منهنّ ، فإذا قضيت الصّلاة وانقلبن إلى منازلهنّ لم تقع عيني على واحدة منهنّ إلى الجمعة الأخرى »[2].
وفي هذا دليل على أهميّة استراتجيّة إنشاء المعاني في تغيير المواقف والسلوكيّات

وخلاصة القول هي أنّ استراتجيّة الإقناع لها توظيف واستخدام واســـــع في القران الكريم كونه رسالة تبليغيّة إقناعيّة موجّهة للعالمين ، شاملة لأمور دينهم ودنياهم وآخرتهم ، إذن فلا غرو من أن تعتمد هذه الرّسالة على الاستراتجيّات الثلاث للإقناع ، حيث يقول **(معتصم بابكر مصطفى)** : « إنّ سور القرآن الكريم وآياته تحمل جميع خصائص الرّسالة الإقناعيّة ، سواء من خلال الاستراتجيّة الديناميّة النّفسيّة، أو الثّقافيّة الاجتماعيّة ، أو إنشاء المعاني ، ولعل ما قدّم من آيات يأتـــي على سبيل المثال لا الحصر ، فالقرآن الكريم رسالة اتّصالية صمّمت كأساس للإقناع من خلال الطّرح الرّباني المتكامل ، الذي لا تشوبه ، شائبة أو ينقصه شـــــيء .ومن المعلوم بالضرورة أنّ تبليغ رسالة القرآن الكريم إلى العالمين هو فـــرض على علماء الأمّة،فكان لا بدّ في تبليغ هذه الرّسالة العالميّة من نقل مضامينها ومعانيها إلى أرجاء العالم كافّة بأسلوب مقنع ، انطلاقا من قول علماء الأصول : " مالا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب "[3].

إذن فمن الواجب على علماء الأمّة الإسلاميّة ودعاتها من أن يجتهدوا ويستفيدوا من استراتجيّات الإقناع الثلاث الموظّفة في القرآن الكريم ـ في الدّعوة إلى الله وتبليغ ونشر رسالة الإسلام ،ووعظ النّاس وإرشادهم وتحذيرهم وتعليمهم

(1) سورة الأحزاب الآية 33
(2) محمد بن أحمد القرطبي الجامع لأحكام القران ، دار إحياء التراث العربي (ط2) ،ج 14 ، 1952 ص 180-181
(3) معتصم بابكر مصطفى : مرجع سابق ص 101-102

وبخاصـــــــة في زمننا هذا الذي يعجّ بالمفاسد والفتن ـ بالإضافة إلى أنّ هذه الاستراتجيّات توفر عليهم الكثير من الجهد والوقت.

3 ـ أساليب الإقناع ما بين الخطاب الإنسانيّ و الخطاب القرآنيّ :

ـ إنّ الأساليب و الآليّات الإقناعيّة في الخطابات و الرّسائل الإنسانيّة كثيرة ومتعدّدة لتعدّد أنواعها وكثرة مواضيعها و اختلاف أهدافها.

فالرّسالة يتحدّد نوعها من خلال محتواها و موضوعها فمنها: الاجتماعيّة و السيّاسيّة و الدّينيّة و الإعلاميّة... إلخ. هذا التّنوع في الرّسائل و الخطابات يقتضي التّنـــوع في الأساليب الإقناعيّة، حيث أنّ كلّ رسالة تحتاج نوعا معيّنا من الحجج و الأدّلة، لأن بعض الرّسائل و الخطابات تعتمد في تأثيرها على المتلقّي ـ الجانب الانفعالي العاطفيّ ـ وبعضها يعتمد على الجانب الجماليّ الذوقيّ و البعض الآخر على الجانب العقلانيّ المنطقيّ ، فتتنوّع بذلك الأساليب الإقناعيّة ما بين أساليب لغويّة بلاغيّـــة و بين أساليب استدلاليّة منطقيّة . فلكلّ مقام مقال، و قد تجتمع هذه الأســـــــاليب في رسالة واحدة مع تفاوت نسبيّ في توظيف كلّ منها على حسب سياق الموقـــف أو المقام, فيجب في ذلك مراعاة شروط معيّنة منها: اختلاف المستويات العلميّـــــة و الثقافيّة عند جمهور المتلقّين ونسبة ذكائهم ، مراعاة حالاتهم النفسيّة و الاجتماعيّة ، اختيار الزّمان و المكان المناسبين و غيرها. و في هذا يقول **(معتصم مصطفى بابكر)** : « تتنوّع و تتعدّد الأساليب المستخدمة في الرّسالة لإقناع المتلقّي بمضمونها ، فأساليب عرض المحتوى تؤثر على التّعليم و الإقناع و هناك العديد من الاعتبارات التي تؤدّي إلى اختيار أسلوب معيّن لتقديم النّص الإعلاميّ و استخدام نوع معيّـــن من الاستمالات بما يتوافق و طبيعة الموضوع و خصائص جمهور المتلقّين[1] ».

و لمّا كانت الرّسالة عنصرا أساسيّا في العمليّة الاتّصاليّة و قائمة بين مرسل ومرسل إليه على أساس لغويّ فإنّ أوّل ما يمكن اعتبار ه أسلوبا إقناعيّا هو اللّغـــة في حدّ ذاتها لاعتبارها الحامل المادّي لكلّ أنواع الحجج و البراهين و الاستدلالات.

ـ أمّا تلك الأساليب الخاصّة بالقرآن الكريم فلا يمكن بأيّ حال من الأحوال حصرها ، كون القرآن الكريم معجزة محمّد ـ صلوات الله و سلامه عليه ـ، و حجّة الله القائمة على خلقه إلى يوم الدّين ، فالقرآن كلّه إقناع لأنّ فيه محاجّة لأهل الشّرك

[1] معتصم مصطفى بابكر:" من أساليب الإقناع " ص64

والكفر و الضّلال، و فيه دعوة للنّاس بتوحيد الله - سبحانه و تعالى-، و الامتثال لأوامره و اجتناب نواهيه و اتّباع هدى نبيّه -عليه الصّلاة و السّلام- ، فيه ترغيب وترهيب ، فيه دعوة إلى التّأمل و الاعتبار و هو دستور للمسلمين ينظّم شؤون حياتهم و يبين لهم العبادات و المعاملات ، فهو كتاب دين ودنيا.

وحاولت في بحثي المتواضع هذا أن أستشهد ببعض الأساليب والاستدلالات الإقناعيّة القرآنيّة على سبيل المثال لا الحصر.

3-1- البلاغة و مكانتها في الإقناع:

إنّ للبلاغة أهميّة كبرى في عمليّة الإقناع ، إذ تعتبر أهم طريقة و وسيلة اعتمدها الشعراء و الخطباء قديما و حديثا في نصوصهم للتّأثير على السّامعيـــــن عاطفيّا و عقليّا. فالبلاغة بأقسامها الثلاثة : علم المعاني و علم البيان و علم البديع تؤثـــر في ملكة الجمال عند الإنسان و حاسّة التّذوق الفنيّ لديه و هذا - طبعا - يتعلّق بالجانب الوجدانيّ الحسيّ الانفعاليّ و الذي ينعكس بالضّرورة على الجانب العقلانيّ فيحدث الإقناع. فحسن الألفاظ و قوة العبارات و براعة التّراكيب وتنوّع الأسالـــيب و جماليّة اللّغة بصفة عامّة تعتبر كلّها قواعد فنيّة للبلاغة و بها تؤثر في المتذوّق على المستويين : الوجدانيّ و العقليّ . و لهذا نجد الكثير من العلماء و الفلاسفة - العرب و غير العرب - اهتمّوا بالبلاغة ودورها في عمليّة الإقناع : « فكان أرسطو هو أوّل من دوّن أصول فنّ الخطابة و جعل البلاغة إلى جانب الحجج و البراهيـــن و الأقيسة من أسس الإقناع الخطابيّ»[1].

أمّا التّراث اللّغوي العربيّ فنجده يزخر بكتب البلاغة و فنونها منها: كتابي : «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» **(لعبد القاهر الجرجاني)**, و« البيان والتبيين » **(للجاحظ)** ويرى **(محمد الصغير بناني)** في دراسته لكتاب «البيان و التبيين »: « أنّ **(الجاحظ)** إذا تكلّم في بعض النّصوص عن الخطابة و السّياق يقتضي الكلام عن البلاغة فليس هذا معناه أنّه لا يفرق بينهما و لكن لأنّه يتصوّر العلاقة بينهما على هذا الشّكل ليس أكثر، و لو أردنا أن نعبّر عن هذه العلاقة تعبير المتكلّمين لقلنا أنّ كلّ خطابة بلاغة و ليس كل بلاغة خطابة والبلاغة جنس و الخطابة نوع »[2].

و ما يمكن استنتاجه و استنباطه ممّا سبق هو أنّ البلاغة فنّ من فنون الإقناع وأسلوب من أساليبه.

---

[1] محمد برقان:" الاتصال الإقناعي من خلال فن الخطابة" مذكرة ماجستير،قسم علوم الإعلام والاتصال ، جامعة الجزائر 2000 ص97

[2] محمد الصغير بناني :" النظريات اللسانية و البلاغية الأدبية عند الجاحظ: من خلال البيان و التبيين" ط1 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1994ص229

أ- مفهوم البلاغة:

البلاغة لغة مشتقّة من كلمة « بلغ » و معناها الوصول إلى الشيء ، تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه ، و قد تسمّى المشارفة بلوغا بحقّ المقاربة. كقوله : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾[1] ، أي :إذا وصلن الوقت المحدّد لهنّ والى هذا ذهب كلّ من **(عبد العزيز عتيق)** و **(محمد جابر فيـــــاض)** : « إلى أنّ البلاغة سمّيت بالبلاغة لأنّها تنهي إلى قلب سامعه فيفهمه ، و يقال رجل بليغ أي حسن الكلام و البلاغة منصفة المتكلّم ، و تسمية المتكلّم بأنّه بليغ نوع من التّوسع ، و الحقيقة أنّ الكلام بليغ ، يقول الله تعالى في محكم تنزيله : (حجة بالغة) و هنا جعل الله البلاغة صفة الحجة ؛ أي الكلام[2] ».

وأمّا اصطلاحا: تعدّدت مفاهيمها و معانيها عبر الزّمان و المكان وباختلاف الثّقافات والمدارس و الحضارات و أقتصر هنا على ذكر بعض هذه التّعاريف .

- عرّفها **(الإمام علي)** - كرّم الله وجهه- فقال : « البلاغة إيضاح الملابســـــات و كشف عوار الجهالات بأسهل ما يكون من العبارات.. »[3].

- و يرى **(ابن المقفع)** بأنّ« البلاغة هي اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السّكوت ، و منها ما يكون في الاستماع و منها مـــــــا يكون في الإشارة ، و منها ما يكون في الحديث، و منها ما يكون سجعا و خطبا ، و منهــا ما يكون رسائل ، فعامّة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها و الإشارة إلى المعنى و الإيجاز هو البلاغة[4]».

- أمّا **(الجاحظ)** فيعتبر من الذين تحدّثوا عن معاني البلاغة بعمق في كتابـــه « البيان و التبيين» حيث جمع فيه تعاريف كثيرة للبلاغة لعلماء و أمم مختلفـــــة ، و قد أحصى **(بناني)** أكثر من عشرين تعريفا للبلاغة في كتاب «البيان و التبـــــيين» و وجد بأنّها لا تكاد تخرج عن الثنائيّات التّالية: الإيجاز و الإطالة - المجاز و الحقيقة -التّخيير والتّأليف - المعنى و اللّفظ.

- ففي **التّعريف اليوناني** : هي اختيار الكلام و تصحيح الأقسام.

وفي التّعريف الرّوماني : «حسن الاقتضاب عند البداهة و الغزارة يوم

---

(1) سورة الطلاق" الآية 7"

(2) ينظر عبد العزيز عتيق " علم المعاني " ص08 و محمد جابر فياض " البلاغة و الفصاحة : لغة و اصطلاحا" ص19

(3) أبو هلال العسكري:" الصناعيتين : الكتابة و الشعر" ط2 دار إحياء الكتب العربية القاهرة (دت) ص51 - 52

(4) الجاحظ:" البيان و التبيين" مصدر سابق ص102

الإطالـــــــــــــــــة». و أمّا في **التعريف الفارسي** : « البلاغة هي معرفة الفصل و الوصل[1] » .

- و خلص **(رجاء عيد)** من خلال المفاهيم و التّعاريف للبلاغة إلى تقسيمـــــها إلى محاور قائلا: « نستطيع أن نوجز المقصود بلفظ البلاغة بأنّه يدور في ثلاثة محاور على وجه العموم ، و هي : الإيجاز في القول -الجمال الفنيّ - و القــدرة على إيصال المعنى».

المحور الأول: الإيجاز: من هؤلاء الذين يرون البلاغة إيجازا **(خلف الأحمر)** الذي يعرفها بأنّها لمحة دالّة، و كذلك **(الخليل بن أحمد الفراهيدي)** الذي يعرّفها بأنّها « ما قرب طرفاه و بعد منتهاه » ،و مثله **(ابن المعتز)** الـــذي يعـــرّفها بــأنّها« البلوغ إلى المعنى و لمّا يطل سفر الكلام».

المحور الثاني: الجمال الفنيّ : من هؤلاء الذين يرون أنّ البلاغة هي الجمال الفنيّ **(الحسن بن وهب)** الذي يعرفّها بأنّها « القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام و حسن النّظام و فصاحة اللّسان » ، و مثله **(أبو هلال العسكري)** الذي يعرفها بأنّها « كل ما تبلغ به المعنى قلب السّامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن... ».

المحور الثالث: المعنى: من هؤلاء الذين يرون البلاغة هي المعنى و القدرة على إيصاله للمتلقي **(خالد بن صفوان)** الذي يعرّفها بأنّها: « إجابة المعنى و القصد إلى الحجّة[2] ».

و التّعريف الذي استحسنه **(الجاحظ)** من مجموع التّـــعاريف - الواردة في كتابه «البيان و التبيين» – للبلاغة ذلك الذي يجمع بين المعنى و اللّفظ حيث قـــــــال : « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، و لفظه معنـــــاه، فلا يكون لفظه إلى سمعك من اسبق من معناه إلى قلبك[3] ».

و أمّا **(محمد الصغير بناني)** في دراسته لكتاب **(الجاحظ)** قد خلص من المعاني الكثيرة للبلاغة الواردة فيه إلى أنّها ترتبط بفنّ الإقناع من زوايا ثلاث هي:

1 -**الاقناع بالاعتماد على المنطق**: كثيرا ما يأتي مفهوم البلاغة في « البيان و التبيين» مصحوبا بلفظ «عقل» أو «عقول»، أو منطق فيفضي عليه معاني الدّقــة و الصواب حتّى الدّهاء و الحيلة و تصبح البلاغة معناها الاعتماد على الطّاقات العقليّة و المنطقيّة وحدها للإقناع ... و هكذا تصبح البلاغة ليست طريقة فنيّة بديعة في الكلام فحسب بل طريقة في التّفكير أيضا.

---

(1) محمد الصغير بناني:" النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين" ص222 -223

(2) رجاء عيد" فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور" ط2 منشأة المعارف الإسكندرية 1988ص19

(3) الجاحظ: المرجع السابق ص114

2 – الاستدلال و البصر بالحجّة: ومن المعاني التي اكتسبها مفهوم البلاغة معنى البصر بالحجة، فإدراك الحجّة الصائبة[1] و تقريرها في عقول المستمعين هي البلاغة... و **(الجاحظ)** يؤكّد موقفه الرّامي إلى الجمع بين البصرين ، بصر القلب و بصر العقل، و هذا الموقف هو موقف كثير من المعتزلة ، إن لم يكن موقف المعتزلة كلّهم ، **(فعمرو بن عبيد)** - أحد شيوخهم - يلخص البلاغة في جملة هي « تقرير حجّة الله في عقول المكلّفين» .

3- الاستمالة و الجلب بالوسائل الجماليّة : و البلاغة حينئذ هي فتنة القول وخلابة الألسنة و استمالة الأسماع بحسن المنطق و تزيين المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان المقلوبة عن الأذهان رغبة في سرعة الاستجابة[1].

- و البلاغة - كما سبق و أن أسلفنا- ليست حكرا على الأمّة العربيّة وحدها وإنمّا عرفت لدى مختلف الشّعوب و الأمم؛ عند اليونان و الرّومان و الفرس و الهند. فالحضارة اليونانيّة التي نشأت فيها البلاغة في أحضان الفلسفة جعلت الخطابة والشّعر قسمين من أقسام المنطق ، كان للبلاغة فيها مذهبان فكما كان في العرب مذهب المعنويين ومذهب اللّفظيين ، كان في اليونان مذهب الفلاسفة ومن رجاله: **(بروك ليس** و **ديمستين)**، و مذهب البيانيين و من رجاله : **السفسطائيون** من أمثال **(طراسيماك** و **جرجياس)** [2] .

و عرّفها **(أفلاطـــــــــون)** قائلا: « هي كسب عقول النّاس بالكلمات[3]»، كما عنى **(أرسطو)** بفنّ البلاغة في كتابه المشهور « الخطابة» و بخاصّة ما يتعلّق بموضوع الخطبة نفسها في موضوعها و أسلوبها ، حيث دعا إلى ضرورة ترتيب أجزائها وعن وجود البلاغة في الكلام ، كما تكلّم عن أثر الفصاحة و البيان في نجاح الخطابة[4].

و كان يرى أنّ هدف الخطابة هو الإقناع ، و قد يكون بالمحتملات المظنونة والآراء الخاصّة في حين أنّ مهمّة العلم البرهنة[5] ، و قد أوجز تعريف البلاغة قائلا: « هي القدرة على كشف جميع السّبل الممكنة للإقناع في كل حالة بعينها»[6].

---

(1) ينظر محمد الصغير بناني : المرجع السابق ص236-239
(2) ينظر أحمد حسن الزيات : دفاع عن البلاغة ط2 عالم الكتب القاهرة 1967 ص32
(3) جيهان أحمد رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام ص08
(4) ينظر محمد الطاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام، العصر الديني، عصر البعثة الإسلامية،ط2 دار المعارف القاهرة (دت) ص27
(5) إبراهيم سلامة : بلاغة أرسطو بين العرب و اليونان، دراسة تحليلية نقدية،ط2 مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة 1952 ص46
(6) عبد العزيز عتيق: علم البيان ،دار النهضة للطباعة والنشر ،بيروت 1988 ص08

و في الهند يقولون في شأن البلاغة : « أوّل البلاغة إجماع آلة البلاغة و ذلك أن يكون الخطيب ، رابط الجّأش ، ساكن الجّوارح، قليل اللّحظ، متخيّر اللّفظ، لا يكلّم سيّد الأمّة بكلام الأمّة، و لا الملوك بكلام السّوقة،... و لا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عظيما »[1].

- و نستخلص من كلّ ما سبق أنّ البلاغة عند العرب و سواهم تشمل الشّكل والمضمون ، أي؛ المبنى و المعنى ، الكلمة و الفكرة، الذوق و العقل، و هي بذلك تسهم مساهمة فعّالة في عمليّة الإقناع ، و هذا ما يؤكّد عليه **(أحمد حسن الزيـّات)** في قوله: « البلاغة بمعناها الشّامل الكّامل ملكة يؤثّر بها صاحبها في عقول النّاس وقلوبهم عن طريق الكتابة و الكلام ، فالتّأثير في العقول عمل الموهبة المعلّمة المفسّرة ، والتّأثير في القلوب عمل الموهبة الجاذبة المؤثّرة،ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكمل صورة»[2].

و نجد أيضا هذا التّعريف الواسع الشّامل لمفهوم البلاغة عند الشّيخ **(محمد عبده)** حين قال: « ليست في الحقيقة البلاغة إلاّ ملكة البيان ، و قوة النّفس على حسن التّعبير عمّا تريد من المعنى من مخاطبها من أثر في وجدانه يميل به إلى الرّغبة فيما رغب عنه، أو النفرة مما كان يميل إليه، أو تمكين ميل إلى مرغوب، أو تقريب من مكروه، أو تحويل في الاعتقاد، و ذوق النّفس كذلك لمحاسن ما تسمعه أو و جوه النّقد فيما يلقى إليها »[3].

ب-البلاغة في القرآن:

القرآن هو كلام الله المعجز بلفظه و معانيه، بتراكيبه و أساليبه، هو معجزة النبيّ - صلّى الله عليه و سلّم-، الخالدة التي لا تزول إلى يوم الدّين.
و قد وقف فحول اللّغة و فرسان البلاغة عاجزين حيارى أمام بلاغة القرآن الكريم رغم عنادهم و ادّعائهم ، حيث تحدّاهم الله - سبحانه و تعالى- في أكثر من آية بأن يأتوا بمثله فقال -عزّ من قائل-: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[4]،

(1) الجاحظ: المرجع السابق، ص91
(2) أحمد حسن الزيات : المرجع السابق ص34
(3) رجاء عيد : المرجع السابق ، ص19
(4) سورة الإسراء ، الآية 88

ثم تدرّج القرآن الكريم في الآيات الدّالة على التّحدي و الإعجاز ، فقال تعالى: ﴿أَم يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾[1] ، ثمّ يصل إلى ذروة و قمّة التّحدي ليلزم المتعاندين من أهل الشّرك و المنافقين و المشكّكين و يقحمهم و يكشف ضعفهم و عجزهم ، فيقول -عزّ و جلّ-: ﴿ وَإِنۡ كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾[2].

و يذكر **(محمد طاهر درويش)** في كتابه « الخطابة في صدر الإسلام » أنّ القرآن الكريم قرن في أكثر من آية الجدل و الاستمالة بسلامة البيان و الفصاحة حيث وصف حال قريش في بلاغة المنطق و ما لديهم من الجدل و اللدد عند الخصومة، بقوله عنهم: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾[3] ، ثمّ ذكر خلابة ألسنتهم و استمالتهم بحسن منطقهم فقال: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ﴾[4]، وقد سأل موسى - عليه السّلام - ربّه حين بعثه إلى(فرعون) و ملئه ليبلغ رسالته أن يحلّ عقدة لسانه و يطلق ما كان فيه من حبسته ، فقال -عزّ و جلّ- على لسانه في سورة (طه): ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾[5] ، و قال مقرّرا أنّ فصاحة اللّسان أبلغ في دفع البهتان ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي

(1) سورة هود ، الآية 13
(2) سورة البقرة، الآية 23
(3) سورة الزخرف، الآية 58
(4) سورة المنافقون، الآية 04
(5) سورة طه 25-26-27-28

لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] ، و ذكر الله نبيّه داوود -عليه السّلام- فقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾[2] و قال رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم - في وصف النّبيّ شعيب -عليه السّلام- : «كان شعيب خطيب الأنبياء».[3]

2-3- الأسلوب: Style

أ - مفهوم الأسلوب:

الأسلوب لغة هو الطّريقة ، و في **لسان العرب** يقال للسّطر من النّخيل أسلوب، و كلّ ممتدّ أسلوب، و الأسلوب هو أيضا الفنّ أو الوجه أو المذهب ، نقول سلك أسلوبه أي طريقته، و يطلق الأسلوب عند الفلاسفة على كيفيّة تعبير المرء عن أفكاره ، و لذلك قال **(بوفون)** أنّ : « الأسلوب هو الإنسان و معنى ذلك أنّ الأسلوب هو الصّيغة أو التّأليف الذي يرسم خصال المرء و سجاياه ... و قد يطلق الأسلوب في الأخلاق و علم الاجتماع على المنهج الذي يسلكه الأفراد... و منهم قولهم: أسلوب الحياة[4]».

و اصطلاحا هو طريقة يستعملها الكاتب في التّعبير عن موقفه و الإبانة عن شخصيته الأدبيّة المتميّزة عن سواها لاسيما في اختيار المفردات و صياغة العبارات و التشابه و الإيقاع [5]، بمعنى هو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ و تأليفها للتّعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح و التّأثير [6] ، لذلك يعرف أنّه الفنّ الأدبيّ الذي يتّخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التّأثير [7].

و الأسلوب بصفة عامّة هو السّمة التي يتجلّى طابعها على الأديب في مناهجه التي يسلكها لأداء مقاصده و هو في العلوم و الفنون الأخرى -غير الأدب - طريقة

---

(1) سورة القصص الآية 34
(2) سورة ص الآية 20
3 ينظر : محمد الطاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام ، ط1، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص29
(4) جميل صليبا المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني بيروت 1982ص20
(5) ينظر جبور عبد النور : المعجم الأدبي ط1 دار العلم للملايين بيروت 1979 ص20
(6) ينظر عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز،سلسلة الأنيس الجزائر 1991 ، ص353 - 363
(7) ينظر أحمد الشايب: الأسلوب : دراسة تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ط6 مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1966ص4

التّعبير [1] ، أمّا الأسلوب اللّغوي فتتعدّد أنواعه و أشكاله ، سأحاول في هذا البحث أن أركّز على بعضها بما يخدم موضوع الإقناع.
و هذه الأساليب هي كالتالي:

ب-أسلوب التّكرار:

- التّكرار و التّكرير في اللّغة معناه الإعادة و التّرديد[2] و اصطلاحا :هو إعادة الكلام بغية تأكيده و تقريره و يعرّفه **(ابن الأثير)** قائلا: « هو أن يأتي المتكلّم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللّفظ متّفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده[3]».

فالتّكرار حسب **(ابن الأثير)** هو أن يعاد اللّفظ حتى لو اختلف معنى اللّفظين المعادين.
و التّكرار في نظر **(الجاحظ)** قد يؤدّي إلى تغيير ما انعقدت عليه النّفوس و الطّباع أوّل الأمر[4]. و ينقل لنا **(الجاحظ)** في كتابه ما قيل في التّكرار «...و عاودوا الفكرة عن نبوات القلوب و شحذوها بالمذاكرة، فإن من أدام قرع الباب ولج »[5]. و هذا ما يؤكّده **(الزمخشري)** في قوله: « إنّ في التّكرير تقريرا للمعاني في النّفس و تثبيتا لها في الصّدور ، ألا ترى أنّه لا طريق إلى تحفيظ العلوم إلاّ بترديد ما يراد حفظه منها، و كلّما زاد ترديده كان أمكن في القلب و أرسخ في الفهم و أثبت للذكر و أبعد من النّسيان[6]».

ما يمكن استنتاجه من هذا الكلام هو أنّه ما دام التّكرار يسهم في عمليّة الحفظ و تثبيت المعاني و ترسيخها و تقريرها في الأنفس و الأذهان ، فكذلك يمكن للقائم بالاتّصال أثناء توجيه الرّسالة تكرار بعض الجمل أو المعاني على السّامع أو المتلقّي قصد توصيل الفكرة و التّأكيد عليها و الإقناع بها، حيث يرى عدد من علماء الاتّصال أنّ تكرار الرّسالة من العوامل التي تساعد على الإقناع ، ذلك أنّ التّكرار يؤدّي إلى تذكير المتلقّي باستمرار بالهدف من الرّسالة ، و يثير في الوقت نفسه احتياجاته ورغباته . و في القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات و القصص قد تمّ تكرارها، وخير مثال لذلك قصّة سيّدنا موسى -عليه السّلام-[7].»

---

(1) ينظر المرجع السابق ، ص20
(2) ابن منظور، لسان العرب ، ج12 ص64
(3) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ج3 مكتبة ومطبعة مصطفى البادي القاهرة 1939 ص3
(4) ينظر الجاحظ المرجع السابق ج1 ص81
(5) المرجع نفسه ج1ص274
(6) أبو القاسم الزمخشري، الكشاف،مج2 دار المعرفة بيروت ص334
(7) معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص70

كما نجد في سورة (الرحمن) الآية: ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ تكرّرت واحدا و ثلاثين مرّة جاءت في شكل استفهام تقريري [1*]، و اشتملت و أفادت التّذكير و الإنكار والتّقريع للثقلين: الإنس و الجان معا، و الغرض منها بصفة عامّة هو تقرير حقيقة قدرة الله -عزّ و جل- و التّأكيد عليها , و من التّكرار الذي يفيد التّوكيد - أيضا - قوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون [2]﴾، فالتّكرار هنا يفيد التّوكيد وقوع الفعل في المستقبل ﴿ سوف تعلمون ﴾ و سوف كما هو معلوم تفيد المستقبل البعيد في إشارة إلى وعيد الله - سبحانه و تعالى- بالعذاب الشّديد يوم القيامة للذين شغلتهم أموالهم و أولادهم عن ذكر الله ، و ألهاهم التّكاثر في الأموال و الأنفس عن طاعته حتى أتاهم الموت.

و ما يستخلص من كل ذلك أنّ أسلوب التّكرار له أهمّية كبرى في عمليّة الإقناع لأنّ من طبيعة البشر النّسيان و الغفلة و السّهو، و عدم الانتباه و التّركيز و الإنكار وغيرها من الصّفات و لهذا يحتاج الإنسان (المتلقّي) - دائما - إلى التّذكير و التنبيه عن طريق الإعادة و التّكرار ، قال تعـــالى: ﴿و ذكّر فإن الذكر تنفع المؤمنين[3]﴾ ، و هذا ما ذهب **(الزركشي)** عندما أكّد على أنّ التّكرار « مناسب للطّبيعة الإنسانيّة المجبولة على غرائز الغفلة و النّسيان و الإنكار و الجحود و ما إلى ذلك ، و لا يقمع هذا إلاّ تكرار المواعظ و القوارع[4]».

ج-أسلوب التّوكيد:

التّوكيد لغة من وكّد و أكّد العهد إذا أوثقه [5] و هذا ما ورد في قوله تعالى: (۞... وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَـٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ ...) و يرى **(الزمخشري):** أنّ المقصود بتوكيدها هو توثيقها باسم الله[6].

(1*) سيأتي الحديث لاحقا عن الاستفهام التقريري باعتباره أسلوبا من أساليب الإقناع

(2) سورة التكاثر الآيتان 3-4

(3) سورة الذاريات الآية 55

(4) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1958، ص03

(5) ابن منظور – لسان العرب ، مادة "وكد" ج15 ص382

(6) الزمخشري، المرجع السابق ج2 ص630

و في الاصطلاح: هو « تمكين الشّيء في النّفس و تقويّة أمره ، و فائدته إزالة الشكوك و إماطة الشّبهات عمّا أنت بصدده ، و هو دقيق المأخذ كثير الفوائد[1] ».
و يوجز **(معتصم بابكر مصطفى)** معاني التوكيد في قوله: « هي العبارات و الألفاظ التي تستخدم لتشديد المعنى[2]».

و يستعمل في أسلوب التّوكيد:

1- حروف التوكيد: «إنّ» «أنّ» ناسخان يدخلان على الجمل الاسميّة و يؤكدانها مثل قوله تعالى في الكثير من الآيات: ﴿ إن الله على كل شيء قدير﴾.
و تستعمل أيضا لام الابتداء في الكلام لفائدة معنويّة و ذلك « أنّه إذا عبر عن أمر بغير وجوده أو فعل يكثر وقوعه جيء باللام تحقيقا لذلك [3] ». و مثال هذا قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾[4] ،وردت لام الابتداء في الآية الكريمة ثلاثة مرات لتوكيد الخبر،و جاءت بعد حرف التّوكيد أنّ أي: مؤكدين للجملة الواحدة ممّا زاد المعنى قوة و توكيدا،و هذا ما يسمّى في البلاغة بضرب الخبر الإنكاري *.
- **نونا التّوكيد**: الخفيفة و الثقيلة *، مثل قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ [7]﴾.

---

[1] بالطاهر بن عيسى ، أساليب الإقناع في القرآن الكريم : دراسة تطبيقية لسورة الفرقان ،رسالة ماجستير كليّة الآداب جامعة الأردن 1990 ص136
[2] معتصم بابكر مصطفى، المرجع السابق، ص58
[3] ابن الأثير ، المرجع السابق، ص58
[4] سورة المنافقون الآية 01
* أضرب الخبر ثلاثة، **ابتدائي**: و هو ما خلا من المؤكدات – **طلبي**: و هو ما أشتمل على مؤكد واحد- **الإنكاري**: و هو ما أشتمل على أكثر من مؤكد.
* فأما نون التوكيد الخفيفة فهي غير المشددة، و أما الثقيلة فهي المشددة.
[7] سورة آل عمران، الآية 188

وردت نون التّوكيد الثقيلة مرتين في الآية متّصلة بلفظ تحسب الذي هو فعل مضارع فأكّدته، و نون التّوكيد لا تتّصل إلا بالأفعال المضارعة فقط و تصبح في هذه الحالة مبنيّة[1].

2-التّوكيد بالقسم:

القسم هو أحد أساليب التّوكيد التي يقتضيها المقام و يرد عادة لإثبات أمر من الأمور التي يستبعد المتلقّي وقوعها ، و تقرير حقيقة من الحقائق و توكيدها و إزالة الشبهة عنها عند المقسم له حتى يقبلها و يطمئن لها[2].

و القسم يستعمل كثيرا في التّخاطب بين النّاس و بخاصّة عندما يشعر القائم بالاتّصال أنّ مستمعيه لم يهضموا ما يقول أو ما يقرّر أو يشكّكون في بعض ما يقول فيلجأ هنا إلى استعمال أسلوب القسم لإزالة كل الشّبهات و الشّكوك.

ومن الخصائص البلاغيّة للقسم هو قيامه بدور التّهيئة النّفسيّة للمخاطب بإثارة انتباهه لما يسخر به ، فيستقبله مستجمعا حواسه مركزا فكره و انتباهه إليه[3].

و في القرآن الكريم يقسم الله -عزّ و جلّ- بمخلوقاته في العديد من السّور و أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر سورة (الطّارق) ﴿ و السّماء و الطّارق ﴾[4]، سورة (القيامة)، ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾[5] ، سورة التين﴿والتين و الزيتون﴾[6].

د- أسلوب الاستفهام:

الاستفهام لغة يقصد به طلب الفهم، و في لسان العرب : « استفهمه أي: سـألـه أن يفهمه[7]».

و اصطلاحا: معناه الاستخبار عن الشّيء لكن قد يكون المستفهم عالما بالشّيء ومراده بعض المعاني الأخرى التي يمكن أن تستفاد من سياق الكلام ، و من هنا استعمل البلاغيّون مصطلح الاستفهام لمعناه الحقيقي و غير الحقيقي[8].

1- الاستفهام الحقيقي: و هو الذي يردّ على ما استعمل له في الأصل أي طلب الفهم و معرفة المجهول كأن تقول مثلا: ما اسمك؟ و ما هو مستواك الدّراسي؟، هل فهمت درسك...؟

---

(1) يبنى الفعل المضارع في حالتين فقط : إذا اتصلت به نونا التوكيد أو نون النسوة.
(2) ينظر بطاهر بن عيسى ، المرجع السابق، ص74
(3) ينظر المرجع السابق، ص74
(4) سورة الطارق، الآية 01
(5) سورة القيامة ، الآية01
(6) سورة التين، الآية01
(7) ينظر ابن منظور، المرجع السابق، ج10ص343
(8) ينظر بطاهر بن عيسى ، أساليب الاقناع في القرآن الكريم، ص58

2- الاستفهام غير الحقيقي: و يراد به الاستفهام الذي يخرج عن حقيقته و يكون صاحبه عالما بالشّيء و غرضه منه معان أخرى تفهم من السّياق [1] ، أي يخـــرج إلى أغراض بلاغيّة مختلفة يحدّدها السّياق منها الإنكار و التّعجب و التّقرير و غيرها من الأغراض التي يقصدها القائم بالاتّصال. و أفضل الشّواهد التي يستدلّ بهـــا عن الاستفهام غير الحقيقي ما ورد في القرآن الكريم:

- الإنكار: غاية الاستفهام الإنكاري هو تنبيه السّامع أو المتلقّي لمراجعة نفسه وردعه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ [2] ﴾.

- التّعجب: غايته عودة المتلقّي إلى صوابه ورشده بأن يحكم عقله فيشعر بضلالـــه و غيّه فيقلع عنه و يتوب إلى الله: ﴿مالكم كيف تحكمون﴾.

- التقرير: «و هو الاستفهام عن المقدّمات البيّنة البرهانيّة التي لا يمكن لأحـــــد أن يجحدها و هي تدلّ على المطلوب لتقرير المخاطب بالحقّ و لاعترافه بإنكار الباطل[3] ».

إذن فغاية الاستفهام التّقريري هي حمل المخاطب على الاعتراف بالحقيقة الثابتة دون جبر أو قسر، مع بسط الدّليل الملزم، و الحجّة المقنعة و من هنا كان أسلوبا أقـوى في الطّلب و أبعد في الإقناع[4].

و من أمثلة الاستفهام التّقريري في القرآن الكريم ،قوله تعالى: «أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١ [5] ».

ففي هذا الاستفهام اعتمد الله -سبحانه و تعالى- على مقدّمة برهانيّة مقنعة أقامت الحجّة على كلّ منكر أو جاحد لهذه الحقيقة.

---

(1) ينظر المرجع السابق، ص60
(2) سورة آل عمران، الآية 65
(3) زاهر عواض الألمعي:" مناهج الجدل في القرآن الكريم" ط3 مطابع الفرزدق التجارية الرياض 1404ه ، ص76
(4) بطاهر بن عيسى: أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، ص62
(5) سورة يس ، الآية 81

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم؟ ﴾ فهنا ليس أمام العقل البشريّ إلاّ أن يسلّم و يقرّ و يعترف بقدرة الله -عزّ و جلّ- على الخلـــــق و يرتدع أمام هذه الحقيقة ، فما دام الله - سبحانه و تعالى- خلق السمـــــوات و الأرض في ستّة أيام - كما ثبت في آية أخرى في غير هذا الموضع - فهل يعجز أن يخلق مثلهم ؟﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾.

و مثله -عزّ و عـــــــــلا- : ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ [1] ﴾.

أراد الله - سبحانه و تعالى- من خلال هذا الاستفهام : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ ؟ ﴾إقامة الحجّة و الدّليل على أولئك المفترين المشركين الذين ألّهوا سيدنا عيسى -عليه السّلام- و أمّه لإبطال و كشف افتراءاتـــــهم و ادّعاءاتهم و أباطيلهم . إذ كيف يعقل أن يدّعي من اختاره و اصطفاه الله - سبحانـــه و تعالى- من بين خلقه لتبليغ رسالته إلى النّاس و دعوتهم إلى الحقّ و عبادة الله وحده.

- و جاء هذا الاستفهام في شكل حوار بين الله -عز و جل- و نبيّه عيسى - عليه السّلام-: ﴿ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

فسيّدنا عيسى -عليه السّلام- ينفي عن نفسه ادّعاء الألوهيّة بعد تسبيحه الله -عـــــزّ و جلّ- و يثبت و يؤكد معرفة و علم الله - سبحانه و تعالى- لها في الأنفس و عالم الغيب﴿ تعلم ما في نفسي﴾ إثبات قدرة الله وحده في معرفة الأسرار و الأمور

[1] سورة المائدة، الآية 116

المكتومة في النّفس و من ذا يستطيع معرفة ذلك غير الله؟ ﴿و لا أعلم ما في نفسك﴾ ، إثبات عجز الإنسان عن علم و معرفة كل شيء ، و يؤكد على مقدرة الله على علم الغيب﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ باستعمال حرف التّوكيد «إنّ» و استعمال الضّمير المنفصل «أنت» الذي هو توكيد لفظي من الضّمير المتّصل الكاف ، و أيضا "علاّم" صيغة مبالغة على وزن فعّال و في كل هذا إثبات و تأكيد و تقرير على ألوهية الله - سبحانه و تعالى-.

و مثله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ [1] ﴾.

و قوله تعالى في سورة (الطور): ﴿ أَم خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَـٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۝٣٩ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۝٤٢ أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٣ [2] ﴾.

و يشير **(معتصم بابكر)** من ذات السّياق إلى « صيغة التفضيل أفعل» التي ترد خاصّة في أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم« وذلك لاستخدامها لترجيح فكرة معيّنة أو مفهوم ما [3] » و يستدل بقوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ

[1] سورة البلد، الآية، 8-9-10
[2] سورة الطور، الآية 35-43
[3] معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، ص56

وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾[1] ﴾.

فالاستفهام الوارد في هذه الآية و المتضمّن لصيغة اسم التفضيل « أعلم» الغاية منه إثبات و تأكيد العلم لله -عزّ و جلّ- فهو العليم -سبحانه و تعالى- ﴿ و فوق كل ذي علم عليم﴾ أمّا الإنسان فمهما بلغ من العلم فإنّ علمه محدود و قليل مصداقا لقوله تعالى: (و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا)، و قوله تعالى : ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ [2] ﴾.

فلفظة «خير» أفادت المفاضلة بين قوم جاحدين «هم بنو إسرائيل» و بين قوم اتّبعوا سواء السّبيل بإتّباع سنّة نبيّهم و منهج ربّهم.

- و خلاصة القول أنّ الاستفهام في القرآن الكريم هو أسلوب من الأساليب التي اعتمدها لإلزام و إقناع كل مرتاب أو جاحد « و اعلم أن القرآن لا يستدلّ في مجادلاته بمقدّمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي الطريقة الجدليّة المعروفة عند أهل المنطق بل يستدلّ بالقضايا و المقدّمات التي يسلّمها النّاس لتكون دعوة للانقيّاد للحقّ و مجانبة الباطل ، و لاشكّ أنّ في الاستفهام استشارة و بيانا لما في النّفوس ليكون الإلزام أبلغ و أقوى»[3].

ه-أسلوب القصص:

و أصل القصص في اللّغة القصّ و هو تتبّع الأثر، تقول العرب قصصت الشّيء إذا تتبّعت أثره[4]

وفي الاصطلاح معناه مأخوذ من الأصل اللّغويّ للكلمة فهو إتّباع الخبر بعضا بعضا، و أصله المتابعة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ ...﴾ [5].

---

(1) سورة البقرة ، الآية140

(2) سورة الدخان، الآية 37

(3) الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص76

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة"قصص" ج11ص190

(5) سورة القصص، الآية11

- و القصص أسلوب استقرائي لأنّ الغرض منه تعميم الموضوع المتضـــــمّن في القصّة على باقي الأحداث المماثلة للتّنبيه على الشّيء أو استهداف العبرة منه ، يقول **(الألمعي)**: « قد يساق الدّليل في قصّة و يأخذ صورته من واقع الحياة في حوادثها فتصغي إليه الآذان و تميل إليه النّفوس و ترتاح إليه الأفئدة و تتأثر بما فيه من عظات و عبر »[1] . و القصص القرآني له غاية ساميّة تتمثل في الوعظ و التّربيّـــــــــة و الاسترشاد و الاعتبار من أخبار الأمم الغابرة قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ... ﴾[2].

فالقصص هو أحد ينابيع الاستدلال [3] كونه يحرّك العقول وينبّه القلوب إلى غاياتها السّاميّة ومن هنا « اتخذه القرآن الكريم سبيلا للإقناع والتّأثير ، وضمن القصّة الأدلّة على بطلان ما يعتقد المشركون وغيرهم ،وقد يكون موضوع القصّة رسولا يعرفونه ويجلونه ، إذ يدّعي المجادلون أنّهم يحاكونه ويتّبعونه ، فيجيء الدّليـــل على لسانه فيكون ذلك أكثر اجتذابا لأفهامهم ، وأقوى تأثيرا في نفوسهم وقد يكون مفحما ملزما إن كانوا يجادلون غير طالبين للحقّ »[4] فقصّة إبراهيم -عليه السّلام- مع قومه في إبطال عبادة الكواكب ومجادلته للنّمرود في إثبات الوحدانيّة لله وقصّة موسى - عليه السّلام - مع (فرعون) وما دار بينهما من صراع انتهى بانتصار الحقّ على الباطل ، كلّ ذلك يجيء دليلا على صدق أنبياء الله ورسله - عليهم السّلام - فيما جاءوا به من دعوة للإيمان وهداية للبشريّة [5].

و-أسلوب التمثيل:

التمثيل لغة هو التّشبيه [6] وبمعنى المثل أي : النّظير [7] .
و أمّا اصطلاحا :لا يخرج معناه عن المعنى اللّغويّ ألا وهو التّشبيه حيث كان البلاغيّون يستعملون مصطلح التّمثيل للدّلالة على التّشبيه التّمثيلي أو الاستعارة التمثيليّة [8].

---

(1) الألمعي، المرجع السابق،ص 79
(2) سورة يوسف الآية 111
(3) بن عيسى الطاهر : أساليب الإقناع في القران الكريم : دراسة تطبيقية لسورة يوسف الفرقان ص 46
(4) محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى ص 375 في بن الطاهر مرجع سابق ص 46 وينظر الألمعي المرجع نفسه ص 79
(5) الألمعي : المرجع السابق ص 80
(6) ابن منظور : لسان العرب مادة " مثل " الجزء 12 ص 101
(7) الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : مرجع سابق ج 3 ص 117
(8) محمد برفان : "الاتصال الاقناعي من خلال فن الخطابة " – مقاربة نظرية مع دراسة تحليلية لنماذج من خطب الإمام علي كرم الله وجهه مرجع سابق ص 119

والاستدلال بالتّمثيل يعني الحكم على شيء معيّن لوجود ذلك الحكم في شيء آخر أو أشياء أخرى معيّنة لعلّها مشتركة بينها، ويسمّى الشّيء المحكوم عليه « فرعا » والشّيء المنقول منه الحكم « أصلا»، والعلّة المشتركة بينهما « الجامعة »، مثال ذلك قولنا: إنّ الماء كالزّيت لأنّه يشبهه في القدرة على كسر الضّوء.[1]

و يقول فيه **(الألمعي)**: « هو إلحاق أحد الشّيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدّل الأمر الذي يدّعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بديهيّ لا تنكره العقول وبين الجهة الجامعة بينهما »[2].

لذلك نجد أنّ القرآن الكريم اتّخذ التّمثيل سبيلا للإقناع والتّأثير لما له من خصائص فنّيّة وبلاغيّة متميّزة فغاية التّمثيل القرآني بيان الحقيقة، وإقامة الحجّة على الخصوم ومن أنواع التّمثيل التي اعتمدها أو وظّفها القرآن الكريم :

1- التّشبيه التّمثيلي*: هو تشبيه مركّب يقوم على أساس المشابهة بين صورتين، ووجه الشّبه بينهما منتزع من متعدّد أي يحمل خصائص من المشبّه وأخـــــــرى من المشبّه به كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

ففي هذا التّشبيه التّمثيلي شبّه الله -عزّ وجلّ - صورة المنافقين اللّذين عرفوا الإيمان والهدى ثم ارتّدوا وعادوا إلى الضّلال والكفر، بصورة حسيّة ماديّة تمثلت في تصوير الشّخص الذي يكون في الظّلام لا يبصر شيئا ، ثم يشعل نارا فتضيء ما حوله ، وفجأة تنطفئ أو يطفئها بنفسه ويعود إلى الظّلام من جديد، ووجه الشّبه بينهما منتزع من متعدد

.

- الضّلال = الظلام
- النّـور = الإيمان

---

(1) جميل صليبا : المعجم الفلسفي مرجع سابق ص 343

(2) الألمعي : مناهج الجدل في القران الكريم : مرجع سابق ص 78

* التشبيه أنواع: تشبيه تام: وهو ما توفرت فيه الأركان الأربعة للتشبيه وهي: المشبه والمشبه به (طرف التشبيه)، وأداة التشبيه ووجه الشبه كقولك: **زيد كالأسد في القوة.**

- تشبيه مرسل مجمل: وهو الذي نذكر فيه أداة التشبيه ويحذف فيه وجه الشبه نحو قولك زيد **كالأسد**
- تشبيه مؤكد مفصل: وهو الذي تحذف فيه أداة التشبيه، ويذكر فيه وجه الشبه نحو زيد **أسدٌ في الشجاعة.**
- تشبيه بليغ: وهو الذي يحذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه نحو: **زيد أسدٌ**
- تشبيه ضمني: وهو الذي لا تظهر فيه أركان التشبيه وإنما تفهم من سياق الكلام نحو: قول المتنبي.

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام.

(3) سورة البقرة : الآية 17

2-الاستعارة التّمثيلية*:

هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانـــعة من إرادة المعنى الأصليّ .

- نحو قول **(المتنبي)** :

ومن يك ذا فم مرّ مريض ﴿ ﴾ يجد مرا به الماء الزلالا

- يقال هذا البيت لمن لم يرزق الذوق لفهم الشّعر الرّائع .

المعنى الذي يفهم من البيت هو أنّ المريض الذي يصاب بمرارة في فمـــه إذا شرب الماء العذب وجده مرّا، ولكنّ **(المتنبي)** لم يستعمله في هذا المعنى بل استعمله فيمن يعيبون شعره لعيب في ذوقهم الشعريّ [1]

وإذ ما اشتهرت الاستعارة التّمثيليّة وكثر استعمالها سمّيت مثلا وهي حسب **(بروتون) (Breton)** قطعة أو جزء من التّمثيل يمكنها أن تكون حجّة عندما توظف الإقناع أمّا **(أرسطو)** فيرى أنّ للاستعارة ثلاث خصائص يجب توفرها حتّى تؤدّي غرضها الحجاجيّ وهي :

- الوضوح والصّفاء: حتّى تكون مفهومة.
- الجاذبيّة (الرّوعة والجمال): لجلب المتلقّي وإثارة تذوقه .
- النّدرة: حتّى لا تكون مبتذلة [2]

ونخلص من كلّ هذا إلى أهميّة أسلوب التّمثيل في الاستدلال والحجاج والإقناع حيث أشار **(عبد القاهر الجرجاني)** إلى أهمّية التّمثيل في الخطاب فقـــــال : « إنّ التّمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو أبرزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصليّة إلى صورته كساها أبهة ، وأكسبها منتبها ، ورفـــع من أقدارها ، وشبّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النّفوس لها ،ودعا القلوب إليها . »[3]

وقال **(ابن وهب)** عن الأمثال في كتابة : « البرهان في وجوه البيـــان » .

« ... وأمّا الأمثال فإنّ الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون ويبينون للنّاس

---

* الاستعارة: هي تشبيه حذف أحد طرفيه إما المشبه وإما المشبه به ، وهي بذلك نوعان :

أ - الاستعارة المكنية : وهي التي يحذف فيها المشبه به والقرينة فيها لغوية نحو قوله تعالى على لسان سيدنا زكريا عليه السلام : "رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا " ونحو قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم :" الصدقة تطفئ الخطيئة ...."وهي استعارة مكنية مزدوجة شبه فيها الصدقة بالماء والخطيئة بالنار ، والقرينة اللغوية واحدة وهي لفظة " تطفئ "

ب - الاستعارة التصريحية : هي التي يصرح فيها بالمشبه به والقرينة فيها عقلية .

قال تعالى :" الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" ، فالكفر كالظلمات ، والايمان كالنور فصرح الله سبحانه وتعالى بالمشبه به الظلمات والنور وحذف المشبه الكفر والايمان

- ومن أمثلتها في الشعر قول جرير :

أعددت للشعراء سما ناقعا فسقيت آخرهم بكأس الأول .

والمقصود أعددت للشعراء هجاء وكلاما لاذعا كالسم الناقع.

[1] ينظر عبد العزيز عتيق : علم البيان مرجع سابق ص 192 – 193

[2] ينظر محمد برقان : الاتصال الاقناعي من خلال فن الخطابة مرجع سابق ص 123

[3] عبد القاهر الجرجاني :" أسرار البلاغة ط2 مطبعة وزارة المعارف القاهرة ،1979 ص 212

تصرف الأحوال بالنّظائر والأشكال، يرون هذا النّوع من القول أنجع مطلبا، وأقرب مذهبا ولذلك قل الله -عزّ وجلّ- : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [1] وقال تعالى أيضا: ﴿وَلَقَد ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ [2] وقال أيضا: وَسَكَنتُمْ فِي مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾[3] ، وكذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما د وّنت ه من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم ... »[4]

3-3-الحوار والجدل:

لعلّ الأسئلة الأولى التي تتبادر إلى ذهن الباحث في هذا المجال هي:

- ما معنى الحوار ؟ ، هل للحوار أطر منهجيّة ؟ وهل له ضوابط فقهيّة ؟ وما هو الفرق بين الحوار والجدل ؟

في ضوء هذه الأسئلة يمكن تحديد بعض المعالم المنهجيّة للحوار إلى جانب الضوابط الفقهيّة التي لا بدّ منها في عمليّة الحوار حتّى لا يتحوّل من أداة بناء إلى أداة هدم ، فالمستقرئ للقرآن الكريم والسنّة النبويّة الشّريفة يلمس أنّ الإسلام هو ذاته الحوار وليس أدلّ على ذلك من إطلاقاته للفكر الإنسانيّ ليقول في كلّ شيء قوله وتحاور في كلّ شيء على أساس الحجّة والبرهان والدّليل ، وعلى أساس الكلمة الطيّبة والأسلوب الجاد والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، « فالخطاب القرآني كان يراعي شروط التلقّي ، ودرجات الاعتقاد ومدارك المتلقّين وأوضاعهم الزّمانيّة والمكانيّة ، استجابة لدواعي الإقناع ومسلكيّات التّخاطب وأنماطه السلوكيّة وبنياته البيانيّة ،و أسسه المنطقيّة ، وسلميّة الاستدلالات العقليّة وحركيّة الأفعال الحجاجيّة ، كل ذلك بغية إنشاء التّواصل وتحقيق الحوار علما بأنّ الله له الحجّة البالغة وأنّه قادر على هداية النّاس أجمعين ، بل استبدالهم بخلق آخر » [5]

---

(1) سورة الروم الآية 58
(2) سورة الزمر الآية 27
(3) سورة إبراهيم الآية 45
(4) إسحاق بن إبراهيم بن وهب : البرهان في وجود البيان مطبعة الرسالة بيروت 1969 ص 117 -119
(5) أحمد يوسف : سيمائيات التواصل وفعالية الحوار ـ المفاهيم والآليات ، مرجع السابق ص 87

أ- مفهوم الحوار

الحوار لغة مأخوذ من الحور وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء
والحوَرْ: النّقصان بعد الزّيادة لأنّه رجوع من حال إلى حال
والحَورْ: ما تحت الكور من العمامة لأنّه رجوع عن تكويرها
والمحاورة: المجاوبة ، **والتّحاور:** التّجاوب
والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[1]

وفي المعجم الفلسفي حاوره محاورة وحوارا جادله ، قال تعالى : (قال له صاحبه وهو يحاوره)، والمحاورة : المجاوبة ، أو مراجعة النّطق والكلام في المخاطبة ، لذلك كان لابدّ في الحوار من وجود متكلّم ومخاطب ولابدّ فيه كذلك من تبادل الكلام ومراجعته [2].

و أمّا في الاصطلاح لا يختلف عن معناها اللّغويّ ، فهو « نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما ، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتّعصب »[3] « يقتضي الحوار بوصفه أخذا وردا في الكلام ومراجعة بين الذات والآخر أشكالا متعدّدة للقنوات التي تحمل قصديّات المتخاطبين سواء أكان التّخاطب مباشرا أم غير مباشر ، فسرعان ما ينتقل الحديث من طور الاتّصال إلى طور التّواصل المتقدّم بحكم حالات التّفاعل بين الممثّلين والشّركاء والمتخاطبين» [4].

« فالحوار في لغتنا وتراثنا الإسلاميّ له معان رفيعة القدر سامية الدّرجة تكسوها مسحة حضاريّة راقية ذات دلالات عميقة تعر عن روح الأمّة، فلقد حفلت الثقافة العربيّة والإسلاميّة بأشكال مختلفة من وجوه الحوار في القرآن الكريم، و في مسائل النّظر العقليّ لدى علماء الكلام، و الفرق الإسلاميّة، إذ اهتمّوا بآداب الحوار و شروط التّحاور، و البحث في قضايا الاستدلال و التّعليل[5]».

---

(1) ابن منظور: " لسان العرب " مادة "حور"ص 217 -219
(2) جميل صليبا : المعجم الفلسفي مرجع سابق ص 501
(3) ديماس محمد راشد ، فنون الحوار والاقناع ص 11، في معن محمود عثمان ضمرة : الحوار في القرآن الكريم ص 03
(4) احمد يوسف : مرجع سابق ص 175
(5) أحمد اليوسف، المرجع السابق ، 175

- و ما يؤكّد هذا الكلام هو ورود لفظة الحوار في عدّة آيات من القرآن الكريم.
ففي سورة (الكهف) ورد فعل «يحاور» مرتين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ [1] ﴾.

و قال تعالى أيضا: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ [2] ﴾، وورد أيضا لفظ التّحاور في سورة (المجادلة) في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ [3] ﴾.

- و التّحاور عند **(الطبري)** المراجعة في الكلام، و هو المعنى الصحيح الفصيح الذي نجد له أصلا في كتب اللّغة، و إن كان **(ابن كثير)** يذهب في تفسيره لسورة (الكهف) إلى أنّ معنى« يحاوره» يجادله و يخاصمه و يفتخر عليه[4].
- و يرى **(سعيد فكرة)** أنّ معنى الحوار في الآيات الثلاث السّابقة هو الجدّية والواقعيّة، و يتجلّى ذلك في أربعة جوانب[5]:

أ – الطّرح:قال لصاحبه و هو يحاوره فهو حوار لطرح إشكاليّة الكفر بالنّعم.

ب- الاستماع: ﴿قد سمع الله ﴾ و حسب هذا الحوار أن يذكر الله و يستمع للحوار القائم بين الطّرفين ، فالاستماع بجديّة أمر يقتضيه الحوار.
جـ - الموضوع: كان موضوع الحوار جادّا(مسألة الجنّة- مسألة الكفر- مسألة الميثاق الغليظ).

---

(1) سورة الكهف، الآية34
(2) سورة الكهف، الآية 37
(3) سورة المجادلة ، الآية01
(4) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد علي الصابوني، مج1، ط1، ص419
(5) ينظر سعيد فكرة، أسس الحوار الحضاري، شروطه و مقوماته ، ج1 ص 75

د- الطّرف: فأطراف الحوار يجب أن يكونوا من الجادّين الذين يوجّه إليهم الكلام قصد الإفهام ، و إلاّ فما فائدة حوارهم ، و من هنا يتّضح أنّ الحوار الذي هو تبادل أطراف الكلام إزّاء إشكاليّة جدليّة ثنائيّة ، يجب أن تتّسم بالجديّة و الواقعيّة وبالوضوح و بالمنهجيّة و الانضباط المؤدّي إلى غاية إنسانيّة يوضّحه الاستقراء لنصوص القرآن الكريم و السنّة الشّريفة ، أو أقوال العلماء.

ب-منطلقات الحوار و موضوعاته و أهدافه:

أ ـ منطلقاته:

" إنّ أي حوار لا بدّ له أن يقوم على منطلقات لكي يكون حوارا مثمرا و يمكن حصرها في ثلاث ركائز أساسيّة و هي[1]:

1 -الاحترام المتبادل.
2 -الإنصاف و العدل.
3 -نبذ التعصّب.

- إنّ الاحترام المتبادل بين الأطراف المتحاورة هو المنطلق الأول الذي يجب أن يرتكز عليه الحوار إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨ [2]﴾.

و بهذا يفترض وجود قواسم مشتركة تكون إطارا عامّا و أرضيّة صلبة للحوار. و المنطلق التّالي هو الإنصاف و العدل، فالعدل هو أساس الحوار الهادف الذي ينفع النّاس و يمكث أثره في الأرض، و يقتضي العدل المساواة بين البشر، فهو روح الشّريعة الإسلاميّة مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ [3]﴾

(1) عبد العزيز بن عثمان التو جري، محاضرة المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة – يونسكو ج1 ص139-140
(2) سورة الأنعام، الآية108
(3) سورة المائدة ، الآية08

- و يضاف إلى الاحترام و العدل قاعدة ثالثة من القواعد التي تقوم عليها منطلقات الحوار، و هي نبذ التعصّب و الكراهيّة، يقول الله -عزّ و جلّ-: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ [1] ﴾.

- و التّوجيه القرآني في هذه الآية الكريمة يرقى من مستوى نبذ التعصّب والكراهيّة إلى مقام أرفع و هو البرّ بالنّاس كافّة و معاملتهم بالقسط.

يقول **(أحمد يوسف)**:"إنّ التّواصل يقتضي شراكة خطابيّة بين المتحاورين و هم يحاولون بسط آرائهم ، و تبليغ معتقداتهم عن طريق الحوار من غير تسلّط أو إكراه إذ لا إكراه في الدّين كما هو وارد في القرآن الكريم، إن حدث و أقنع أحد المتخاطبين شريكه أو حتّى خصمه فإنّ فعاليّة الخطاب و قوّة الاستدلال العقليّ تصبح الأداة الفاعلة التي تستثمر الملكات العقليّة و اللّسانيّة لتحقيق مقاصدها[2]"

- و من آداب الحوار - أيضا - مخاطبة النّاس بالحسنى، قال تعالى في سورة (البقرة): ﴿ ... و قولوا للناس حسنا... [3] ﴾.

- قال **(محمد عبده)**: « الحسن إنّما هو النّافع في الدّين و الدّنيا و ليس مجرد التلطّف بالقول و المجاملة في الخطاب[4]»

- و لقد أفرد أيضا في هذا الباب **(معن محمود عثمان)** ضمرة في أطروحته فصلا كاملا سمّاه «قواعد الحوار و الإقناع» و ضمّنه ثلاثة مباحث هي[5]:

* الاحترام المتبادل: و من المظاهر التي ينبغي مراعاتها في الاحترام المتبادل أثناء الحوار:
- الإنصاف.
- عدم الاستعجال بالرّد على الخصم.
- المحاورة بأفضل الأسماء و الألقاب و أجمل ألوان الخطاب.

---

(1) سورة الممتحنة، الآية08
(2) أحمد يوسف، المرجع السابق، ص88
(3) سورة البقرة، الآية83
(4) محمد عبده، الأعمال الكاملة، مج4، دار الشروق القاهرة 1993 ،ص216
(5) معن محمود عثمان ضمرة"الحوار في القرآن الكريم" أطروحة ماجيستير في أصول الدين نابلس فلسطين 2005 ، ص103-130

- الهدوء في أثناء الحوار.
- بسط الوجه.
- التّركيز على الرّأي لا على صاحبه.

* البحث عن الحقيقة و السّعي إليها: و تطرّق فيه الباحث إلى أمرين يجـــــب على المتحاورين التّمسك بهما:

- التزام الموضوعيّة و البعد عن التعصّب.
- إبراز الحقائق الثابتة في الحوار.

* الرّفق و اللّين في الحوار: و ركّز فيه على ثلاث نقاط هي:

- أهمّية الجدال بالتي هي أحسن في المحاورة.
- الرّفق في حوار الأنبياء - عليهم السّلام- مع أقوامهم.
- المداراة في الحوار.

ب – موضوعاته:

إنّ كلّ ما فيه مصلحة الفرد و المجتمع يصلح أن يكون مجالا للحوار فلا يقتصر على موضوع دون آخر مادامت المنافع و المصالح هي محوره الرّئيسي و مجاله الحيويّ ، فهو يشمل كل القضايا ذات الصّلة بحياة المجتمع و حاضره و مستقـــبله ، و يغطّي شتّى الموضوعات التي ترتبط بجميع نواحي الحياة ، سياسيّة ، اقتصاديّة ، اجتماعيّة ، ثقافيّة ، علميّة، تربويّة، فكريّة...، و يستجيب للحاجات الضروريّة التي تفرضها العلاقات الثنائيّة و المصالح المتبادلة.

« كما أنّ مقام الحوار يتغيّر حينما ينتقل من عالم الأعيان إلى عالم الخيـــــــــال و من الكلام المنطوق إلى الخطاب المكتوب و من المكتوب إلى المرئي، فكلّما تغيرت قنوات الاتّصال تغيّرت أشكال الحوار و تعدّدت مناحيه و من ثم ندرك أهمّية تأثير الشّكل في المحتوى تأثيرا جدليّا[1]».

جـ - أهدافه:

« إنّ الغرض من الحوار هو البحث عن الحقّ ليتّضح ، فالحقّ مطلوب و التّعاون على النّظر فيه مفيد و مؤثر ، هكذا عادة السّلف الصّالح - رضي الله عنهـــــــم- في تحاورهم ، فقد تدعوا الحاجة إلى البحث المشترك للتّوصل إلى الحقّ مثلما حدث بين الصّحابة - رضي الله عنهم- في حوارهم في مسألة الجدّة ، و حدّ شرب الخمرة[2]»*

---

[1] أحمد يوسف، المرجع السابق، ص175-176

[2] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، "إحياء علوم الدين" مج1 ص54،

* ملاحظة: ورد في حوار الصحابة – رضي الله عنهم- في ميراث الجدة عن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال لها أبوكر: مالك في كتاب الله شيء ، و ما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئا، فارجعي

ويقول **(جميل صليبا)**: « و غاية الحوار توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلّم [1]» تتطلّع الحواريّة إلى أن تكون ذات أبعاد كونيّة، حيث لا تتعامل مع الوحدات والعناصر تعاملا ذريّا، بل تنظر إليها نظرة بنيويّة... فيسهم الحوار في بناء الهيكل المتجذر للخطاب الذي لا يقصي دور المتكلّم في المحكي الذي لا يعبّر عن ذاته وقصده فقط و إنّمّا ينقل خطاب الآخر مع العلم أنّه يضفي عليه سماته الذاتيّة... بل إنّ الكينونة تنتجها فاعليّة الحوار ضمن الأسيقة التداوليّة التي تفرض وضعيّة خاصّة بمراجعة الكلام بين المتكلّمين و هكذا ينتقل فعل التّخاطب من طور النّزعة الفرديّة المعروفة إلى طور الشّراكة الجماعيّة التي تقتضي بدورها فعلا حجاجيّا قوامه الحوار و الإقناع[2].

- فالمتحاورون و المتجادلون يستعملون مختلف أنماط العلامات استعمالا معقـــولا في مطارحاتهم الفكريّة ، حيث يتمخّض عن هذا السّلوك القبول بمبدأ الشّراكة و قبول الآخر بوصفه جزءا لا يتجزّأ من الممارسة الفكريّة .

و بصفة عامّة يمكن إجمال أهداف الحوار في البحث عن الحقّ و السّعي وراءه وكل ما من شأنه أن يحقّق الخير و الصّلاح و الأمن و السّلام و الرّخاء و الطمأنينة للنّاس كافّة[3]. قال تعالى في سورة (الحجرات): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ [4]﴾

فلفظ «التّعارف» يفيد و يقوّي و يزكّي هذه المعاني جميعا ، فالتّعارف يتّسع ليشمل التّعاون و التّعايش و كلّ ضروب العمل الإنسانيّ المشترك فهو هدف ســـام من أهداف الحوار.

حتى أسأل الناس. فسأل الناس ، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله صلى الله عليه و سلم أعطاها السدس ، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة ، فأنفذه لها أبو بكر. في الحافظ أبي عبيد عبد الله بن يزيد القزويني "سنن ابن ماجة" كتاب الفرائض ، باب ميراث الجدة ـ رقم (2724) ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1(دت)ص410.
و ورد في حوار الصحابة – رضي الله عنهم- بشأن شرب الخمرة: عن أنس بن مالك : أن النبي صلى الله عليه و سلم جلد في الخمر بالجريد و النعال، ثم جلد أبو بكر أربعين، فلما كان عمر ، ودنا الناس من الريف و القرى قال : ماترون في جلد الخمر؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: أرى أن تجعلها كأخف الحدود ، قال: فجلد عمر ثمانين.
الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم، تحقيق و تخريج أحمد زهوة، و أحمد عناية، كتاب الحدود ، باب الخمر، رقم (4454)، دار الكتاب العربي، بيروت(1429هـ -2008م) ص724.

[1] جميل صليبا ، "المعجم الفلسفي"، ص501
[2] ينظر أحمد يوسف، سميائيات التواصل و فعاليات الحوار، ص88-90
[3] أحمد يو سف، المرجع السابق، 173
[4] سورة الحجرات، الآية، 13

ج- مفهوم الجدل:

الجدل لغة : هو اللّدد في الخصومة و القدرة عليها ، و قد جادله مجادلة و جـــدالا . و رجل جدل و مجدل و مجدال: شديد الجدل ، يقال جادلت الرجل فجدلته جـــدلا : أي غلبته ، و رجل جدل إذا كان أقوى في الخصام ، و جادله أي خاصمه ، و الجدل هو شدّة الخصومة.[1]

وفي« المعجم الفلسفي» «جدل جدالا» اشتدّ خصومه و جادل مجادلة و جدالا ناقشه وخاصمه[2].

وعرّفه **(ابن فارس)** فقال: «الجيم و الدّال و الميم » أصل واحد وهو من باب استحكام الشّيء في استرسال يكون فيه، و امتداد الخصومة و مراجعة الكلام[3]"

أمّا **(محمد التّومي)** فيرى أنّ الجدل يطلق في الأصل اللّغوي على معنيين حسيّين:

أحدهما: الشّد و الفتل و الإحكام، جدلت الحبل أي أحكمت فتله، و جدلت البناء أي أحكمته.

ثانيهما: الإلقاء و الإسقاط على الجدالة التي هي الأرض الصلبة جاء في « أساس البلاغة» ل: **(الزمخشري)** «جدله» أي ألقاه على الجدالة « بمعنى طرحه أرضا[4]» و يرى **(منّاع القطان)** أنّ« أصله من جدلت الحبل أي؛ أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه[5] ».

- و خلاصة المعنى اللّغوي للجدل أنّه اللّدد في الخصومة و القدرة عليهـــــــا و امتدادها و مراجعة الكلام.

و الجدل في الاصطلاح لا يختلف كثيرا عن معناه اللّغوي، فهو يعني المفاوضـــة على سبيل المنازعة و المغالبة لإلزام الخصم. قال **(ابن سينا)** في« الشّفاء»- كتاب الجدل-: «أمّا المجادلة فهي مخالفة تبغي إلزام الخصم بطريقة مقبولة محمـــــودة بين الجمهور» و قال صاحب «المصباح المنير» بعد أن ذكر المعنى اللّغوي للجدل « ثم استعمل على لسان حمله الشّرع في مقابلة الأدلّة لظهور أرجحـــــــــــها » و أمّا **(الجرجاني)** في «التّعريفات» فقال: « الجدل عبارة عن مراء يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها »، و يرى **(أبو البقاء)** في كتاب «الكليّات»: « الجدل هو

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة"جدل" ج11- ص105
(2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ج1ص391
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص433
(4) ينظر محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، شركة الشهاب الجزائر (دت) ،ص07
(5) مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن،ط6، مكتبة القاهرة،1988، ص294

عبـــارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجّة أو شبهة و هو لا يكون إلاّ بمنازعة غيره[1]» .

وهو عند **(مراد وهبة)** فنّ الحوار و المناقشة و طريقة للاستدلال [2] ، و يعتبره **(أفلاطون)** « منهج في التّحليل المنطقيّ يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس و أنواع بحيث يصبح علم المبادئ الأولى و الحقائق الأزليّة[3]»

- إذن ما يمكن استخلاصه و استنتاجه من هذه الأقوال و التّعاريف التي دارت حول معاني و مفهوم الجدل، هو اعتبار هذا الأخير (الجدل) أسلوبا من أساليب الإقناع حيث يعتمد فيه صاحبه (المجادل)- أثناء الخصومة و المجادلة و المنازعة - على الحجج و الاستدلالات و البراهين لإثبات صحّة رأيه و وجهة نظره، و إلزام الخصم و إقناعه ببطلان مدعاه.

د-ألفاظ مرادفة للجدل:

شاعت بين النّاس بعض الألفاظ التي يرادف أو يقارب معناها مفهوم الجدل كالمناظرة و المحاورة و المناقشة و المباحثة و المدارسة فهي تعود كلها إلى طريقة البيان و التّبيين التي أودعها الله في البشر جبلّة و طبعا.

ويرى بعض الدّارسين أنّ هذه الألفاظ و إن قاربت معانيها مفهوم الجدل إلاّ أنّ هناك بعض الفروق و الاختلافات حيث أنّ الجدل يراد منه إلزام الخصم و مغالبته ، أمّا المناظرة : فهي تردّد الكلام بين شخصين يقصد كل منهما تصحيح قول و إبطال قول صاحبه مع رغبة كلّ منهما في ظهور الحقّ.

والمحاورة: هي المراجعة في الكلام و منه التّحاور أي التّجاوب و هي ضرب من الأدب الرّفيع و أسلوب من أساليبه، و قد ورد لفظ الجدل و المحاورة في موضع واحد في سورة المجادلة، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾[4] و قريب من ذلك المناقشة [5]

---

(1) ينظر زاهر عوض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص24
(2) ينظر مراد وهبة، المعجم الفلسفي،دار قباء مصر 1998 ص249
(3) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3 مكتبة مدبولي مصر 2000 ص60
(4) سورة المجادلة، الآية01
(5) ينظر الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم ص30

ه-الجدل في القرآن الكريم:

إذا كان القرآن الكريم كتاب دعوة و هداية و كان المعجزة الخالدة الموجهة للأفكار و المبادئ و الآراء و المعتقدات ، فلا غرابة في كثرة أساليب الجدل فيه النّاطقة بالحجج الصّحيحة و البراهين الواضحة التي ساقها لهداية الكافرين ، و إلزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد و الأهداف التي يريد تحقيقها وترسيخها في الأذهان[1].

و قد ورد في الجدل في القرآن على ثلاثة أوجه هي:

أ – ما ردّ الله به على الخصوم من الحجج و البراهين، و ما ساقه من الأدلّة لتثبيت العقائد و تقرير قواعد الملّة ممّا جاء على ألسنة رسله و أنبيائه و ما ألهمه الله عباده الصّالحين من قول بالحقّ و دفع للباطل.

ب- ما ورد في القرآن بطريقة الحوار و القصد منه الاسترشاد و حب الاستطـــــلاع و الاعتبار أو الترجّي و الدّعاء. و من هذا القبيل جدل إبراهيم -عليه السّلام - ربّه حيث قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ [2]﴾.

جـ - ما يأتي على ألسنة الكفّار من الاعتراضات و الشبه و الدّعاوي الباطلة التي قصّها القرآن الكريم و بين بطلانها و ما تنطوي عليه من مفاسدها[3].

قال تعالى: ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ [4] ﴾.

و ممّا سبق نستنتج أنّ الجدل نوعان: محمود و مذموم.

أ – الجدل الممدوح(المحمود): « هو الذي تتوفّر فيه أدبيّة الحوار و شروطـــــــه، و يستند إلى حجج و أدلّة صحيحة للدّفاع عن حقّ و إزهاق باطل، يعرّفه **(الألمعي)** قائلا: « هو كلّ جدال أيّد الحقّ أو أفضى إليه بنيّة خالصة وطريق صحيح »[5]

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1] .

---

(1) ينظر الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص25

(2) سورة البقرة ، الآية260

(3) ينظر الألمعي، المرجع نفسه، ص25-26

(4) سورة غافر، الآية05

(5) الالمعي المرجع نفسه ص 50

يبيّن الله - سبحانه وتعالى- لنبيّه الكريم في هذه الآية الطّريقة المثلى و الصّحيحة في الدّعوة إلى الله بالتّرتيب ، و هي: استعمال الحكمة ثمّ الموعظة الحسنة، و بعد ذلك الجدل بالتي هي أحسن، أي؛ إذا لم تكن هناك قناعة أو اقتناع باستعمال الحكمة والموعظة و كان العناد و المواجهة فلا بد من استعمال الجدل الحسن المحـــــمود من أجل الإقناع و لهذا قال: (و جادلهم) فجعله فعلا مأمورا مع قوله (ادع...) فمادام الرجل مستعدّا للحكمة أو الموعظة الحسنة أو هما معا لم يحتج إلى مجادلـــة فإذا مانع جودل بالتي هي أحسن[2]».

و قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ [3]﴾، أمر الله -عزّ و جلّ- في هذه الآية بمجادلة أهل الكتاب باللّين و الرّفق باستثناء الظّالمين منهم ، فلا بدّ من مواجهتهم بالمثل قصد إفحامهم و إبطال ادّعاءاتهم و مكرهم و حججهم.

و خلاصة القول أنّ الجدل الممدوح (المحمود) هو ذاك الجدل الذي سلكه الأنبياء و الرّسل -عليهم السّلام- مع أقوامهم و سلكه الصّحابة و الصّالحون و العلماء بغية إظهار الحقّ و إزهاق الباطل.

ب ـ الجدل المذموم: « هو كلّ جدال ظاهر الباطل أو أفضى إليه »[4]
إذن فهو السّعي إلى إخفاء الحقّ ودحضه، وإظهار الباطل ونضرته وقد ذمّ القرآن الكريم الجدال بالباطل في عدة آيات منها:

قوله تعالى : « وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ »[5]

وقال -عزّ وجلّ -: «مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ »[6]

وقال تعالى في نفس السّورة: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾[1]

---

(1) سورة النحل الآية 125
(2) الألمعي، المرجع السابق، ص50
(3) سورة العنكبوت ، الآية46
(4) الألمعي : مناهج الجدل في القران الكريم : مرجع سابق ص 62
(5) سورة الكهف الآية 56
(6) سورة غافر الآية 04

وهناك من النّاس من يجادلون بغير علم،يقول سبحانه وتعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾[2].

وقال أيضـــــــا: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣﴾[3].

ما يستخلص ويستنتج من الآيات الكريمة السّابقة هو أنّ الجدل المذموم منسوب إلى الكفّار ، وخصّهم الله به دون سواهم ، وعليه كل من يجادل بالباطل لإخفاء الحقّ وإظهار الباطل ، أو يجادل بغير علم ، خاصّة فيما يتعلّق بمسائل الدّين فهو في زمرة الكافرين فهو " جدال لنصرة الباطل بالشّغب والتّمويه بعد ظهور الحقّ "[4].

و-الفرق بين الحوار والجدل:

«الحوار والجدال يلتقيان في أنّهما حديث أو مناقشة بين طرفين لكنّهما يفترقان بعد ذلك»[5] فإذا كان الجدال حديث يقتضي المنازعة والمغالبة بغية إلزام الخصم وإقحامه فإن الحوار هو مراجعة الكلام وتبادل أطراف الحديث بين شخصين دون تعصـــّب أو خصومة.

إنّ كلمة « **الجدال** » أخذت مدلولا جديدا يوحي بالطّريقة التي يتّبعها المتناظـران أو المتجادلان ، ليغرقا حديثهما أو مناظرتهما بالكلام العقيم ، الذي قد يقتـــــرب إلى التّرف الذهني ، بما يثيره من قضايا جانبيّة أو مناقشات لفظيّة ، تخضع الفكرة إلى متاهات لا يعرف الإنسان كيف تنتهي ، وأين تستقرّ! ولعل السّبب في ذلك هو أنّ الجدال تحوّل إلى صناعة يقصدها الكثيرون لذاتها ، من أجل التّدرب على الأخذ والردّ والدّفاع والهجوم في مجالات الصّراع الفكريّ ، ليعطّل قوّة خصمـــــــــه ، لا ليوصله إلى الحقيقة ، أمّا كلمة «**الحوار**» فهي أوسع مدلولا من كلمة الجدال ،

(1) نفس السورة الآية 05
(2) نفس السورة الآية 35
(3) سورة الحج الآية 03
(4) الألمعي : مرجع سابق ص 63
(5) معن محمود عثمان ضمرة :" الحور في القرآن الكريم " أطروحة ماجستير في أصول الدين ص 08

باعتبار تضمن الجدال معنى الصّراع ، بينما نجد الحوار يتّسع له ولغيره ، ممّا يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السّؤال والجواب»[1]

فالحوار إذن أوسع من الجدال ويتضمّنه لأنّ التّواصل اليوميّ بين النّـــــــاس في علاقاتهم ومعاملاتهم كالتّعارف والتّعليم والتّجارة وغيرها يقتضي الحوار الهادئ و الهادف والبناء. وأمّا الجدال فيحدث أو يقع عندما يتعارض ويتخاصم الطّـــرفانّ المتحاوران حول فكرة ما ويتعصّب كلّ منهما لرأيه بعرض حجج وأدلّة تعزّز موقفه وتضعف حجّة خصمه وتقحمه، ويحدث خاصّة في المناظرات.

« إنّ الحوار يتحوّل إلى جدل مذموم إذا تخلّلته اللّدة في الخصومة والمعارضة والمنازعة والتّمسك بالرّأي والتّعصّب له دون وجه حقّ ،فالجدال هو حوار بين طرفين يسوده المنازعة والتّعصّب للرّأي وقد ورد الجـــــدال في تسعة وعشرين موضعا في القرآن الكريم كلّها جاءت بالمعنى المذمـــــــــوم إلاّ في أربعة مواضع هي: »[2].

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[3]

وقال تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[4]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[5]

وقال تعالى أيضا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ

وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[6]

« فالجدال لم يؤمر به ولم يمدح في القرآن على الإطلاق ، بل جاء مقيّدا بالحسنـــى كما هو الموضعين الثاني و الثالث و مجرّدا منها بمعنى الحوار الهادئ كمـــــــــا في الموضعين الأوّل والرّابع »[7].

---

(1) ينظر فضل الله محمد حسين : الحوار في القرآن : قواعده ـ أساليبه ـ معطياته ـط6 ، دار الملاك بيروت 2001 ص 52

(2) معن محمود عثمان ضمرة : الحوار في القرآن الكريم : مرجع سابق ص 09

(3) سورة هود الآيتان : 74-75

(4) سورة النحل الآية 125

(5) سورة العنكبوت الآية : 46

(6) سورة المجادلة الآية 01

(7) ديماس محمد راشد :"فنون الحوار والإقناع مرجع سابق ص : 13

3-4- الحجاج (المحاجّة):

لغة : مأخوذ من كلمة «حجّة» وتعني البرهان ، وقيل الحجّة ما دوفع بها الخصم [1] تقول حجّة ، وفلان خصمه محجوج ، وكانت بينهما محاجّة [2] ويرى **(الأزهري)** بأنّ الحجّة هي الوجه الذي يكون فيه الظّفر عند الخصومة ، وهو رجل محجاج ، أي جدل،والتّحاجّ التّخاصم ، وجمع الحجّة ، حجج، وحاجّه محاجّة ،وحجاجا ، نازعه الحجّة ...

وفي حديث « **فحجّ آدم موسى**» أي غلبه بالحجّة ، يقول **(الأزهري)** : «إنّما سمّيت حجّة لأنّها تحجّ أي تقصد لأنّ القصد لها وإليها وكذلك محجّة الطّريق هي المقصد والمسلك وفي حديث الدّجال «...أن يخرج فيكم وأنا فيكم فأنا حجيجه » أي مغالبه بإظهار الحجّة عليه ، والحجّة : الدّليل والبرهان[3]»

وفي «**المعجم الفلسفي**»نجد أنّ الحجّة تعني: ما يراد به إثبات أمر أو نقضه ومنها جاءت كلمة محاجّة Argumentation ويراد طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها[4].

اصطلاحا : الحجاج هو الاستدلال في الكلام أو النّقاش باستعمال الحجج التي تساهم في إحداث الإقناع لدى المتلقّي ، يرى **(فليب بروتون)** : « أنّ المحاجّة هي وسيلة لتقاسم رأي ما مع الغير وهي بعيدة عن ممارسات العنف الإقناعي مثلما تبتعـــــد عن أساليب التّضليل وحتى البرهان العلميّ ، إنّها تمثّل نوعا خاصّا ، يدخل في إطار عائلة الأفعال الإنسانيّة التي هدفها الإقناع اليقينيّ »[5] .

ويعرّف **(طه عبد الرحمان)** الحجاج بأنّه « كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها »[6].

---

(1) ابن منظور : مرجع سابق مادة " الحج" ص 52
(2) الزمخشري : أساس البلاغة مرجع سابق مادة " حجج" ص 113
(3) ابن منظور : المرجع نفسه ص 51
(4) ينظر جميل صليبا المعجم الفلسفي ج 1 ص 445
(5) Philippe Berton, l'argumentation dans la communication (2eme édit) :p06
(6) طه عبد الرحمان : اللسان والميزان أو التكوير العقلي ص226 في عبد الهادي بن الظافر الشهري : استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ط1 ص 456

فمن خلال هذين التّعريفين نخلص إلى أنّ الحجاج هو آليّة أو أسلوب يتجسّد عبرها استراتجيّة الإقناع حيث « يتولّد الإقناع عند المرسل إليه بالحجاج، ومادام عناصر العمليّة الحجاجيّة هي نفسها عناصر العمليّة الاتّصاليّة وضع **(بروتون) (Breton)** مخطّطا توضيحيّا للعمليّة الحجاجيّة أطلق عليه اسم المثلّث الحجاجي (triangle argumentatif)

1 ـ رأي الخطيب: يدخل في نطاق هذا الرأي الفكرة أو وجهة النّظر التي يريد المرسل أن يلقيّها وهذه الفكرة تكون موجودة قبل وجود الحجّة، والتي يمكـــــــن أن تتحوّل إلى حجّة

2 ـ الخطيب (المرسل) الذي يحاجج لنفسه أو لغيره مثل: المحامي الذي يحاجـــج من أجل موكّله.

3 ـ الحجّة: يتعلّق الأمر بالرّأي المهيّأ للإقناع والمندسّ في الاستدلال الحجاجي، والحجّة يمكن أن تقدّم كتابيّا أو شفويّا.

4 ـ المخاطب: الذي يريد الخطيب إقناعه بالرّأي المقترح سواء أكان شخـــــــصا أو جمهورا..

5 ـ سياق الاستقبال: يضم مجموع الآراء، القيم والأحكام التي يتقاسمها الخطيب مع المخاطب والتي تمثل مقدّمة لفعل المحاجّة، تلعب دورا في استقبال الحجّة، في قبول المخاطب، أو رفضه أو تأييده المتغيّر الذي سيجذبه.

(1)

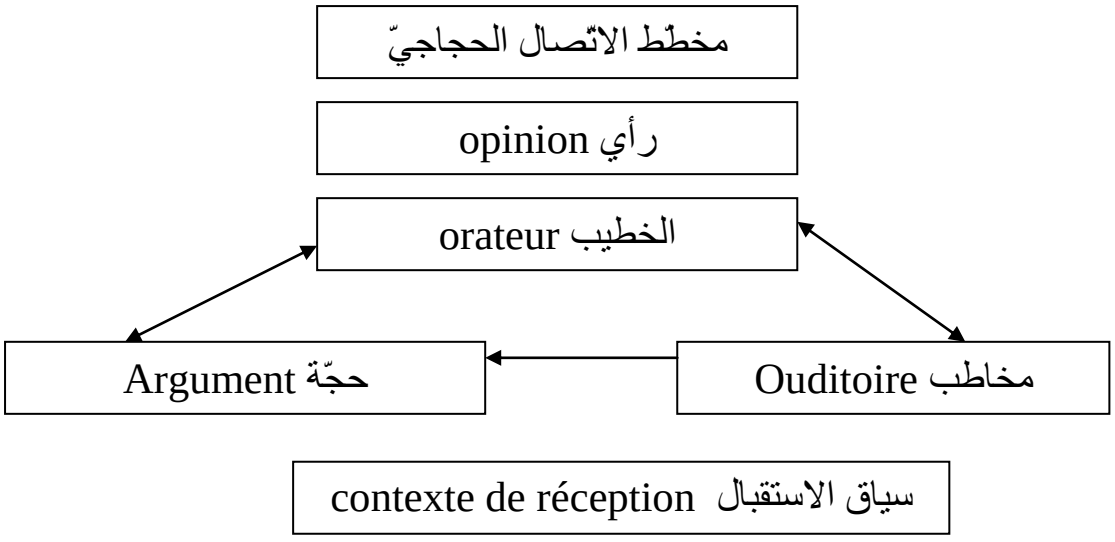

وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى حتى يسدّد المتكلّم السّبيل على السّامـــــع فلا يجد منفذا إلى استضعاف الحجّة والخروج عن دائرة فعلها »[2]

(1) Philippe breton p :19

(2) حمادي صمود : مقدمة في لخلفية النظرية في المصطلح ص 14 في ابن الظافر الشهري مرجع سابق ص 457

والمحاجّة هي عمليّة يمارسها الإنسان يوميّا في حياته لإثبات فكرة معيّنـــــــــة أو نقضها أو الدّفاع عن الرّأي أو وجهة نظر باستعمال مختلف الأساليب اللّغوية والبلاغيّة « مثل التّشبيه والاستعارة والكناية أو الاستفهام الذي يخرج عن كونه استفهاما حقيقيّا إلى معنى آخر مجازي وكل الأساليب البلاغيّة التي من شأنها تقريب وتجسيد وجهه نظر القائم بالاتّصال » [1] ، وباستعمال الاستدلالات المنطقيّة كالاستنتاج والقياس والاستقراء « كونها موجودة في الخطاب السيّاسيّ ،و الخطاب الإشهاري التّجاري،وفي حرارة النّقاش في الرّسائل الجامعيّة وحتّى في الجدال العاديّ بين النّاس »[2]

ما نفهمه من خلال هذا المثلث الحجاجيّ أنّ الاتّصال يقوم بين الخطيب والمخاطب في شكل استدلال حجاجيّ لغرض تغيير أو تحديث سياق الاستقبال .

3-5-الاستدلال المنطقيّ والاستدلال القرآنيّ:

الاستدلال لغة:هو طلب الدّليل ،واصطلاحا هو تسلسل عدّة أحكام مترتّبة بعضها على بعض ، بحيث يكون الأخير منها متوقّفا على الأوّل اضطرارا ، فكلّ استدلال إذن انتقال من حكم إلى آخر، والحكم الأخير لا يكون صادقا إلا إذا كانت مقدّماته صادقة[3] وينقسم الاستدلال إلى ثلاثة أقسام وهي :

أ-الاستنتاج: هو في الاصطلاح استخراج النّتائج من المقدّمات أو هو الانتقـــال من العامّ إلى الخاصّ أو من قاعدة أساسيّة إلى استنتاجات في نموذج معطى ، ويدخل في إطاره القياس لأنّ الاستنتاج أعمّ من القياس ، وكلّ قياس استنتاج وليس العكس [4]

فالصّفة الأساسيّة للاستنتاج هي إذن لزوم النّتيجة عن المقدّمات اضطرارا سواء كان ذلك الاستنتاج صوريّا كالقياس أو تحليليّا كالبرهان الرّياضي[5].

ب- القياس : هو التّقدير ، يقال قاس الشيء إذا قدّره ، ويستعمل أيضا في التّشبيـــه أي تشبيه الشّيء بالشيء ، والقياس الفقهيّ : حمل فرع على أصله لعلّة مشتركة بينها

---

(1) معتصم بابكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ط 1 ص 54
(2) محمد برقان : :الاتصال الاقناعي من خلال فن الخطابة مرجع سابق ص 79
(3) ينظر جميل صليبا المعجم الفلسفي : مرجع سابق ص 67
(4) ينظر محمد برقان : الاتصال الاقناعي من خلال فن الخطابة ، مرجع سابق ص 114
(5) ينظر جميل صليبا : المرجع نفسه ص 75

، والقياس المنطقي قول مؤلف من قضايا ، إذا سلمت لزم عنه لذاته قول آخـــــر [1] و القياس أنواع من بينها:

ـ القياس المضمر: هو الذي يحذف فيه إحدى مقدمتيه مع وجود ما ينبئ عنها :ويرى **(الألمعي)** أنّ أكثر أدلّة القرآن (الأقيسة) قد حذفت منها إحدى المقدّمات ، ويعلّل رأيه بما قاله صاحب «شرح العقيدة الطّحاوية »: « إنّ الطّريقة الفصيحة في البيـــان أن تحذف إحدى المقدّمات وهي طريقة القرآن » وبما قاله **(الغزالي)** « إنّ القرآن مبناه الحذف والإيجاز»

أي (في شكل الأقيسة) قال تعـــــــــالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ [2]﴾.

نجد أنّ هذا القياس قد حذفت منه مقدّمة،وكأنّ الدّليل في غير كلام الله تعالى يكــون إنّ (آدم) خلق من غير أب ولا أم ، و(عيسى) خلق من غير أب ، فلو كان (عيسى) إلها بسبب ذلك لكان (آدم) أولى ، لكنّ (آدم) ليس ابنا ولا إلها باعترافكم ، فـ(عيسى) أيضا ليس ابنـــا ولا إلها [3]

ـ قياس الخلف : وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه، وذلك لأنّ النّقيضـــــــين لا يجتمعان ولا يخلو المحلّ من أحدهما كالمقابلة بين العدم والوجود، والقرآن الكريم يتّجه في استدلاله إلى إبطال ما عليه المشركون ويثبت التّوحيد [4] ومن ذلك قوله تعالـــــــى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ [5]﴾.

يرى **(محمد العمري)** أنّه مادام لم تفسد فليس فيهما إلا إله واحد [6]، حـــــــيث « لو كان في السّموات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب

(1) ينظر عبد الرحمان بدوي : موسوعة الفلسفة ج 2 ط1 المؤسسة العربية للدّراسات والنشر مصر 1984 ص 243
(2) سورة آل عمران الآيتان 59-60
(3) ينظر الألمعي : مناهج الجدل في القرآن الكريم مرجع سابق ص 76-77
(4) ينظر المرجع نفسه ص 77-78
(5) سورة الأنبياء الآية 22
(6) محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي ط1 دار الثقافة ،الدار البيضاء 1985 ص 83

،وإن هذا التّنازع يؤدّي إلى فسادهما لتناقض الإرادتين ولكنّهما صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدّي إلى الفساد فكانت الوحدانيّة »[1]

ومن قياس الخلف في إثبات أنّ القرآن من عند الله ، قوله تعالى : ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾[2] وإذ ا ثبت أنّه ليس فيه اختلاف ولا تضارب في مقرّراته ولا عباراته فإنّه يثبت النّقيض وهو أنّه من عند الله تعالى[3]

ويسمّي علماء الكلام هذا الدّليل دليل التّمانع ، أي امتنعت الوثنيّة لامتناع الفساد فكانت الوحدانيّة [4].

ج- الاستقراء:

الاستقراء لغة التتبّع من استقرأ الأمر إذا تتبّعه لمعرفه أحواله ، وعند المناطقة هو الحكم على الكلّي لثبوت ذلك الحكم في الجزئي[5] ، وهو عند **(ابن سينا)** « الحكم الحكم على الكلّي لوجود في الحكم جزيئات ذلك الكلّي ، إمّا كلّها وهو الاستقراء التـــّام ، وإما أكثرها وهو الاستقراء المشهور ، ويسمى أيضا النّاقص»[6].

ويقول **(مهدي فضل الله)** « الاستقراء استنتاج قضيّة كليّة من أكثر من قضيتين وبعبارة أخرى، هو استخلاص القواعد العامّة من الأحكام الجزئيّة »[7].

ويعرّفه **(ابن تيميّة)** بأنّه « الاستدلال بالجزئي على الكلّي والاستقراء يكون يقينيّا إذا كان استقراء تامّا لأنّه حينئذ نكون قد حكمنا على القدر المشترك بما وجدناه في جميع الأفراد وإلاّ فهو ناقص »[8].

والاستقراء يعتبر من المسالك الأكثر إقناعا ووضوحا للفهم ونجده عند طبقة كبيرة من النّاس ومن الأساليب التي تستعمل كاستقراء في الإقناع الخطابيّ (القصّة والمثل)[9]

---

(1) الألمعي : مرجع سابق ص 78
(2) سورة النساء الآية 82
(3) محمد أبز زهرة : المعجزة الكبرى مرجع سابق ص 401
(4) الألمعي المرجع نفسه ص 78
(5) جميل صليبا : المرجع السابق ص 72 و أيضا في مراد وهبة المعجم الفلسفي ص 55
(6) جميل صليبا : المرجع نفسه ص 72
(7) مهدي فضل الله : مدخل إلى علم المنطق ط3 ص 244
(8) المرجع نفسه ص 245
(9) ينظر محمد برقان : الاتصال الاقناعي من خلال فن الخطابة : مرجع سابق ص118

-السبر والتّقسيم:

هو قسم من أقسام القياس يسمّى الشرطيّ المنفصل ويسمّيه الفقهاء والمتكلمون **السبر والتّقسيم**[1] وهو باب من أبواب الجدل يتخذه المجادل سبيلا لإبطال دعـــوى دعـــوى من يجادله ، ويكون ذلك بحصر الأوصاف للموضوع الذي يجادل فيه ثم يبين أنّه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصيّة تسوغ قبول الدّعوى فيه فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقيّ للموضوع [2] ، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[3].

وقد بيّن **(السيوطي)** وجه الاستدلال من هذه الآية الكريمة فقال : « إنّ الكفّـــار لمّا حرّموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى ، ردّ الله عليهم ذلك بطريق السّبر والتّقسيم ، فقال : إنّ الخلق لله ، خلق من كل زوج ممّا ذكر ذكرا وأنثى ، فهم جاء تحريم ما ذكرتم ؟ أي ما علّته ؟ لا يخلو إمّا أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثـــة أو اشتمال الرّحم الشامل لهما أو لا يدري له علّة وهو التعبّدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالى والأخذ عن الله تعالى إمّا بوحي أو إرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقّي ذلك عنه ، وهو معنى قوله ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا﴾

[1] ينظر محمد التومي : الجدل في القرآن : مرجع سابق ص 250
[2] ينظر الألمعي : مناهج الجدل في القرآن الكريم مرجع سابق ص 74
[3] سورة الأنعام الآيتان 143-144

...فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة، وبعض في حالة أخرى لأنّ العلّـــة على ما ذكر تقتضي إطلاق التّحريم...وما قالوه افتراء على الله وضلال»[1].

- الانتقال في الاستدلال وترتيب الحجج الإقناعيّة :

وهو أن ينتقل المستدلّ من دليل إلى آخر ، أو من مثال إلى مثال لعدم فهم الخصم وجه الدّلالة من الدّليل أو المثال الأول ، أو عندما يفهم ويحاول المغالطة ، وحينئذ يأتي المستدلّ بدليل أو مثال آخر يعجز الخصم ويلزمه فلا يجد مفرّا دون الانقطــاع أو التّسليم [2].

وقد أشار **(معتصم بابكر مصطفى)** في كتابه «من أساليب الإقناع في القرآن الكريم» إلى أنّه « ذهبت بعض الدّراسات إلى أنّ الحجج التي تقدّم في البداية تأثيرها أقوى من الحجج التي تقدم في النّهاية بينما أظهرت دراسات أخرى نتائج عكس ذلك ... ويرى بعض الباحثين أنّ تأجيل الحجج الأقوى حتى النّهاية أفضل من تقديمهـــا في البداية »[3] .

إذن تأخير الأدلّة والحجج القويّة حتى النّهاية تكون أقوى تأثيرا على الخصم وأكثر إقناعا له، وخير دليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم عن مناظرة ومحاجّة سيّدنا إبراهيم ـ عليه السّلام ـ للنّمرود حيث قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[4]

(1) ينظر جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ج 4 ص 55
(2) ينظر الألمعي : مرجع سابق ص 82
(3) معتصم بابكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القران الكريم مرجع سابق ص 98-69
(4) سورة البقرة الآية 258

إذن فالحجّة الأخيرة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ هي التي أعجزت (النّمرود) وأقحمته وألزمته ، وهذا أمر لا يقوى عليـــه أي مخلوق،فالله -سبحانه وتعالى- خالق هذا الكون هو القادر على ذلك ، وجعل طلوع الشمس من المغرب علامة من العلامات الكبرى للسّاعة .

- الاستدلال على الخصم بإظهار التشهّي والتّحكم:

هو الاحتجاج على الخصم بأنّ ما يدّعيه باطل، لأنّه لا يقبل إلاّ ما يوافق هواه ورغباته، وإن خالف ذلك رفضه وردّه من أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾[1] وقولـــــه تعالى : ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾[2].

فلا يجوز أخذ بعض الكتاب وترك بعضه ، والتزام بعض الشرائع وترك بعضها وفق الهوى والشهوات إذ لو كان الشّرع تابعا للهوى والشهوة لكان في الطّباع ما يغني عنه ولكانت شهوة كلّ أحد وهواه شرعا له [3] ، ولعمَّت الفوضى المجتمعات، وانتشر فيها الفساد والانحلال الخلقي ولساد قانون الغاب .

- الاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر:

وذلك مثل ما صنع إبراهيم -عليه السّلام- في مناظرته لأصحاب الهياكل وكيفيّة استدلاله على وجود الخالق من خلال مخلوقاته [4] قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ

(1) سورة البقرة الآية:87
(2) سورة البقرة الآية :85
(3) الألمعي : مرجع سابق ص 84-85
(4) ينظر الألمعي : مرجع سابق ص 85.

ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

فسيّدنا إبراهيم ـ عليه السّلام ـ استدلّ على وجود الله بأفول الكواكـــب « على أنّها ليست بآلهة لحدوثها فتكون محتاجة إلى محدث ... وقد ساق إبراهيم ـعليه السّلام ـ أدلّته مساق الموافق لأصحاب الهياكل في المبدأ والمخالف في النّهاية ليكون الإلزام أبلغ والإفحام أقوى ولم يكن إبراهيم ـ عليه السّلام ـ في قوله : (هذا ربي) مشركا لأنّ سوق الكلام على جهة الإلزام غير سوقه على جهة الالتزام »[2]

ومن ثم تبرّأ إبراهيم ـ عليه السّلام ـ من شرك قومه لأنّ الحجّة أصبحت قائمة والحقيقة ظاهرة للعيان ، فلا يعجز العقل بعد التدبّر والتأمّل من أنّ هناك قوّة كبرى وقدرة هائلة تتحكّم في ناموس هذا الكون وتسيّره ، تتمثل في خالقه وهو الله الذي لا شريك له والأحقّ بالتّوحيد والعبادة والطّاعة دون سواه، فسبحان الله عمّا يشركون.

ـ تقديم الأدلّة والشواهد:

إنّ عرض الأدلّة والشواهد ضمن محتوى الرّسالة لها أثرها البليغ على عقل وفكر المتلقي إذ تعتبر أدواتا منطقيّة وعلميّة مقنعة ، ولهذا « يسعى معظم القائمين بالاتّصـــــال إلى دعم رسائلهم الإقناعيّة بتقديم أدلّة أو عبارات تتضمّن إمّا معلومات واقعيـّــــة أو أراء منسوبة إلى مصادر أخرى غير القائم بالاتّصال» [3].

(1) سورة الأنعام من الآية: 75 إلى 79
(2) الألمعي : مرجع سابق ص 86
(3) معتصم أبو بكر مصطفى : مرجع سابق ص 66

قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]

فهذه الآيات الكريمات تخاطب العقول بطريقة صريحة وواضحة وتدعو إلى إعمال الفكر والتدبّر والتأمّل في عجائب خلقه ودلائل قدرته فتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه.

- ويضيف **(معتصم بابكر مصطفى)** طرح بعض الملاحظات العامّة حول تقديم الأدلّة والشواهد منها :

أ- « يرتبط استخدام الأدلّة والشواهد في الرّسالة بإدراك المتلقي لمصداقيّة المصدر،فكلّما زادت مصداقيّة مصدر قلّت الحاجة لمعلومات تؤيد ما يقوله .

ب ـ تحتاج بعض الموضوعات أدلّة أكثر من غيرها، خاصّة تلك الموضوعات التي لا ترتبط بالخبرات السّابقة للمتلقي.

ج ـ يقلل التّقديم الضعيف للرّسالة من وقع وتأثير أي دليل .

د- تقديم الأدلّة يكون وقعه أكبر على الجماهير الذكيّة ، أي أولئك الذين يتوقّعون إثباتا للأفكار المعروضة عليهم .

هـ ـ يتوقف تأثير الدّليل على ما إذا كان المتلقّون يعتبرونه صحيحا أو غير صحيح»[2].

ـ عرض الحجج المؤيّدة والمعارضة :

« وجد بعض الباحثين أنّ تقديم الحجج المؤيّدة والمعارضة في الموضوع الواحد أكثر فعاليّة وأقدر على التّعبير لدى الفرد المتعلّم ، وحين يكون الجمهور متـــــردّدا فإنّ تقديم الجانبين يكون أقوى أثرا»[3]. يقول الله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ

(1) سورة الغاشية الآيات : 17-20

(2) معتصم بابكر مصطفى : المرجع نفسه ص 66 -67

(3) معتصم بابكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص 67

عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (1).

وفي الآية (34) من نفس السّورة توصّل الملائكة إلى قناعة بالطّرح الرّباني فحينما أمرهم بالسّجود لآدم أقبلوا دون تردّد (2) قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾(3)

« وفي المقابل يكون التّركيز على جانب واحد من الموضوع أكثر فعاليّة على تغيير آراء الأفراد الأقلّ تعليما ، أو الأفراد المؤيّدين لوجهة النّظر المعروضة في الرّسالة ، حيث يصبح تأثير الرّسالة في هذه الحالة تدعيما »(4).

ـ استخدام الاتّجاهات والاحتياجات الموجودة لدى الجماهير:

الرّسالة تكون أكثر تأثيرا وفعاليّة حينما تعرض للمتلقي ما يجعله يشعر بأنّه يحقّق احتياجاته ورغباته « وهذا ما يراه علماء الاجتماع، فالجمهور يكون أكثر استعدادا لتدعيم احتياجاته الموجودة عن طريق تطويره لاحتياجات جديدة عليه تماما» (5)مثل قوله تعـــالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾(6).

(1) سورة البقرة الآيات 30-33
(2) ينظر معتصم بابكر : المرجع نفسه ص 68
(3) سورة البقرة الآية 34
(4) معتصم بابكر مصطفى المرجع نفسه الصفحة نفسها .
(5) معتصم بابكر مصطفى : مرجع سابق ص 69
(6) سورة المائدة الآيتان 112-113

فالمائدة التي أنزلها الله -عزّ وجلّ- من السّماء حققت احتياجات الحواريين في إشباع رغبتهم في الطّعام(نريد أن نأكل منها)، ثمّ قضت على الشّك الذي يراودهم ممّا جاء به عيسى - عليه السّلام - من حقّ ،واطمأنّت قلوبهم ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾.

- مجاراة الخصم لتبين عثرته :

« وذلك بأن تسلّم للخصم بعض مقدّماته مع الإشارة إلى أنّها لا تنتج ما يريده هو بل هي مساعدة على إنتاج ما تريده أنت وذلك مثل قوله تعالى: ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ﴾[1].

فكأنّ الرّسل - عليهم الصّلاة والسّلام - قالوا في الرّد على المنكرين لنبوّتهم ما ادّعيتم من كوننا بشرا حقّ لا ننكره ، ولكنّ دعواكم هذي لا تنتج عدم الرّسالة ولا تنافـــي أن يمنّ الله علينا بها ،بل البشريّة شرط في الرّسالة ...فإنّ سنّة الله جرت بأن يكون الرّسول من جنس المرسل إليهم يعرفون قدره ومكانته وصدقه وأمانتـــه »[2] وقد بيّن الله تعالى هذه الظّاهرة بقوله : ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴿٩٥﴾﴾[3]

(1) سورة إبراهيم الآيتان : 10- 11
(2) الألمعي : المرجع السابق ص 73 -74
(3) سورة الإسراء من الآيتان :94-95

- وضوح الأهداف مقابل استنتاجها ضمنيّا:

الإقناع يكون أكثر فعاليّة عند ذكر أهداف الرّسالة أو نتائجها بوضوح ، فيجب على القائم بالاتّصال ألاّ يترك للمتلقي عبء استخلاصها وحده ، ولقد سمت آيات القرآن الكريم بوضوح الأهداف وجلائها وممّا يجدر ذكره أنّ هذه الأساليب والاعتبارات قد تذهب إلى أبعد من ذلك حيث تتجاوز مستوى الوضوح مقابل الضمنيّة فتتوقّف على ظروف أخرى كثيرة مثل:

أ ـ مستوى تعليم وذكاء المتلقي.

ب ـ درجة أهميّة الموضوع أو ارتباطه بالمتلقي.

ج ـ نوع القائم بالاتّصال.

فالملاحظة أنّه كلّما زاد ذكاء المتلقي وتعليمه كان من الأفضل ترك الهدف ضمنيّا...وتركه يستخلص النّتائج بمعرفته أكثر فعاليّة وإذا كان القائم بالاتّصال محلّ شكوك المتلقي فإنّ درجة التّأثير والإقناع تقلّ إذا قدّم القائم بالاتّصال الرّسالة بشكل محدّد ويمكن ملاحظة ذلك في قصّة سيّدنا موسى -عليه السّلام- ، مع الرّجل الصالح « الخضر» في سورة (الكهف) [1] قال تعالى : { قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ٧٣ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسَۢا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ٧٤ ۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل

[1] ينظر معتصم بابكر مصطفى : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص 64- 65

لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِي قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

وخلاصة القول هي أنّ الاستدلالات في القرآن الكريم وأساليبه الحجاجيّة والإقناعيّة أوسع بكثير من تلك الاستدلالات المنطقيّة الأرسطيّة ، وتختلف عن استدلالات البشر من حيث قوّة تأثيرها ودرجة إقناعها ومن حيث ديمومتها واستمراريّتها كيف لا وهو كلام الله- سبحانه وتعالى ـ المعجز بلفظه ومعناه المقنع بحججه وبراهينه لكلّ البشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .ورغم أنّ علم المنطق يعتبر عصارة ما توصّل إليه العقل البشريّ من نتائج إلاّ أنّه يبقى محدودا وغير بعيد عن الأخطاء والمغالطات،وخاضعا للعلم الأكبر وهو كلام الله -عزّ وجلّ- ، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال لأيّ استدلال بشريّ مهما بلغ من القمّة والعظمة من أن يرتقي إلى درجة الكمال ومجاراة الاستدلال القرآني لأنّه - وبكلّ بساطة ـ كلام الله . وفي هذا يقول **(الألمعي)** : « وإنّه لمن الواضح أنّ القرآن مملوء بالحجج والبراهين والأقيسة والاستدلالات،وإنّها لم تستند لمنطق اليونان وإنّما هي الحجج

[1] سورة الكهف من الآية 66 إلى الآية 82

والبراهين العقليّة الصّحيحة التي لا تختلف نتائجها بين أمّة وأخرى ولغة وأخرى...وإذا صحّ لنا أن نقول إنّ في القرآن شيئا من المنطق فإنّما هو منطق العقل والضّمير،منطق الحجّة والبرهان ...منطق البلاغة والبيان ..وليس منطق **(أرسطو)** القائم على القياس ذي المقدمتين والنتيجة كما توهّم بعض المتفلسفين، فإ نّ القــرآن مما يعجز عن محاراته الطوق البشريّ ولا تحتمله قوة النّبوغ الإنســـــانيّ »[1] .

« والصورة التي تشكّلت بها حجج القرآن وبراهينه وجدله هي صورة الفصاحة والبلاغة والإعجاز البياني، وهي صورة لا تأتي بحال من الأحوال إذا اتّبع منطق اليونان » .

وطرق الجدال عندهم من ترتيب المقدّمات والنّتائج والأشكال والقياسات على هيئة خاصّة وأسوار خاصّة ونظم خاصّة ، فإنّه يفقد بذلك ميزة الإعجاز والتّحـــــدّي، لأنّ هذه النّظم أشبه بالصّنعة التي تتعلّم مرسومة لا محيد عنها يستوي فيها الجميع عند ممارستها ، وقد لا يرقى إلى تعلّمها وفهمها إلا القليلون .

«وقد يجر الاسترسال فيها إلى سرعة هدمها ونقصها بأقل تشكيك في سلامة بنائها فتستحيل إلى جدل عقيم ومناقشات بيزنطيّة ضررها أكبر من نفعها »[2].

فطريقة القرآن في الاستدلال والإقناع أولى وأبلغ لهذا قال : **(أبو عبد الله الرازي)** في كتابه «أقسام الذات» كما نقله عنه **(ابن تيمية)** في كـــــتابه «الردّ على المنطقيين »: «لقد تأمّلت الطّرق الكلاميّة والمناهج الفلسفيّة فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطّرق طريقة القرآن الكريم »[3] .

وكيف لا وهو كلام الخالق -سبحانه وتعالى- المعجز بلفظه ومعناه ، بحججه وأساليبه ، فأنّى لطرق المخلوق الكلاميّة والاستدلاليّة ،ومناهجه الفلسفيّة من أن تحاكـــــــي أو تجاري طرق القرآن ؟!. فلا وجه للمقارنة أبدا ، وعلى الإنسان أن يتأمّل دوما في القرآن ليستفيد ويقتـــــبس من طرق الحجاج والبيان .

---

(1) الألمعي : مناهج الجدل في القرآن الكريم ص 95

(2) ينظر ابن تيمية كتاب الرد على المنطقين وعبد الغني الراجعي دراسات في علوم القرآن في الألمعي : مناهج الجدل في القرآن الكريم ص 96

(3) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص 321 في الألمعي المرجع نفسه ص 96

الفصل الثالث : البلاغة و أساليبها الإقناعية في سورة يوسف

لقد أعجزت البلاغة القرآنية أرباب الفصاحة و البيان و فطاحل الشعر من بداية نزول الوحي ، حيث وقفوا أمام جمالية تعبيره ، و عبقرية أسلوبه و دقّة لفظه و حسن ترتيبه مذهولين عاجزين ، فقالوا عنه: سحرا و كلام جان ، متهمين بذلك النبي – صلى الله عليه و سلّم- برّأ نبيّه من هذه الصّفات بقوله : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]،و تحدّاهم على أن يـــــــأتوا بمثله، فقال - سبحانه و تعالى- : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[2] وتدرّج القرآن الكريم في الآيات الدّالة على التحدّي و الإعجاز ، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[3]، إلى أن يصـــــل إلى ذروة التّحدي ، فيقـــــــول -عزّ وجلّ- : ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

و قد اعترف بعظمة بلاغة القرآن، و جماليّة تعبيره و إعجازه، أكبر و أعند رؤوس الشّرك ألا و هو: **(الوليد بن المغيرة)** ، فقال: « ... و إنّ له لحلاوة و إنّ عليه لطلاوة و إنّ أعلاه لمغدق و إنّ أسفله لمثمر».

و أمّا لغة الحوار في سورة(يوسف) فقد تعدّدت و تنوّعت أشكالها و أغراضها البلاغيّة و التي تعتبر أساليبا إقناعيّة ، فالبلاغة إقناع.

و من هذه الأساليب:

---

[1] سورة يس : الآية 69
[2] سورة الإسراء : الآية 88
[3] سورة هود: الآية 13
[4] سورة البقرة : الآية 24

1- الحوار في سورة يوسف و فعاليّته الإقناعيّة:

يعتبر الحوار بين الشخصيّات إحدى طرائق السّرد القصصيّ، يوظّفه السّارد في بناء حكايته. و لمّا كانت فنيّة السّرد تكمن في اختيار و إتقان وسيلة توصيل القصّة إلى المتلقي فإنّ فنيّة الحوار تكمن في اختيار السّارد للغة المتحاورين و إتقانها ، بحيث يجعلها لغة معبّرة عن أصحابها ، ذات دلالة تنطق بمواقفهم و تعبّر عن اتّجاهاتهم ..، و يكون دور القارئ الواعي هو التّأمّل في هذه اللّغة الحواريّة حتّى تفكّ له شفرتها فيدخل من خلالها إلى عالم شخوص القصّة، و يطّلع على ما تظهره الشخصيّة بل و ما تخفيه من رغبات و مواقف و خصال و سجايا. و قراءة لغة الشخصيّات بهذه الطّريقة لا تجعل اللّغة وسيلة من وسائل التّحليل الأدبيّ فقط، بل تجعل منها وسيلة من وسائل التّحليل النّفسيّ، و هذا ما أكّده **(لا كان)** [1] حين أضاف اللّسانيّات إلى قائمة العلوم التي يجب أن تدرس في كلّ التّحليل النّفسيّ بالإضافة إلى البلاغة[2]، فهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أهميّة الحوار في العمليّة الإبلاغيّة و التّواصليّة و أهميّته في العمليّة الإقناعيّة من خلال التّأثيرات و الانفعالات النّفسيّة التي يحدثها.

و الحوار هو الأساس الذي يعتمده الفنّ القصصيّ في خلق الحركة و إظهارها وتلوينها «إذ يساهم في إحياء القصّة و بعث الحياة ، و بث الرّوح في الوقائع التي مرّت بها دهور ، و تطاولت بها الأزمنة » [3]، فيجعل القارئ ينفعل و يتأثّر بأحداث القصّة ، و يتفاعل معها ، و كأنّه عاشها أو يعايشها فعلا.

و ليس من الضّروري أن يوجد الحوار في كلّ قصّة فقد تخلو منه و تمضي على أنّها صورة لشخص أو رسم لحادثة ، و هذا هو الغالب في القصص القصيرة فإذا نظرنا في قصص القرآن بحسب ترتيب النّزول ، لاحظنا أنّه بدأنا غالبا بإشارة خاطفة خاليّة من الحوار فمثلا في سورة (الفجر) من الآية 6 إلى الآية 14 و في سورة (الفرقان) من الآية 35 إلى الآية 40، و ذلك لأنّ الغرض هو إثارة الوجدان و إيقاظ الفكر، ثم تدرج نحو الطّول و التّفصيل بتدرّج أسلوب الدّعوة و تهيؤ النّفوس للإطّلاع و المعرفة، و استعداد العقول للجدل و الخوض في القضايا الغيبيّة التي كانت محور هذا القصص، و هي : التّوحيد و الرّسالة و البعث[4].

---

[1] **لا كان** : هو أحد أشهر علماء النفس في العالم ، وتلميذ للفيلسوف والعالم النفساني سيحمو ند فرويد.

[2] ينظر أحمد جمال الدين لغة الحوار في سورة يوسف دراسة أسلوبية ص 01

[3] أحمد نوفل :سورة يوسف دراسة تحليلية ط2 دار الفرقان للنشر القاهرة 2000 ص 46

[4] ينظر : محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم مكتبة الأنجلو مصرية القاهرة 1965ص :301-302

والحوار في القرآن يرد منقولا على ألسنة الشخصيّات « حين نقف بين يدي موقف من المواقف التّي أدار فيها القرآن الحوار بين شخصيّات الحـــديث القصصيّ ، تجد المشهد كلّه حاضرا مشّخصا ، يملأ الأسماع و الأبصار بكلّ خلجة أو خاطرة... و هو أحيانا يختصر الأحداث، و أحيانا يفصّل الأمور تفصيلا من حيث تصوير المواقف تصويرا تامّا. ..، أو تصوير جانب منه، و يترك الجوانب الأخرى لدلالة الحالة عليها» [1].

و اقتصر الحوار على شكلين: الحوار في القصّة الطّويلة و الحوار في القصّة القصيرة و أمّا الشكل الأوّل من الحوار غنّي بالتّفاصيل و الأهداف ، و بتنوّع الشخصيّات ، و التّي تشمل نماذج إنسانيّة مختلفة ،تعرض من خلالها مختلف المشاعر و العواطف و العلاقات الإنسانيّة، من أبويّة و أخويّة و بنيويّة و اقتصـــاديّة و خدمة و ربّانيّة ... و خير مثال لهذا الشكل من الحوار : قصّة (يوسف) التي تجمع ذلك كلّه إلى جانب الهدف الأسمى المشترك في جميع القصص القرآني و تبيّن شكل هذا الحوار عبر مشاهد واردة في السّورة القرآنيّة بدايتها سرد (يوسف) لرؤيـــاه على أبيه و جاءت مشاهد القصّة معروضة عرضا حواريّا قرآنيّا.

و أمّا الشّكل الثّاني من الحوار هو المؤلّف من مجموعة أسئلة و نصـــائح متتابعة ، تتخلّلها بعض الأجوبة أو التّعليقات ، و تنصب جميع هذه الأسئلة و النّصائح في مجال العمل على تحقيق الأهداف و القناعات الاعتقاديّة ، و المطلوب تبليغـــها إلى المخاطبين لحملهم على تحقيق المنهج التّشريعي الربّاني، الذي يلزم عن هذه القناعات لينظموا حياتهم و علاقاتهم وفقا لهذا المنهج الربّاني ... ثم تختتم القصّة بالخاتمة المناسبة موقف المخاطبين و ردّهم. وكمثال على هذا الشكل من الحوار : هو الحوار الذي دار بين أهل مدين و رسولهم (شعيب)[2].

والخطاب القرآني خطاب توصيليّ يصدر عن أدبيّة تقريريّة إقناعيّة ، لذلـك كان الحوار من أبرز فعاليّته التبليغيّة ... و المواقف القرآنيّة تنزع بصورة عامـــّة إلى الإفضاء و التّقارير بواسطة القول و التّقويل ، و تواتر فعل(قال) ، (قل)، (قالوا) في النّص القرآنيّ و توزيعاتها السّرديّة الإسناديّة المحليّة على المتخاطبين، دلـيل على أهميّة هذه الوسيلة التّقريريّة القرآنيّة القائمة على الحوار(...)

[1] عبد الكريم الخطيب :" القصص القرآني في منطوقة ومفهومه دار الفكر العربي القاهرة (دت) ص 125

[2] ينظر النحلاوي عبد الرحمن : من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار ،دار الفكر المعاصر بيروت 2000 ،ص 35 -36

وللحوار وظيفة بنائيّة تضيء الحدث و توصله بمساره القصصيّ ، و تحشد فعاليّة السّرد لاختراق وقائع جديدة ، تطوّرا بالحدثيّة إلى منتهاها السّرديّ [1] و لهذا يساهم الحوار في القرآن الكريم على حسب وروده في السيّاق في تنويع الخطاب القرآني. وهذا ما يظهر جليّا في قصّة (يوسف) و التي جاءت مشاهدها متنوّعة الحوارات. « فهي نصّ قرآنيّ اشتمل على كثير من تقنيّات السّرد القصصيّ ، من الاستباق والوقفات الوصفيّة و المشاهد الحواريّة و الحذف »، «و الشخصيّات في قصّة سيّدنا (يوسف) لم تكن عربيّة و لغتهم غير عربيّة و هذا يقتضي أن تدرك جيّدا أنّ الأقوال المحكيّة عنهم بما فيها من فنّيّات ليست لهم و إنّما هي للسّارد الأعلى- جلّ و علا- وضّعها على ألسنتهم ممّا يعبّر عن أدقّ مراداتهم.

و على هذا الأساس يعتبر الحوار الوسيلة الأساسيّة التّي تسهم في تنامي الأحداث و تكشف عن طبيعة الشخصيّات و المواقف.

و يبتدئ الحوار في القصّة بين يوسف و أبيه يعقوب -عليهما السّلام- حين قصّ عليه رؤياه ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ ﴾ [2]

هذا الحوار الذي دار بين (يوسف) و أبيه كان بمثابة لمحة أو تعريف بالشخصيّة المحوريّة للقصّة ألا و هي شخصيّة يوسف -عليه السّلام- ، حيث تعتبر هذه الرّؤيا هي مركز القصّة و أساسها ، و التي تنبّأ من خلالها يعقوب - عليه السّلام- بمستقبل ابنه (يوسف) و منزلته ، بأنّه سيكون له شأن عظيم و يكون نبيّا مختارا مؤزّرا بالعلم

[1] ينظر عشراتي سليمان : الخطاب ألقراني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1998 ص 185 -186

[2] سورة يوسف الآيات 04-05-06

والمال بدليل قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾

كما أنّه يحذره من مغبّة و خطر قصّ رؤياه على إخوته لأنّه نبيّ و يعلم جيّدا المخاطر التي قد تنجرّ على الغيرة و الحسد و البغض، و كيد الشّيطان و تربّصه بالإنسان إذ يزيد في تأجيج هذه الأمراض إن صحّ التّعبير: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

و بعد هذا الحوار الأوليّ والتّمهيديّ بين (يوسف) و أبيه، تتالت المشاهد مصحوبة بشخصيّات متنوّعة، ومن هنا تعدّد الحوار في القصّة و من هذه المشاهد التي ظهر فيها الحوار مفصّلا هو المشهد الذي كان بين (يوسف) و (السّاقي):

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

إنّ التّفصيل في هذا الحوار كان له ما يبرّره حيث كان يوسف- عليه السّلام- بصدد تأويل رؤيا الملك ، و التي لا يعني تأويلها الملك وحده بل يخصّ أمّة مصر برمّتها والبلاد المجاورة لها، إذ يتعلّق الأمر بأحداث خمسة عشرة سنة قادمة تتعلّق بمعاشهم و حياتهم ، و لهذا السّبب كان لابدّ من التّفصيل في تأويل هذه الرّؤيا المستقبليّة المصيريّة التي تنبّئ عن أزمة اقتصاديّة و ما ينجرّ عنها من مشاكل و آفّات اجتماعيّة و أخلاقيّة كالجوع و الفقر و انتشار الأوبئة و الانحلال الخلقيّ

[1] سورة يوسف: الآيات 46-47-48-49

كالسّرقة و الفساد بصفة عامّة. بالإضافة إلى الطّريقة و التّخطيط الاقتصاديّ الذي اقترحه يوسف-عليه السّلام - لتجاوزها ﴿ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ وترك القمح في سنبله - علميّا - يحميه من التّلف والفساد لمـــدّة زمنيّة طويلة ، ويحافظ على تركيباته ومكوّناته الغذائيّة .

إنّ من أهمّ خصائص وسمات الحوار القرآنيّ الاختصار والإيجاز في بعض المواقف والمشاهد على حسب الأهميّة « وطبيعي أن لا يسجّل القرآن الكريـــــم كلّ مراحل الحوار تسجيلا كاملا كما تسجّله أدوات التّسجيل ، فذلك مالا تقبله بلاغة القرآن ، ولا يحتمله إيجازه وإعجازه وإنّما يمسك القرآن من الموقف الحواريّ بالعناصر الحيّة منه ، وبالمشاهد البارزة فيه ، ممّا من شأنه أن يجلّي الموقف ويحدّد معلمه ثم يكون للنّاظر بعد ذلك أن يملأ الفراغات ويلوّنها بما يسعفه به إدراكه، ويمدّه به خياله » [1] فهذا الحوار على قلّة ألفاظه واقتضاب عباراته يحمل عناصر القصّة كاملة نظرا لعمق معناه وتشيّب واتّساع دلالاته ، وهذا ضرب من أضرب الإعجاز في القصص القرآنيّ ، و لعلّ هذا ما يتّضح جليّا في سورة (يوسف)، حيث جاء الحوار مفصّلا في المواقف المهمّة التي تخدم القارئ أو السّامع في حين ورد في مواقف أخرى مختصرا و موجزا لعدم أهميّته.

ومثال هذا الحوار مشهدا للقاء بين(يوسف) وأخيه الشقيق ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾

﴾ [2] حيث لم يثبت السّياق القرآنيّ كيفيّة انفراد (يوسف) بأخيه الشقيق وإخباره ســـــرًّا بأنّه أخوه ، كما لم يثبت تفاصيل الحوار الذي دار بينهما ، وبدون شك كان حوارا طويلا طول سنوات الفراق خاصّة بين شقيقين متحابّين ، ولم يثبت السّياق لفظة واحدة علـــى لسان الأخ الشقـــــــــيق ليوسف بالرّغم من دوره الفاعـــــــــل في الأحداث ، إنّه المنهج القرآنيّ ولاشكّ أنّ الحذف أبلغ وأنفع من الذكر .

[1] الخطيب عبد الكريم : القصص القرآني في منطوقة ومفهومة ص: 140
[2] سورة يوسف 69

فالحوار القرآنيّ يصوّر بالكلمات ما لا تؤدّيه الشخصيّات على خشبة المسرح لأنّ في كلماته قوى كامنة ، لا تقوى الحركات المسرحيّة على إجلائها ، لذا فانّ تمثيل القصص القرآنيّ ـ إن أريد تمثيله ـ يذهب بالكثير من جماليته وروعته [1] .

إذن يتميّز الحوار القرآنيّ بقصديّة وتركيز وإنارة داخليّة تغني عن الوصف الخارجيّ ، فالسرديّة باعتمادها المعايير الحوارية تتفاعل مع ملابسات حدثيّة واقعيّة،من خلال رصد الإفضاء القوليّ المركزيّ المعبّر عن كليّة الموقف بواسطة اللّمسة الحواريّة الجوهريّة .

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ﴾ [2]

ـ ففي سؤال الملك للنّسوة: ﴿ خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ موقف استنطاق وتحرّ .

ـ وفي إجابة النّسوة : ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾ ردّ تبرئة وشهادة بالحقّ .

ـ وفي قول امرأة العزيز: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ موقف اعتراف وافتضاح .

فالمواقف الثّلاثة بملابساتها المعقّدة ، و الغنيّة بالوقائع و الأحوال الانفعاليّة احتوتها بنية حواريّة مختزلة مركّزة ، لتقرّر حقيقة تميط اللّثام عن أزمة فرعيّة [3] فهذه البنية الحواريّة كشفت الحقيقة كاملة للملك ـبعد اعتراف النّسوة ثمّ امرأة(العزيز)ـ بـــــعفّة و براءة يوسف ـعليه السّلامـ من التّهمة الملقاة

(1) ينظر الخطيب عبد الكريم المرجع نفسه ص 141.
(2) سورة يوسف الآيتان 51-50
(3) ينظر سليمان عشراتي " الخطاب القرآني ، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي ، ص210

على عاتقه لتكشف هذه الأزمة الأخلاقيّة الفرعيّة عن أزمة أخلاقيّة كليّة تتمثّل في دخول يوسف إلى السّجن ظلما، رغم ظهور براءته أمام زوجها و شهادة شاهد من أهلها.

" والحوار القرآنيّ ينقل الكلمات من فم أصحابها، حيّة ناقلة للمشاعر والأحاسيس، مقترنة بحضور الشخص وبنبرات صوته، وملامح وجهه [1] ومثال هذا النّوع من الحوار ما عرضه التّصوير القرآنيّ في مشهد المكيدة التي نصبها يوسف لإخوته للإبقاء على أخيه الصّغير معه ﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [2].

يا للعجب لهذا الاتّهام الباطل الصّادر من إخوة ضدّ أخيهم ! أيصدر هذا عن إخوة تربط بينهم العلامة الدمويّة الأسريّة ؟!

إنّه اتّهام نابع من نفس مريضة بالحقد والغلّ والكره والأنانيّة «وإنّما قالوا: قد سرق أخٌ له من قبل بهتانًا ونفيًا للمعرّة عن أنفسهم » [3] « وتبرّؤا من (يوسف) وأخيه إرواء لحقدهم القديم على يوســـف » « فأسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم » أي : أسرّ هذه الفعلة وحفظها في نفسه ولم يبد تأثره منها «وقال : أنتم شرّ مكانا » يعني أنّكم بهذا القذف شرّ مكانا عند الله من المقذوف » [4] وكظم الغيظ وإخفاء الغضب من طرف يوسف -عليه السّلام -لا يعني عدم الشعور بحالات الاستنكار والاستياء والسّخط وإنّما كان الصّبر من أجل تنفيذ خطّته والاحتفاظ بأخيه ، ولذلك كان ردّ فعله ذاتيّا بينه و بين نفسه.

و الخطاب القرآنيّ صارم قصديّ موجّه يخلو من الاعتباطيّة ، فهو لا يوظّف إلاّ ما له قدرة توصيليّة و تأثيريّة و إقناعيّة للمتلقّي ، و من هنا كانت سلطته السّرديّة واعيّة في الرّصد ، مقتصدة في المادّة القوليّة ، حصيفة من حيث قيمتها التّسديديّـــــــة... و السّرديّة المحكومة بهذه المواصفات الأدبيّة القائمة على الاقتصاد و السّداد التّعبيريّ، تنزع بصورة جليّة إلى استثمار الأداء الحواريّ ،

---

[1] الخطيب عبد الكريم : القصص القرآني في منطوقة ومفهومه مرجع سابق ص 130

[2] سور ة يوسف الآية 77

[3] ابن عاشور محمد الطاهر :" تفسير التحرير والتنوير " ج 13 دار التونسية للنشر تونس 1984 ص34

[4] سيد قطب :" في ظلال القرآن " مج 4 ،ج 13 ، ط15، ص 2022

و هذا يتجلّى في قصّة (يوسف) حيث يطغى السّرد الموقفيّ على السّرد المشهديّ ؛ حيث يقوم السّرد الموقفيّ على فاعليّة الحوار و يقوم السّرد المشهديّ على جماليّة الوصف، كقوله تعالـــــى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [1]

ففي هاتين الآتين يلمس الدّارس مشهدا حركيّا ، إذ للحركة وازع تعبير آخـــــــر في القصّة القرآنيّة، و ذلك باعتماد الدّلالة الفعليّة الحركيّة المتمثلة في الفعل(استبق) [2]، حيث يجسّد هذا الفعل أو المشهد الحركيّ ذروة الصّراع بـــــين موقفين متناقضين يتمثّلان في رغبة شديدة و ملحّة على ممارسة الفاحشة من طرف امرأة (العزيز) ، و بيّن ما يقابله من صدّ و امتناع و تعفّـــــــف من طرف يوسف -عليه السّلام-، كما صوّر الفعل الحركي(استبق) المشهد تصويرا فوتوغرافيّ، و جعل القارئ يتصوّر و كأنّه ماثل أمامه.

وفي الأخير يمكن للباحث في مجال فنّ الحوار وأهميّته في الممارسة الكلاميّة والتواصليّة ، وفـــــــي مختلف الفنون التّعبيـــــــريّة والأدبيّة بما فيها الفنّ القصصيّ ، أن يخلص إلى نتيجة مفادها أنّ الحوار يعتبر وقودا للقصّة ،أي هو أساس التّواصل والتّفاعل بين شخصيّاتها ، وهو الذي يحرّك أحداثها وينمّيـــــــها في الزّمان والمكان ، ويخلق جوّ الحركة والنّشاط فيها وكلّ ذلك وفق حبكة فنيّة . ولمّا كان الحوار يعتمد أساسًا على لغة الكلام نهيك عن لغة الإشارات والإماءات والحركات والسّكنات التي تعتبر علامات للتّواصل .. فإنّ القصّة عموما ،و القصّة القرآنيّة خصوصا تعتمد اللّغة الحواريّة المنطوقة ذات الأهميّة الحجاجيّة والإقناعيّة ، ولاسيما في سورة (يوسف) ،أي أنّه لمّا كانت لغة الحوار هي الحامل المادّيّ للأساليب الحجاجيّة والإقناعيّة داخل النّصوص والخطابات الدينيّة والأدبيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والفلسفيّة والإيديولوجيّة فإن الحوار يعتبر هو لبّ الإقناع

[1] سورة يوسف: الآية 24-25

[2] ينظر : سليمان عشراتي: الخطاب القرآني ، المرجع نفسه، ص : 211-212

وأساســـــــه إن لم أقل الإقناع ذاته ، وهذا ما بدا واضحا وجليّا في قصّة يوسف ـ عليه السّلام ـ

2- الأسلوب: (السيّاق اللّغوي)

يتميّز الأسلوب في سورة (يوسف) بعدّة تقنيّات و فنّيات على غرار الأسلوب القرآني بصفة عامّة ، و الذي يعتبر أرقى و أعظم أساليب البلاغة على الإطلاق ، لأنّه كلام الله الذي يعلو و لا يعلى عليه ، و هذه التقنيّات و الفنّيّات -إن صحّ التّعبير -هي التي تشكّل دلائل الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم، و أساليبه الإقناعيـــّـــــــــة ، و من بينها:

أ-أسلوب التّوكيد

لأسلوب التّوكيد أشكال متعدّدة في اللّغة العربيّة ، فقد يحدث بتكرار اللّفظة بعينها أو بمرادفها و هذا يسمّى عند النّحاة بالتّوكيد اللّفظي ، و هناك نوع آخر يسمّونه التّوكيد المعنويّ ويقع بتوظيف ألفاظ معيّنة بعد الكلمة المراد توكيدها ، و منها : نفس،عين، ذات ، كلّ، جميع و ما كان بمعناها.

و يحدث بالحروف التي تفيد التّوكيد و منها النّاسخان (إنّ) و (أنّ)، و نونا التّوكيد الخفيفة و الثقيلة، و لام الابتداء، و أداة الحصر(إنّما).

و يحدث أيضا باستعمال القسم، وكل ما يضاف من كلام يثبت و يدعّم و يقوّي المعنى الذي أفاده الكلام السّابق، أي: تأكيد اللاّحق للسّابق.

و الغرض من التّوكيد هو إقناع المتلقّي بفكرة ما ، و إثبات و تقرير المعنـــــى في ذهنه ، و لقد وظّف كثيرا في القرآن الكريم، و لعلّ ذلك ما يتضح جليّا في سورة (يوسف) سواء ما جاء في بداية السّورة أو خاتمتها أو في الفواصل أو التعقيبـــــات على أحداث القصّة ، أو ما جاء على لسان الشخصيّات ، و هذا ـ طبعا ـ بغرض إقناع النّاس بالعقيدة الصّحيحة السّليمة ، و بصدق و مصداقيّة ما أنزل على محمّد- صلّى الله عليه و سلّم -، و حقيقة قصّة يوسف -عليه السّلام- ، ونفي كل ما دار حولهـــــــــا من خرافات و أساطير و أباطيل.

من أمثلة ذلك:

<u>أ-1- التّوكيد في بداية السّورة:</u>

و هو تمهيد لبداية القصّة و إقامة الحجّة على المعاندين، و تثبيت قلب النبيّ -صلّى الله عليه و سلّم - بإعلامه بأحسن القصص لسدّ ذرائع الكفّار و المشركين.

و يتمثّل في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [1]

فـ"إنّا" أصلها "إنّنا" و أدمج حرف التّوكيد (إنّ) مع نون الجماعة التي تعود على الله -عزّ و جلّ- و تعظيما و تقديرا لذاته العليا المتسامية.

إذن أنزل الله- سبحانه و تعالى- القرآن بلسان عربيّ على نبيّه محمّد - صلّى الله عليه و سلّم- العربيّ حتّى لا تكون أيّ حجّة لقومه أو المشركين من قومه ، فليس أمامهم إلاّ الإذعان لأمر الله و الإقتناع بما أنزله على نبيّه ﴿لعلكم تعقلـــــــــون﴾ أي «تدركون أنّ الذي يصنع من الكلمات العاديّة هذا الكتاب المعجز لا يمكـــــــن أن يكون بشرا ، فلا بدّ عقلا أن يكون القرآن وحيا. و العقل هنا مدعوّ لتدبّر هذه الظّاهرة ودلالتها القاهرة » [2]« و إذا كان القرآن الكريم أنزل بلسان عربيّ فتكون هذه القصص قد أضافت إلى حسنها في الاختيار و الأولويّة حسن البيان العربـــــيّ و حسن الفهم عنه وبه» [3]

و في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [4].

ففي هذه الآية الكريمة توكيد معنويّ ، أي : تأكيد الكلام اللاّحق للكلام السّابق حيث أكّد لفظ (كنت) بـ (من قبله) في قوله" ﴿ و إن كنت من قبلـــه لمن الغافلين ﴾، أي: «كنت أحد الغافلين في قومك الذين لا يتوجّهون إلى هذا النّحو من الموضوعات التي جاء بها القرآن و منها هذا القصص الكامل الرّقيق» [5].

و يرى **(أبو حمدة)** أنّ المقصود من الآية الكريمة هو الوعي الجماعيّ السّائد للثقافة العربيّة قبل الإسلام ، فالله -عزّ و جلّ- يخاطب نبيّه الكريم -عليه الصّلاة والسّلام - في زمرة النّاس في موقع سلبيّ و هذا في إعجاز القرآن الكريم و توكيد الحجّة للمعاصرين لمحمّد - صلّى الله عليه و سلّم - على سجلّ الأدب و الوعيّ الجماعيّ السّابق بل و توكيد الحجّة على اللاّحقين من جيوش الباحثين الذي لا يحلو

---

[1] سورة يوسف الآية 02

[2] سيد قطب :في ظلال القرآن ط15 دار الشروق بيروت 1988 ص 1970

[3] أبو حمدة محمد علي في التذوق الجمالي لسورة يوسف دار الهدى عين ميلة الجزائر ص 49-50

[4] سورة يوسف الآية 03

[5] سيد قطب في ضلال القرآن ص 1970

لهم مثل أن يردّوا كل حركة و سكنة إلى نصّ فرعونيّ أو أسطورة يونانيّة أو طواطم جاهليّة أو طقوس قديمة أو فلكلور غير مدوّن [1]، و وقع التّوكيد أيضا بلام الابتداء في قوله (لمن) فالتّعبير يكون أقوى و أكثر تأكيدا و حسنا بها ﴿ لمن الغافلين ﴾، ولو لم يذكرها السيّاق ـ لام الابتداء ـ لكانت أقلّ درجة من حيث التّوكيد و الحسن و القوة، كأن يقول: ﴿من الغافلين﴾، و نفس الكلام يقال على ﴿من قبله﴾، فليتأمّل معي القارئ لو حرّرت الآية الكريمة من هذين اللّفظين ـ من قبله ـ و لا الابتداء ـ كيف تصير؟.

تصير(و إن كنت من الغافلين)، لا شكّ أخي القارئ أنّك تلمس أنّ شرخا أو هدما وقع في بنية الآية ، و أنّك فقدت ذلك الإحساس الجميل و الذوق الطّيب اللّذين كنت تشعر بهما في الآية قبل تجريدها من المؤكّدين ﴿و إن كنت من قبله لمن الغافلين﴾.

و لو أنّ التّعبير «و إن كنت من الغافلين» يبقى صحيحا و له معنى مفيد إلاّ أنّه فقد ذلك التّوكيد و القوّة و الحسن و الجماليّة ، و هنا يكمن الإعجاز اللّغوي للقرآن الكريم، فيصعب على أيّ كان أن يحذف منه أو يزيد أيّ حرف و إن وقع فسرعان ما يكتشفه أيّ قارئ متذوّق للأسلوب القرآنيّ ، و لقد أكّد و تعهّد الله ـعزّ و جلّ- في محكم تنزيله بحفظه فقال﴿ إنا نحن نزّلنا الذكر و إنا له لحافظون﴾ [2].

و هذا التّوكيد حجّة على اليهود و المشركين المكذبين برسالة محمّد ـ صلّى الله عليه و سلّم- إذ من أين له أن يعلم بقصّة (يوسف) و غيرها من القصص لولا تنزّل الوحي عليه؟

أ-2- توكيد يوسف رؤياه لأبيه:

و في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [3].

---

[1] ينظر أبو حمده علي : المرجع نفسه ص 49 -50

[2] سورة الحجر: الآية 09

[3] سورة يوسف الآية 04

فجملة رأيتهم (رأيتهم) توكيد لفظيّ لجملة (رأيت) و قوله(لي) تأكيـــــــــد على أنّ السّجود كان (ليوسف)، و لم يقل سجدوا لأنّ ذلك قد يكون حركة سريعـــة، و إنّما قال (ساجدين) بصيغة اسم الفاعل ليؤكّد على طول الاستغراق ووضوح المقصد والتّثبيت من الأمر ، والإشارة إلى الكواكب بالضّمير (هم) إنزالها منزلة العقلاء[1] أي:« متمثلة في صورة العقلاء الذين يحنون رؤوسهم بالسّجود تعظيما»[2] يقول **(الزمخشري)** : « وقد أخر الشمس والقمر ، ليعطفهما على الكواكب عن طريق الاختصاص بيانا لفضلهما ، وتمييزا لهما عن غيرهما » [3].

أ-3- توكيد يعقوب ليوسف على كيد إخوته و تربّص الشيطان بالإنسان.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝﴾ [4].

فقوله تعالى على لسان يعقوب - عليه السّلام-﴿فيكيدوا لك كيدا﴾ واقع في جواب نهي لقوله : ﴿ لا تقصص﴾ و فيه تأكيد بإرداف المصدر ﴿كيدا﴾ إلى ﴿يكيدوا ﴾ و كيدا هنا يعرب مفعولا مطلقا .

وهذا التّأكيد إنّما يعكس مشاعر الخوف لدى الأب و حرصه على ابنه من بطش و كيد إخوته و حثّه على وجوب أخذ الحيطة و الحذر، فيقول **(أبو حمدة)** : «و قول يعقوب في هذا السّياق يؤكّد عدوانيّة الإخوة و إلحاحهم في هذه العداوة بطريقة تفّوق حدّ المألوف» [5].

يحاول **(الشعراوي)** في هذا الصّدد أن يوضّح الفرق المعنويّ بين مـــــا ورد في السّياق القرآنيّ ﴿يكيدوا لك﴾ و بين (يكيدون) فيقول: «لم يقل : فيكيدوك لأنّ هناك فارقا بين العبارتين ، فقول :(يكيدوك) تعني أنّ الشّر المستور الذي يدبّرونه ضدّك سوف يصيبك بأذى ، أمّا (فيكيدوا لك) فتعني أنّ كيدهم الذي أرادوا به إلحاق الشّر

---

(1) ينظر :أبو حمدة علي عل المرجع نفسه ص 51 - 52
(2) سيد قطب : ظلال القرآن ص 1971
(3) الزمخشري : اكتشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ص 303
(4) سورة يوسف الآية 05
(5) أبو حمدة محمد علي المرجع نفسه ص 53

بك ، سيكون لحسابك و يأتي بالخير لك، و لذلك نجد قوله الحقّ في موقع آخـــــر من السّورة﴿...كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ .... ﴾ [1] أي: كدنا لصالحه » [2].

و قوله: ﴿إنّ الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ لتأكيد بالنّاسخ ﴿إنّ﴾ و كذا توظيف النّعت ﴿مبين﴾ في وصف الشّيطان ﴿عدو مبين﴾ لدليل قاطع على مدى خطورة الشّيطـــان و ترصّده بالإنسان، و وسوسته له بالشّر و العصيان.

أ-4- التّوكيد الوارد في أقوال إخوة يوسف :

لقد كثرت و تنوّعت التّوكيدات في أقوال إخوة (يوسف) و هذا محاولة لتبرير مواقفهم و جرائمهم والإقناع بأفكارهم و كيدهم ، فمنها ما وقع أثناء حديثهـــــم مع بعضهم البعض ، و منها ما كان موجها لأبيهم و منها ما وجّه لأخيهم (يوسف).

- ❖ **التّوكيد الذي وقع في حديثهم مع بعضهم البعض:** وهذا أثناء اجتماعهم وتخطيطهم للتّخلص من أخيهم يوسف ـ عليه السّلام ـ و هذه التّوكيدات كانت بقصد تبرير جريمتهم و إقناع بعضهم البعض بصحّة ما يفعلونه ، قال الله ـ سبحانه و تعالى-: ﴿إذ قالوا ليوسف ... ضلال مبين﴾

و في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [3].

ـ التّوكيد باللاّم في بداية الآية: ﴿ليوسف و أخوه أحبّ إلى أبينا... نحن عصبة ﴾ يعبّر عن رسوخ اعتقادهم و بدونيتهم جميعا عند أبيهم مقارنة بيوسف وأخيه، و كأنّهم يسوغون لأنفسهم ما يبيّتونه ليوسف من رغبة في الخلاص منه ، تلك الرّغبة التي تؤكّد في نفوسهم بعقد تلك المقابلة بينهم و هم الكثرة و القوة[4]

ـ تأكيد بالحرف المشبّه بالفعل(إنّ) و لام المزحلقة: في قولهم ﴿إنّ أبانا لفي ضلال مبين﴾ ليعبّروا عن الخطأ الكبير و الجسيم الذي ارتكبه أبوهم يعقوب ـعليه السّلام ـ و في بعده عن الحقّ « إذ يؤثر غلام و صبيّ صغيران على مجموعة الرّجال

---

[1] سورة يوسف الآية 76

[2] الشعراوي محمد متولي : " تفسير الشعراوي " قطاع الثقافة ص 6854

[3] سورة يوسف الآية 08

[4] جمال الدين أحمد : لغة الحوار في سورة يوسف ص 09

النّافعين الدّافعين» [1]«فإنّ المقدّمات المتمثّلة في تفضيل أبينا (يوسف) و أخيه علينا و نحن من نحن و هما من هما ، إنّ تلك المقدّمات التي لا نشكّ فيها أدنى شكّ تسلم لنتيجة واحدة مؤكّدة هي اتّصاف أبينا بالضّلال المبين» [2]

إذن هذا التّأكيد نابع من نفوس أمّارة بالسّوء مريضة بالغيرة و الحسد من (يوسف) و أخيه ، لتتولّد عن ذلك مشاعر الكره و الحقد عليهما ، و خاصّة على (يوسف) ، لتصل هذه النّفس الأمّارة بالسّوء إلى حدّ إبداء مشاعر الاستنكار و الغضب من أبيهم ، حيث وصفوه بأنّه في ضلال مبيّن و هنا يجد الشّيطان ضالّته ، أي: من هذه القنوات يعبّر ليؤجّج نار الغيرة و الحسد و الكره لتصل إلى درجة الأذيّة ، أو ليس هو الذي حسد سيّدنا آدم -عليه السّلام- و بغضه و توعّد بالتّرصد لبني الإنسان وتضليلهم؟!

❖ **توكيد الإخوة لأبيهم:**

و الغرض منه هو إقناع والدهم و كسب ثقته و من أنواعه ما يلي:

ـ **التّوكيد بـ إنّ واللاّم:** و في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [3]

و في قوله: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [4]، و في قوله : ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [5] .

و في قوله : ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [6].

---

[1] سيد قطب : في ظلال القرآن ص 1973

[2] جمال الدين أحمد : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3] سورة يوسف الآيتان 11 -12

[4] سورة يوسف الآية 14

[5] سورة يوسف الآية 63

[6] سورة يوسف الآية 82

ففي قولهم: ﴿ إنّا له لناصحون ﴾ يقول **(سيّد قطب)** : « فذكر النّصح هنا و هو الصّفاء والإخلاص بشيء بما كانوا يحاولون إخفاءه من الدّغل المريب».

و أمّا في قولهم : ﴿و إنّا له لحافظون﴾ فيقول: « زيادة في التّوكيد و تصـــــــويرا لما ينتظر (يوسف) من النّشاط المسّرة و الرّياضة ، ممّا ينشّط والده لإرساله معهـــم كما يريدون» [1].

وعن أساليب هذه الآيات يقول **(أحمد جمال الدّين)**: «كلّها أساليب متوازية حيث أكّدت جميعا بإنّ و اللاّم، و هذا التّوكيد يعبّر عن شعورهم العميق بأنّ ثمّة أزمة ثقة في نفس أبيهم اتّجاههم ، فهم يؤكّدون إخلاصهم ليوسف و حفظه و خسارتهم إن هلك منهم ، ففي قولهم ﴿إنّا له لناصحون﴾ و كذا﴿إنّا له لحافظون﴾ لم يقل لهم أبوهـــــم ما يستدعي توكيدهم رعايتهم ليوسف ، و لكن شعورهم بأنّهم غير ذي حظوة عند أبيهم وأنّهم ليسوا من أهل ثقته دفعهم إلى المبادرة بالتّوكيد . أما في قولهم : ﴿إنّـــــا إذا لخاسرون﴾ إشارة إلى رغبتهم في أن يقتلعوا من أبيهم جذور الشّكّ و انعدام الثّقة فيهم» [2]« و هكذا استسلم الوالد الحريص لهذا التّوكيد و لذلك الإحراج .. ليتحقّق قدر الله و تتمّ القصّة كما تقتضي مشيئته» [3].

أمّا في قوله : ﴿ و اسأل القرية التي كنّا فيها و العير التي أقبلنا فيها و إنّا لصادقون﴾

اشتملت الآية الكريمة على مجاز مرسل علاقته المكانية أو المحليّة في قوله: «و اسأل القرية التي كنّا فيها» ،و الحقيقة هي أن يسأل أهل القرية (سكّانها)، و ليس القرية كعمران و بناء و أشجار و طرقات و الغرض من استعمال الإخوة للمجاز هو التّأكيد على صدقهم و إقناع والدهم بذلك ، و ما زاد كلامهم توكيدا هو استعمال حرفي التّوكيد "إنّ" و اللاّم المزحلقة في ختام الآية ﴿ و إنّا لصادقون﴾.

---

[1] سيد قطب : في ظلال القرآن : مج 4 ج 2 ص 1974

[2] جمال الدين أحمد : لغة الحور في سورة يوسف ،مرجع سابق ص 10.

[3] سيد قطب : في ظلال القران ص 1975

ـ التّوكيد بـ " إنّ":

﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[1].

طلب الأخ الأكبر من إخوته« أن يرجعوا إلى أبيهم فيخبروه صراحة بأنّ ابنه سرق فأخذ بما سرق، ذلك ما علموا و شهدوا به، أمّا إن كان بريئا و كان هناك أمر وراء هذا الظاهر لا يعلمونه، فهم غير موكلين بالغيب »[2]

فالتأمّل في قول إخوة (يوسف) ﴿إنّ ابنك سرق ﴾باستعمال حرف التّوكيد (إنّ) ، ليكشف مدى عدوانيّتهم وشرورهم وأنانيّتهم ،وحقدهم وكراهيتهم لأخويهـــــــــم ، إذ لو كان غير ذلك لقالوا : (إنّ أخانا سرق) ،وكأنّهم يظهرون ويتظاهرون بأنّهم الأفضل ،وأسمى خلقا من أخيهم غير الشقيق ، ويترفّعون عن هكذا فعل (فعل السرقة) ، وهم الأشرار وما يدلّ على ذلك هو قولهم ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ [3]﴾.

وفي هذا يقول **(محمد علي أبو حمدة)** : « أليس من قبيل غلظة القلب أن يقولوا في هذا الموقف الشائن (ابنك) ولا يذكرون من حيث هو أخوهم ؟.

أمّا حين كان الكلام عن هذه (الأخوّة) يخدم مصالحهم وينفذ مآربهم ويقضـــــي أوطارهم فقد كانوا إليها سبّاقين ، أنظر إلى حديث المودّة بلفظة الأخوّة والاعتزاز بها حين أرادوا أن ينالوا من أبيهم موافقة ﴿ [4] وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ

---

[1] سورة يوسف الآية 81

[2] سيد قطب : في ظلال القران مج 4 ج 13 ص 2025

[3] سورة يوسف الآية 77

[4] أبو حمدة محمد علي : في التذوق الجمالي لسورة يوسف ،مرجع سابق ص 56 -57

وَجَدُواْ بِضَـٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ ﴾[1]»

وهذا الاختلاف والتّضارب في كلام الإخوة وطرائق تعابيرهم من ظرف لأخر ومن مناسبة لأخرى كشف لأبيهم يعقوب ـ عليه السّلام ـ أساليبهم في المراوغة والالتواء والأنانيّة ، ومستويات الصيغ عندهم ودرجات الصّدق فيها [2]﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ [3]﴾

فقوله : ﴿ بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً ﴾ دليل على شكّ يعقوب ـ عليه السّـــــــلام ـ في صحّة أقوال أبنائه ، وعدم تصديقهم ، وما يؤكد هذا الكلام هو ما قاله يعقوب ـ عليه السّلام ـ فيما سبق بعد أن نقلوا إليه الخبر الكاذب المتمثل في افتراس الذئب لأخيهم (يوسف) : ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [4]

وفي نهاية المطاف تنكشف جرائم الإخوة بعد أن حصحص الحقّ وظهر وزهق الباطل وسقط بعد سنين طوال فإن الله يمهل ولا يهمل، يعترفون بأخطائهم لوالدهم ويطلـــبون منـــــه أن يستغفر لهم: قَالُواْ ﴿ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ [5]﴾

فهم يعترفون بأخطائهم معتمدين أسلوب التّوكيد ﴿ إنّا كنّا خاطئين ﴾ إذ لم يبق لهم مجال للكذب والالتواء والمراوغة بعد أن تبيّن الحقّ وسطع ، وهم يعترفـــــون بأنّ هذه الأخطاء كانت عظيمة بدليل قولهم ﴿ ذنوبنا ﴾ ، كيف لا وهي جرائـــــــم لم تتسبب في أذيّة أخيهم (يوسف) فقط ، وإنّما سبّبت المعاناة والآلام والأحزان

[1] سورة يوسف الآية 65
[2] ينظر : أبو حمدة محمد علي : المرجع نفسه ص 57
[3] سورة يوسف الآية 83
[4] سورة يوسف الآية 18
[5] سورة يوسف الآية 97

الكبيرة لوالدهم أيضا، والتي كانوا يزيدون في حدّتها ويؤجّجونها بسوء معاملتهم له ولمّا كانت هذه الذنوب عظيمة تتطلّب وتستدعي العقاب الشديد طلبوا إلى والدهم أن يستغفر لهم ربهم ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ .

ـ التّوكيد بـ (ما) النّافية وحرف الجرّ الزّائد:

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [1]

فرغم أنّ يعقوب ـ عليه السّلام ـ قد حذرهم من أن يأكله الذئب إلاّ أنّهم حاولوا أن يغطّوا ويخفوا جريمتهم بما حذرهم منه أبوهم وهو خوفه من الذئب أن يأكل ولده وهذا دليل على غبائهم ، وكأنّهم عجزوا على إيجاد كذبة أو خدعة أخرى يخفون بها جريمتهم إلاّ تلك التي حذرهم منها والدهم .

فأكّدوا قولهم بـ (إنّ) في بداية الآية : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ ﴾

ولمّا أحسّوا بأنّ كذبتهم وجريمتهم أصبحت مكشوفة [2] وأنّ والدهم من غير الممكن أن يتقبّلها وأن يهضمها.

كيف لا وهي فكرته أصلا ! ، فأكّدوا « ما النّافية العاملة عمل ليس ، وحرف الجرّ الزّائد (الباء)[3] في قولهم ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ أي: وما كنت بمطمئن لما نقوله ولو كان هو الصدق » [4]

ـ التّوكيد بالقسم :

يعتبر القسم من أهم أساليب التّوكيد يوظفه المتكلّم عندما يشعر بأنّ المتلقّي يكذب قوله ، أو تنتابه وتراوده شكوك قد تؤدّي إلى عدم تصديقه وهذا طبعا بغرض إقناعه بصحّة كلامه وجعله يصدقه .

---

[1] سورة يوسف الآية 17

[2] ينظر سيد قطب في ظلال القرآن مج4 ،ج 12 ص 1976

[3] جمال الدين أحمد : لغة الحوار في سورة يوسف مرجع سابق ص 09

[4] سيد قطب : في ظلال القرآن : ص 1976

قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [1].

إنّ توكيدهم بالقسم لوالدهم حين ذكره ليوسف لدليل على كرههم الشديد له إلى درجة أنّهم ما عادوا يطيقون سماع اسمه حتى في حالة غيابه أو عدم وجوده « ويبلغ الحقد بقلوب بنيه ألاّ يرحموا ما به ، وأن يلسع قلوبهم حنينه ليوسف وحزنه عليه ذلك الحزن الكامد العظيم ، فلا يسرّون عنه ولا يحزنون ، ولا يعلّلونه بالرّجاء ، بل يريدون ليطمسوا في قلبه الشعاع الأخير » [2] ، « ثم إنّ تفصيلهم في النّتائج المترتبة على ذلك (حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين) تشعر أنّ الهلاك ما عاد عن يعقوب بعيدا . وما نظنه قد كان عندهم الهلاك بعد الحرض إذ لو كان كذلك لقالوا (فتكون) بالفاء فاء السببيّة ولكنّهم قالوا (أو) التي هي احتمال آخر من احتمالات سوء العاقبة » [3]

وتبلغ بهم درجة الحقد والقسوة ذروتها بعد قول والدهم ﴿.... إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ [4] ، حيث يغلظون له القول ويجرحون مشاعره دون مراعاة لمنزلة الأخوّة ووجوب احترامها وتقديرها ، لأنّ حسدهم وغيرتهم من (يوسف) ـ بسبب حبّ والدهم الذي لم ينقطع ولم يفن أو ينقص بعد هذا الأمد الطّويل ـ قد ملأ قلوبهم غلاّ وأعمى أبصارهم عن رؤية نور الحقّ فأصبحوا لا يبالون ولا يأبهون بتوجيه الكلام اللاذع والجارح لوالدهم ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [5]

« فهم يعجبون ويستغربون هذا التّعلق الشديد الذي لا يبلى مع طول الزّمن وتغيّر الحال فأقسموا بالتّاء [*]»

يقول **(أبو حمدة)** : « أرأيت إلى أقولهم (تالله) بصيغة القسم وقولهم (إنّ) بحرف التّوكيد وكاف الخطاب وقولهم (لفي) بدلالة اللام المزحلقة المؤكّدة وقولهم

---

[1] سورة يوسف الآية 85

[2] سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ، ج13 ص 2025

[3] أبو حمدة محمد علي : في التذوق الجمالي لسورة يوسف مرجع سابق ص 58

[4] سورة يوسف الآية 94

[5] أحمد جمال الدين المرجع نفسه ص09

(*) التاء هي أقل أحرف القسم استعمالا وفيها زيادة معنى وهو التعجب بنظر الكاتب ج 3 ص 509 في أحمد جمال الدين بلغه الحوار في سورة يوسف ص 11

(ضلالك) بما تفيده اللّفظة وإضافتها إلى كاف الخطاب ثم قولهم (القديم) الذي هو من نوع التّذكير بأنّ هذه السّيرة قد طالت كثيرا بل أكثر ما يمكن احتماله والصّبر عليه » [3] ، فتعاقب المؤكّدات في قولهم هذا إنّما يدلّ على محاولة إقناع والدهم بأنّه على خطأ كبير لأنّه مازال يذكر(يوسف) ، وأيضا بضرورة نسيانه لأنّ هذه الحادثـــة أو الجريمة قد مرّ عليها زمن طويل ،وآن الأوان لكي تنتهي ويسدل عليها السّتار ولكن هيهات أن تخفى وتطمس الحقيقة ويغيب العدل لأنّها إرادة الله ومشيئته يظهر الحق ويزهق الباطل ولو بعد حين .

❖ ـ توكيدهم ليوسف :

وهذا بغرض تبرئة أنفسهم ، ومحاولة استعطافه واسترحامه بعدما خذلهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وانكشف أمرهم .

ـ التّوكيد بالقسم :

بعد المكيدة التي دبّرها يوسف ـ عيه السّلام ـ لإخوته للإبقاء على أخيه عنـــده في القصر ، بإخفاء صواع الملك في رمل أخيه ، ومناداة أحد الحرّاس بأنّه وقعت سرقة واتّهامهم بها ، راح إخوته يؤكّدون براءتهم عن طريق القسم ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾ [2] فالقوم مستيقنون من براءتهم ، فهم لم يأتوا ليسرقوا ويجترحوا هذا الفساد ، فحالهم ولسانهم ونسبهم يدلّ على ذلك[3] فهم متّهمون بسرقة الملك وهذا أمر مستبعد جدّا ، فلقد قطعوا مسافة طويلة من بلد إلى بلد ، للتزوّد بالمؤونة والطّعام ، فكيف يسرقون صواع الملك ؟ بالإضافة إلى ذلك فهم أبناء نبيّ ، ولهذا جاء قسمهم بالحرف الأقلّ شيوعا في باب القسم وهو التّاء

(مقارنة بالباء والواو) للتّعبير عن استغرابهم للموقف. [4]

ولمّا أفصح لهم (يوسف) عن هويّته وعرفوا أنّ الملك الذي يقفون أمامه هو أخوهم الذي ظلموه في يوم من الأيام وألقوه في غيابة الجبّ ، وظنّوا أنّهم قد ارتاحوا منه إلى الأبد هاهو أمامهم عليه تاج ملك مصر [5] حيث أصبح هو في مركز القوّة وأصبحوا هم في مركز الضّعف ، بعدما كانوا هم العصبة التي تمثل وهو الضّعيف

(3)- أبو حمدة محمد علي : المرجع السابق ص 59
[2] سورة يوسف الآية 73
[3] ينظر سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ،ج12 ص 2019
[4] ينظر جمال الدين أحمد : لغة الحوار في سورة يوسف مرجع سابق ص 11-12
[5] ينظر المرجع نفسه الآية 91

المغلوب على أمره ، فما كان ردّ فعلهم أمام هذا الموقف المذهل والغريب إلاّ أن ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [1].

توكيد بالقسم بالإضافة إلى حرف التّوكيد (إن) المخفّفة، ولا المزحلقة.
فيه « اعتراف بالخطيئة، وإقرار بالذنب، وتقرير لما يرونه من إيثار الله له عليهم بالمكانة والحلم والتّقوى والإحسان » [2]

وهذا الاعتراف المؤكّد إنّما هو ـ أيضا ـ محاولة لاستمالة قلب أخيهم واستعطافه حتّى ينالوا صفحه وعفوه، والصّفح والعفو من شيم الأنبياء والصّالحين ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [3]

تأمّل معي أخي القارئ في سماحة سيّدنا يوسف ـ عليه السّلام ـ وعفوه عن إخوته بعد كل ما فعلوه من جرائم ومعاملة قاسيّة وتصرّفات مشينة هاهو يقول لهم « لا تثريب عليكم اليوم » ، وهو قادر في منصبه على معاقبتهم بالقتل أو السّجن ، كيف ذلك وهو لم يعاقبهم حتّى بالكلمة الجارحة بل كان معهم حليما كريما إنّه العفو عند المقدرة ، فقوله : ﴿ يغفر اله لكم وهو أرحم الرّحمين﴾ « هو أدب مع ما فيه من ردّ الأمور كلّها إلى الله كما ينبغي ، إلاّ أنّها في الوقت ذاته خلو من أيّ شعور بالتّحرر من عقدة الأسى والمرارة معهم » [4]

إنّها فعلا قمّة مكارم الأخلاق أنعم وأكرم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها على سيّدنا يوسف ـ عليه السلاّم ـ كما أنعم بها على سيّدنا ونبيّنا وحبيبنا محمّد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ من بعده ، حيث كان ـعليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم- خلقه القرآن الكريم وقد زكّاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ [5] ، وقد زكّى زكّى نفسه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ بقوله : « بعثت لأتمّم حسن الأخلاق » [6]

فكانت من شيمه السّماحة والصّفح والعفو عند المقدرة، وخير دليل على ذلك ما فعله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بقريش يوم فتح مكّة حيث قال: « يا معشر قريش ما ترون

---

[1] سورة يوسف الآية 91
[2] سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ،ج13 ص 27 20
[3] سورة يوسف الآية 92
[4] أبو حمدة محمد علي : في التذوق الجمالي لسورة يوسف ص 61
[5] سورة القلم الآية 04
[6] حديث مرسل, تفرّد به الإمام مالك في موطئه

أنّي فاعل بكم ؟ » قالوا: « خيرا أخ كريم وابن أخ كريم »، قال: «اذهبوا فانتم الطّلقاء » [1]

ـ التّوكيد بـ (إنّ)واللاّم:

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾ [2]

إنّ محاولة الإخوة استعطاف واسترحام ـ العزيز يوسف ـ عليه السّلام- يستعملون فيها التّأثير النّفسيّ العاطفيّ باعتماد أسلوب التّوكيد ﴿ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا ﴾ ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾

« فراحوا يسترحمون (يوسف) باسم والد الفتى الشيخ الكبير، ويعرضون أن يأخذ بدله واحدا منهم إن لم يكن مطلقه بخاطر أبيه، ويستعينون في رجائه بتذكيره بإحسانه وصلاحه وبره لعلّه يلين » [3]

إن دلّ هذا على شيء إنّما يدلّ على دور وأهميّة التّأثير النّفسيّ العاطفـــــــيّ في عمليّة الإقناع والتي لا تقلّ أهميّة عن التّأثير العقليّ المنطقيّ

ولقد وردت (إنّ) في شبه التّكرار [4] الذي جاء في أقوال إخوة(يوسف) مرّة خفيفة ومرّة ثقيلة .

فأمّا الخفيفة فوردت عند مخاطبتهم ليوسف ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾ [5]

وأمّا الثقيلة وردت عند مخاطبتهم لأبيهم: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧﴾ [1]

---

[1] عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير : البداية والنهاية " ج 4 ـ ط1 ـ1423 هـ ـ 2003 م ص 249

[2] سورة يوسف الآية 78

[3] سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ،ج13 ص 22 20

[4] يسمى شبه التكرار بسبب اختلاف توجيه الخطاب في الآيتين مرة ليوسف وأخرى لأبيهم ، ينظر جمال الدين : لغة الحوار في سورة يوسف ص 10

[5] سورة يوسف الآية 91

فـ (إنّ) الثقيلة أكثر توكيدا للكلام من (إن) الخفيفة قياسا على نوني التّوكيد الثقيلة والخفيفة.ففي قولهم ﴿ وإن كنّا لخاطئين ﴾ خفّفوا التّوكيد رغم أنّهم يخاطبون فيها من أساءوا إليه مباشرة ، نظرا لما رأوه من أنّ الله قد أنعم عليه وعوّضه خيرا ، وكأنّ ما فعلوه به كان سببا لإيثار الله له ونصرته عليهم حتّى صيّره ملكا وهم يمدّون أيديهم إليه ، كما أنّهم يعلمون أنّهم يكلّمون أخاهم الصّغير فمنعهم كبرياؤهم من التّأكيد الشديد على وقوعهم في الخطأ . وفي قولهم ﴿ إنّا كنا خاطئين ﴾ شدّدوا التّوكيد بأنّ الثقيلة لأنّهم يخاطبون والدهم الذي أساءوا إليه بحرمانه من ولده وحرقة قلبه وذهاب نور عينه [2] .

ب- التّكرار في سورة يوسف:

لقد تكرّرت في سورة (يوسف) بعض الكلمات و العبارات ـ كما في بعض سور القرآن و قصصه ـ و ذلك لأهميّة المعاني و الدّلالات و الوظائف اللّغوية التي تؤدّيهـــــا في إطار سياقها اللّغوي كتوكيد المعاني التي تدلّ عليها و الإقناع بها.
و من فوائد التّكرار إدراك المتلقّي فحوى الرّسالة التي سيقت من أجلها هذه القصّــة ، و تذكيره بالغاية منها و التي تتمثّل في الدّعوة إلى الله و تنزيهه عن الشرك، و ترسيخ العقيدة و تقوية الإيمان و تربية النّفوس على الأخلاق الحميدة كالصّبر و السّماحـــــة و العفو و العفّة و الطّهارة و التّقوى و الصّدق و المحبّة و الإحسان و الاتّعـــــــاظ و الاعتبار... و غيرها ، و بالمقابل تجنيبها الشرك و الغدر و الخيانة و الـــــــزّنا و المكائد و المؤامرات و الكذب و الافتراء و الحقد و الحسد و الغيرة و الكـــره... و هلمّ جرّا.
و من هذه التّكرارات ما يلي:
ـ **(العلم)** : تكرّرت في العديد من الآيات في سورة (يوسف) للتّأكيد على أهميّة العلم ، و على أنّه نعمة من الله ـ سبحانه و تعالى ـ يهبها لمن يشاء من عباده و أنّه ـعـــــزّ و جلّ- هو العليم ، يعلم السرّ و أخفى و يعلم الغيب وما في الأرحام.
ـ و الآيات التي تشمل أو تحتوي لفظة العلم في سورة (يوسف) هي كالتّالي:

[1] سورة يوسف الآية 97
[2] ينظر : جمال الدين أحمد : المرجع نفسه ص 11

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ [1]﴾.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝١٩ [2]﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢١ [3]﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٢٢ [4]﴾

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٤ [5]﴾

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ [6]﴾.

---

[1] سورة يوسف الآية 6
[2] سورة يوسف ، الآية 19
[3] سورة يوسف ، الآية 21
[4] سورة يوسف ، الآية 22
[5] سورة يوسف ، الآية 34
[6] سورة يوسف ، الآية 37

﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾[1].

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾[2]

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٤٦﴾[3]

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾[4].

﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾[5].

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾[6].

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾[7]

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾[8]

---

(1) سورة يوسف ، الآية 40
(2) سورة يوسف ، الآية 44
(3) سورة يوسف ، الآية 46
(4) سورة يوسف ، الآية 50
(5) سورة يوسف ، الآية 52
(6) سورة يوسف ، الآية 55
(7) سورة يوسف ، الآية 69
(8) سورة يوسف ، الآية 73

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾[1]﴾

﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾[2]﴾

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾[3]﴾

﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾[4]﴾

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ [5]﴾

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾[6]﴾

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾[7]﴾

---

[1] سورة يوسف ، الآية 76
[2] سورة يوسف ، الآية 77
[3] سورة يوسف ، الآية 80
[4] سورة يوسف ، الآية 81
[5] سورة يوسف، الآية 83
[6] سورة يوسف ، الآية 86
[7] سورة يوسف ، الآية 89

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ [1]﴾

﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾[2]﴾.

ـ و تكرّرت في السّورة كلمات أخرى منها : تأويل ـ الضلال ـ و إنّا له لحافظون ـ إنّ الحكم إلاّ لله ـ الاستباق ـ راود ـ معاذ الله ـ حاش لله ـ الكيد ـ المحسنين ـ القميص ـ صادقون ، و غيرها يمكن إحصاؤها في الجدول الآتي: [3]

الكلمة أو العبارة	رقم الآيات التي وردت بها	المجموع
تأويل	06 - 21 -36-37- 44 - 45 - 100 - 101	08
الضّلال	08 - 95	02
و إنّا له لحافظون	12 - 63	02
إن الحكم إلاّ لله	40 - 67	02
الاستباق	17 - 25	02
راود	23 - 26 - 30 - 32 -(51-51) - 61	07
معاذ الله	23 - 79	02
حاش لله	31 - 51	02
الكيد	(05 - 05) - 28 - 33 - 34 - 50 - 52 - 76	08
المحسنين	22 - 36 - 78 - 90	04
إنّا نراك من المحسنين	36 - 78	02
القميص	18 - 25 - 26 - 27 - 28 - 93	06
صادقون	17 - 82	02

[1] سورة يوسف ، الآية 100
[2] سورة يوسف ، الآية 101
[3] ينظر ، أحمد نوفل : سورة يوسف دراسة تحليلية ص 112 - 117 ، عن مريم سعود : البعد التصويري في القرآن الكريم ، سورة يوسف نموذجا ، مذكرة ماجستير 2005-2006 جامعة الجزائر ص 101 - 103

كافرون	37 - 87	02
بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل	18 - 83	02
موثقا	(66- 66)- 80	03
خاطئين	29 - 91 - 97	03
السّجن	33 - 36 - 39 - 41 - 42 - 100	06
وعاء	(76 - 76 - 76)	03
ملّة	37 - 38	02
كيل	59 - 60 - (63 - 63) - (65-65) - 88	07
جزاء	25 - 74 - (75- 75)	04
رحل	70 - 75	02

- يستنتج من هذا الجدول ما يلي:

1- تكرار اللّفظين(تأويل و كيد) ثماني مرّات لأهميّة دلالتهما في القصّـــة :

فأمّا لفظ (تأويل) فالمقصود به تفسير الرّؤى [1] ، و هو علم قائم بذاته وهبه الله - سبحانه و تعالى-لأنبيائه و رسله و عباده الصالحين . و يبدو أنّ تأويل الرّؤى قد شاع و انتشر في عهد و عصر يوسف -عليه السّلام- ممّا ساعده في الدّعوة إلى الله و نشر كلمة التّوحيد . قال الله -سبحانه و تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦ [2]﴾.

﴿... وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ

[1] ينظر الزمخشري : الكشاف ، ص 303
[2] سورة يوسف ، الآية 06

وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾[1]﴾.

﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾[2]﴾

و أمّا لفظ (كيد) فاختلفت دلالته و معانيه في قصّة يوسف -عليه السّلام -على حسب اختلاف المواقف، لأنّه «يطلق على التّدبير في الخفاء للخير أو الشرّ سواء [3]».
فأمّا كيد الشرّ فيكون الشيطان فيه و عليه سببا و عونا، و هو كالآتي:

أ - كيد إخوة (يوسف) ليوسف - عليه السّلام - بهدف التّخلص منه حتّى يستأثروا بحبّ والدهم .

قال تعالى على لسان يعقوب -عليه السّلام-: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾[4]﴾.

و قال تعالى على لسان إخوة (يوسف): ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾[5]﴾.

و رغم أنّهم نفّذوا جريمتهم في إبعاد يوسف - عليه السّلام - عن والده حتّى يخلو لهم وجه أبيهم ، إلاّ أنّه خاب ظنّهم و سعيهم ، و لم يتحقّق غرضهم ؛ حيث لم ينس يعقوب - عليه السّلام - (يوسف) و لم ينطفئ حبّه في قلبه ، بل تملّكته الأحزان

---

[1] سورة يوسف ، الآية 21-22
[2] سورة يوسف ، الآية 37
[3] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 4 ، ص2020
[4] سورة يوسف ، الآية 05
[5] سورة يوسف ، الآيات 8 - 9 - 10

والآلام لفراقه ، و عاش على أمل و رجاء أن يحقّق الله ـ عزّ وجلّ ـ ملاقاتهما و يجمع شملهما.

و هيّأ الله ـ سبحانه و تعالى ـ ليوسف ـ في بعده عن والده و عائلته ـ عيشة رغـــدا في بيت (العزيز) بمصر ليصير فيما بعد ـ بعد الابتلاء بمحنة المراودة و دخول السّجن ـ عزيز مصر و بهذا يتمّ عليه الله- سبحانه و تعالى- نعمة الملك بعد أن أتاه نعمة العلــم.

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ [1]﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [2]﴾.

و أصبح إخوته على ما فعلوه نادمين معترفين على خطئهم ، و مقرّين بنـــــــصرة و تفضيل الله ـ سبحانه و تعالى- ليوسف ـعليه السّلام ـراجين العفو و الصّفح من أخيهم ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ [3]﴾.

و تحقّق حلم و رجاء والدهم بلقاء يوسف ـ عليه السّلام- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ

(1) سورة يوسف ، الآيتين، 21- 22
(2) سورة يوسف ، الآيات ، 54 - 55 - 56
(3) سورة يوسف ، الآية91

ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾[1]﴾

و قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾[2]﴾.

ب - كيد امرأة (العزيز) ليوسف -عليه السّلام- بعد فشلها في مراودتها إيّاه للمواقعـــة ، و اصطدامها بوجود زوجها أمام الباب أثناء مطاردتها ليوسف ، حيث حاولت تبرئة ساحتها بإلقاء تهمة الاعتداء على (يوسف) مقترحة له عقوبة السّجن أو العذاب الأليم.

قال -عـــزّ و جـــلّ-: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾[3]﴾.و بعد أن انفضح أمرها و انكشف كيدها و مكرها قال

(1) سورة يوسف ، الآية 94-95-96
(2) سورة يوسف ، الآية 99-100
(3) سورة يوسف، الآية 25-28

زوجها(العزيز) مخاطبا و معاتبا إيّاها بصيغة جمع المؤنـــّث : ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾ و المقصود بالكيد هنا الاحتيال الخفيّ المستور الذي يصعب و يتعذر على المرء مقاومته و محاربته [1] ، كيف لا ؟ و قد كان كيدهنّ عظيما"إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ" أعظم من كيد الشيطان بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا[2]﴾ .

و لهذا دعا يوسف ـ عليه السّلام- ربّه أن يصرف عنه كيد النّسوة اللاّئي راودنـــه عن نفسه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ [3]﴾ و استجاب الله له دعاءه فنجّاه من كـــيدهنّ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾[4]﴾.

و أمّا الكيد الذي أريد به الخير في قصّة (يوسف) ، هو كيد يوسف ـ عليه السّلام- لإخوته ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ

[1] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص6870
[2] سورة النساء الآية،76
[3] سورة يوسف ، الآية 33
[4] سورة يوسف ، الآية 34

دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾[1]﴾، فالمراد من الكيد في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ هو التدبير المحكم في الخفاء للخير و الذي نفّذه و طبّقه يوسف ـ عليه السّلام- بوحي من الله لإبقاء أخيه عنده[2] .

2- تكرّر اللّفظان (**راود**) و (**كيل**) سبع مرات لأهميّة كلّ منهما في بناء هيكل القصّة.

فلفظ (راود) «من راد يرود إذا جاء و ذهب »[3] ، و هو يدّل على تكرار المحاولة لإدراك أمر معيّن ، و تحقيق الهدف المراد ، و «المراودة مطالبة برفق و لين بستر ما تريد ممن تريد[4]».

و يظهر فعل المراودة في(يوسف) في ثلاثة مواقف:

الموقف الأول: يتجلّى في مراودة امرأة (العزيز) ليوسف -عليه السّلام- بغية الموافقة : ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾[5]﴾.

و تحوّلت المراودة هاهنا إلى نقيض ما قاله **(الشعراوي)** عنها بأنّها تتطلّب الرّفق و اللّين ، حيث أنّه لمّا فشلت امرأة (العزيز) في تحقيق رغبتها بالطّريقة السلميّة غير الصّريحة ، طريقة الإغراءات كالحركات و التّمايلات و الابتسامات ... وغيرها لجذب يوسف ـ عليه السّلام- لفعل الفاحشة ، انتقلت إلى الدّعوة الصّريحة العنيفة قولا و فعلا حيث ﴿غلّقت الأبواب و قالت هيت لك﴾ ﴿و قدّت قميصه من دبر﴾ ضاربة بذلك عرض الحائط عفّة المرأة و حياءها و كبرياءها ناسية أو متناسية مكانتها و منزلتها الاجتماعيّة غير مباليّة و غير آبهة بأنّها زوجة العزيز و أنّ من تراوده عن نفسه هو غلامها.

الموقف الثاني: يتمثّل في مراودة النّسوة ليوسف ـ عليه السّلام- و هو لا يظهر جليّا و لكن يفهم ضمن السيّاق من خلال أقوال و تصرّفات النّسوة عندما رأينه:

﴿...فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ

---

[1] سورة يوسف ، الآيات 70-76

[2] ينظر أحمد نوفل ، سورة يوسف ، دراسة تحليلية ، ص115

[3] الزمخشري، الكشاف، ص310

[4] الشعراوي ، تفسير الشعراوي، ج1 ص6854

[5] سورة يوسف ، الآية 23

كَرِيمٌ ﴿٣١﴾[1]﴾ و من خلال دعاء يوسف ـ عليه السّلام- لربّه بأن ينجّيه من كيدهـــنّ :

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾[2]﴾.

الموقف الثالث: يبرز في مراودة إخوة (يوسف) لوالدهم من أجل اصطحاب أخيهم الصّغير شقيق يوسف- عليه السّلام- معهم إلى قصر العزيز بمصر، و هذا تنـــــفيذا و استجابة لشرط و طلب يوسف- عليه السّلام -حتى يكيل لهم.

﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

إنّ لفظ (نراود) هاهنا في هذه الآية «يصوّر الجهد الذي يعلمون أنّهم باذلـــــــوه[3]» و إقرانه بحرف السّين الذي يفيد المستقبل القريب يدلّ على تعجيلهم و إسراعـــهم في عمليّة المراودة أو بمعنى آخر سرعة تنفيذهم لها في القريب العاجل.

3- تكرار اللفظان **(القميص)** و **(السّجن)** ستة مرّات لأهميّة ودور كلّ منهمـــــــا في القصّة أيضا.

فأمّا **(القميص)** فكان له دور فعّال في بناء هيكل القصّة و تحريك أحداثها من بدايتها إلى نهايتها ، كونه يعود إلى الشخصيّة المحورية فيها، و هو يوسف -عليه السّلام-.

و تجلّى دوره في ثلاثة مواقف هي:

أ ـ موقف المؤامرة :حاول إخوة (يوسف) ـ بعد أن نفّذوا جريمتهم بإلقاء يوسف -عليه السّلام -في الجبّ ـ أن يجعلوا من القميص دليلا ماديّا لإقناع والدهم تصديق ما يدّعونه و يزعمونه بأنّ الذئب أكل يوسف -عليه السّلام -إلاّ أنّه انقلب إلى دليل اتّهام ضدّهـــم ، و افتضاح جريمتهم ، قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾[4]﴾.

---

[1] سورة يوسف ، الآية 31

[2] سورة يوسف ، الآية 33

[3] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 4 ج13 ص2016

[4] سورة يوسف ، الآية 18

وظّف السياق القرآنيّ لفظة **(كذب)** و هي مصدر للمبالغة في وصف الدّم الذي لطّخ به إخوة (يوسف) قميص يوسف ـ عليه السّلام- ،[1] بغرض التأكّد على أنّ أمر الدّم كان مفتعلا و مكشوفا و ظاهرا للعيان بأنّه ليس دم يوسف ـعليه السّلام-.

فالوصف بالمصدر ـ إذن ـ أقوى من الوصف بغيره من المشتقّات الأخرى ، لأنّ فيه مبالغة و تأكيدا و تعظيما و في هذا يقول **(الشعراوي)** : «يقال للكذّاب هو الكذب عينه ، أو تصف شخصا شريرا فتقول هو الشرّ عينه، أي؛ أنّ الشر تجسد فيـــــه، و الكذب في القميص يكاد يصرخ و يقول : أنا كذب ، لأنّه ليس بدم (يوسف)[2]».

يفهم من قول **(الشعراوي)** أنّ علامات الكذب كانت متجليّة و واضحة على القميص كأن يكون إخوة **(يوسف)** نسوا تمزيق القميص ، أو لم يمزّقوه جيّدا أو أن يكونـــوا «قد أخذوا القميص الخارجيّ و بقي قميصه الداخليّ لاصقا بجسده فلمّا أن رأى يعقوب القميص الخارجيّ هو الذي عليه الدّم لم يصدّق أنّ (يوسف) قد أكله الذئـــب إذ كيف يأكل الذئب يوسف بالكامل و لا يكون تقطيعه لجسده و ملابسه بالكامل؟ [3] » أو ادعاؤهم الكاذب الذي جاء بالحجّة ذاتها التي كان يمانع بسببها أبوهـــــــم على السّماح لهم بأخذ أخيهم ، ألا و هي تخوفه من أن يأكله الذئب و هم عنه غافلون . و كأنّهم عجزوا عن إيجاد فكرة أخرى لتبرير جريمتهم غير تلك التي أخذوها جاهزة عن والدهم و هذا أمر ـ بطبيعة الحال ـ يستدعي تكذيبهم و الشكّ فيهم !. أو ربّما يكون يعقوب ـ عليه السّلام- قد ميّز و تبيّن و اكتشف بأنّ الدّم الذي على القميص ليس دما آدميّا و إنّما دم حيوان !. فكلّ هذه العلامات أو بعضها أو غيرها جعلت والدهم لا يصدّقهم بل يتّهمهم بضياع يوسف ـ عليه السّلام- و يفوّض أمره إلى الله - سبحانه و تعالى- : ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ .

ب ـ موقف المراودة: و حضور القميص في هذا الموقف كان دليلا ماديّا على براءة يوسف ـ عليه السّلام- من تهمة الاعتداء الملقاة على عاتقه من طرف امرأة (العزيز) . قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥﴾[4].

---

[1] ينظر الزمخشري، الكشاف، ص307

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي ، ص 6893

[3] محمد علي أبو حمدة، في التذوق الجمالي لسورة يوسف، ص37

[4] سورة يوسف ، الآية 25

لمّا فشلت كلّ محاولات امرأة (العزيز) في إغراء يوسف ـ عليه السّلام- على المواقعة حيث اعتصم و امتنع منها أرادت إرغامه و إجباره على ذلك ففرّ هاربا باتجاه الباب يريد الخروج ، و ركضت وراءه و قدّت قميصه من دبر ، و في هذه اللّحظات وجدا (العزيز) أمام الباب فراحت مباشرة تتّهم (يوسف) بالباطل بالاعتداء عليها ، و تقترح على زوجها العقاب المناسب له ، و راح يوسف ـ عليه السّلام- يدافع عن نفسه هذه التّهمة الباطلة الظالمة ، ثم يتدخّل الشاهد ليفصل بينهما : ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧[1] ﴾ و بعد هذا الاستدلال ظهر للعزيز أنّ القميص ممزّق من الخلف فأدرك بأنّ زوجته هي الكاذبة و المتورّطة في هذا الجرم ، و أنّ (يوسف) بريء منه، فطلب من يوسف ـ عليه السّلام- بأن يتجنّب الحديث في هذا الأمر و لا يوليه أهميّة ، و أن يحاول نسيانه و خاطب زوجته بضمير الجمع المؤنّث معاتبا إيّاها طالبا منها الاستغفار لذنبها ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ٢٩[2] ﴾ .

إنّ تكرار لفظة القميص أربع مرات في هذه الآيات لدليل على أهميّته في سياق هذا الموقف. إذ خرج من هذه المعركة ـ معركة المراودة و الاتّهام المتبادل و الصّراع بين الحقّ و الباطل ـ منتصرا للحقّ هازما الباطل [3] ، حيث كان دليل براءة يوسف ـ عليه السّلام-.

ج ـ موقف البشرى: لقد عانى يعقوب ـ عليه السّلام- مرارة الأحزان و الآلام نتيجة افتقاده ليوسف ـ عليه السّلام- ، كلّفه فقدان بصره ، إلاّ أنّه لم ييأس من رؤية **(يوسف)** مرّة أخرى بل ظلّ رجاؤه و أمله في اللّقاء به قائما و ينتظر اللّحظة التي يحقّق فيها الله ـ سبحانه و تعالى- ، ذلك بدليل قوله لمّا بلغه نبأ احتجاز ابنه الصّغير

---

[1] سورة يوسف ، الآية، 25-26

[2] سورة يوسف ، الآية 28-29

[3] ينظر محمد علي أبو حمدة، في التذوق الجمالي لسورة يوسف ، مرجع سابق، ص 38- 39

لدى (عزيز) مصر بتهمة السّرقة: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾[1]﴾.

و فعلا حقّق الله أمله في اللّقاء بابنه بعد طول سنوات الفراق و الأحزان و الهمـــــوم ، و الصّبر على الابتلاء ، فبعد أن كشف يوسف ـ عليه السّلام- لإخوته عن نفســـــه و عاتبهم على صنيعهم ضدّ أخيهم، و اعترفوا بخطئهم أمامه، و عفا عنهم و دعا لهم بالمغفرة طلب منهم أخذ قميصه و إلقائه على وجه أبيه ليعود بصيرا، و على أن يأتوه بأهلهم جميعا: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾[2]﴾

يقول **(سيّد قطب)** : «كيف عرف يوسف أنّ رائحته ستردّ على أبيه بصره الكليل؟ ذلك ممّا علّمه الله، و المفاجأة تصنع في كثير من الحالات فعل الخارقة.. و ما لها لاتكون خارقة و (يوسف) نبيّ رسول و (يعقوب) نبيّ و رسول؟[3]».

---

[1] سورة يوسف، الآية 83-87

[2] سورة يوسف، الآية 93-96

[3] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج 4 ج13 ص2027

و كيف اشتمّ يعقوب رائحة ابنه يوسف- عليهما السّلام- من هذه المسافة البعيدة ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ إنّها معجزة أو نعمة الله - سبحانه و تعالى- مستعجلة لجعل نبيّه يعقوب - عليه السّلام- يستعـــــدّ و يتهيّأ للبشرى و الفرحة الكبرى بلقاء ابنه يوسف - عليه السّلام- بعد كلّ هذه السنوات الطوال و تتمّ و تكتمل البشرى بمجيء البشير و إلقائه قميص (يوســـــف) على وجه أبيه فيعود إليه بصره.

فما علاقة القميص بعودة البصر؟ لاشكّ أنّ يعقوب - عليه السّلام- اشتمّ رائحة (يوسف) في القميص وأدرك أنّ يوسف -عليه السّلام- مازال حيّا يرزق و غمرته فرحة شديدة أعادت إليه بصره.

إنّ أسباب إصابة يعقوب - عليه السّلام- بالعمى لم تكن عضويّة و إنّما كانت نفسيّة ، تمثلت في شدّة الأحزان و الهموم جرّاء فقده ليوسف - عليه السّلام- ثم أخيه فيما بعد ، و لهذا كان علاجه من مرضه نفسيّا أيضا تمثل في الفرح الشديد ، فكان القميص - إذن - دليلا ماديّا على أنّ (يوسف) ما زال حيّا و سببا في شفاء (يعقوب) من مرضه «إنّها آية من آيات الله أجراها ... بين يدي نبيّين كريمين يعقوب و يوسف -عليهما السّلام- و أنّ ذلك لم يكن أمرا معجزا..و أنّه جاء على سنن الطّبيعة، و مألوف الحياة، وأنّ الذي ذهب ببصر يعقوب هو شدّة الحزن و أنّ الذي يعيد له بصره الذاهب هو شدّة الفرح[1]».

و نظرا لأهميّة القميص البالغة في قصّة يوسف - عليه السّلام- حيث تكرّر عدّة مرّات و أدّى أدوارا أساسيّة ، و شكّل أدلّة ماديّة كانت كلّها في صالح يوسف و يعقوب -عليهما السّلام- حتّى نعت بعض العلماء قصّة يوسف - عليه السّلام- بقصّة القميص[2].

و أمّا لفظة **(السّجن)** فتكرّرت لأسباب هي كالآتي:

أ- السّجن هو العقاب الذي اقترحته امرأة (العزيز) على زوجها ضدّ يوسف -عليه السّلام- لمّا امتنع عنها و استعصم، و فاجأها (العزيز) أمام الباب، ﴿...قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ [3]﴾

ب - هو المكان الذي فضّله يوسف -عليه السّلام- على ارتكاب الفاحشة إثر مراودة امرأة (العزيز) ، و النّسوة له، و هو يتضرّع و يناجي ربّه كي ينجّيه منهن ،

---

(1) عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في مفهومه و منطوقه ، ص484

(2) ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص6888

(3) سورة يوسف ، الآية 25

و يصرف عنه كيدهنّ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣[1]﴾.

جـ - هو المكان الذي ابتلى به يوسف -عليه السّلام- بعد أن تجلّت لهم أدلّة براءته و أمارات طهارته و عفافه ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥[2]﴾

د - هو المكان الذي دعا فيه السّجينين إلى توحيد الله و عبادته و تنزيهه عن الشرك: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠[3]﴾.

هـ - و هو المكان الذي أبى أن يخرج منه حتّى يثبت براءته مرّة أخرى للملك و من طرفه ، أي على يد الملك و تظهر الحقيقة جليّة أمامه و أمام الجميع ، فيخرج منه مرفوع الرّأس محترما : ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠[4]﴾ .

و لمّا أجرى الملك تحقيقا مع النّسوة و شهدن بحسن خلق يوسف - عليه السّلام- و طهارته و عفّته اعترفت امرأة (العزيز) بالحقيقة كاملة، بأنّها هي الظالمة و المتورّطة في مراودة (يوسف) عن نفسه و أنّه بريء من هذه التّهمة و صادق في اتّهامه لها و تبرئة نفسه: ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ

[1] سورة يوسف ، الآية 33
[2] سورة يوسف ، الآية 35
[3] سورة يوسف، الآية 39-40
[4] سورة يوسف ، الآية 50

حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾[1]﴾.

فلمّا ظهرت براءة يوسف - عليه السّلام- و أدرك الحقيقة أرسل في طلب (يوسف) ليقرّبه منه ليصبح عزيز مصر، و ينتقل من موضع الإذلال و الانكسار **(السّجن)** إلى موضع الجاه و السّلطان **(السّلطة ، الحكم)** : ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾[2]﴾.

و - و تكرّرت عبارة **(يا صاحبي السّجن)**[3] في موضعين :

الأول منهما: ذكره يوسف حين عدل عن جوابهما إلى دعائهما إلى الإيمان.

الثاني: حين دعياه إلى تعبير الرّؤيا لهما ، تنبيها على أنّ الكلام الأوّل قد تمّ[4].

- تكرار عبارة **(و إنّا له لحافظون)** : كرّر إخوة (يوسف) هذه العبارة في موقفين متباعدين ، و إن كانا متشابهين و هما:

أ - موقف استمالتهم لأبيهم حتى يسمح لهم بأن يأخذوا يوسف (أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾[5]).

ب- ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ - و الموقف الآخر هو موقف استمالتهم له حتّى يأخذوا أخا (يوسف) ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا

---

(1) سورة يوسف ، الآية 51

(2) سورة يوسف، الآية ، 54-55

(3) سورة يوسف ، الآيتان ، 39-40

(4) محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن ، المسمى : البرهان في توجيه القرآن لما فيه من الحجة و البيان ، ص149

(5) سورة يوسف، الآية 12

ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾[1]﴾.

و دلالة هذا التّكرار استبطان الحالة النفسيّة ليعقوب -عليه السّلام- و هو يستمع لنفس الادّعاء الذي سمعه منذ سنوات وقت ضياع (يوسف) ، هو نفس الادّعاء بنفس الألفاظ، و كأنّ لسان حاله يقول و هو يستمع إلى دعواهم بحفظ أخ (يوسف): «مازلتم كذبة ، كيف أثق بكم؟![2]».

-تكرار القول ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ على لسان يعقوب - عليه السّـــــلام- « في موضعين ليس بالتّكرار ، لأنّه ذكر الأول حين نعى إليه (يوسف) و الثانـــــي لما رفع إليه ما جرى على بنيامين» [3]

- و عبارة **(معاذ الله)**تكرّرت مرّتين في سورة (يوسف) على لسان يوسف -عليه السّلام- :

فالأولى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4]

و الثانية: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾[5]﴾ الاعتصام بالله عن الظلم و فعل الحرام [6]

و يرى **(الكرماني)** أنّ ورودها في هاتين الآتين ليست تكرارا لأنّ الأولى قالها يوسف -عليه السّلام- ردّا على امرأة (العزيز) حين دعته إلى المواقعة ، و الثانيّة حين دعوه إخوته إلى تغيير حكم السّرقة ؛ بأن يأخذ أحدهم بدل أخي (يوسف) (بنيامين).

- عبارة **(حاش لله)** ذكرت مرتين في سورة (يوسف) على لسان النّسوة:

---

[1] سورة يوسف، الآية 63
[2] أحمد جمال الدين، لغة الحوار في سورة يوسف ، دراسة أسلوبية ص10
[3] الكرماني ، أسرار التكرار في القرآن ، ص148
[4] سورة يوسف، الآية 23
[5] سورة يوسف، الآية 79
[6] ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12، ص251 و ج 13 ص37

فالأولى :عندما انبهرن بجمـــــــال يوسف -عليه السّلام:- ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾[1]﴾

و الثانية: كانت جوابهنّ عن سؤال الملك : ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ)(2)

و يراد بهما :إبطال شيء عن شيء و براءته منه ..و فيها مبالغة في النّفـــــــي و التّنزيه. »[3]

و يرى **(الكرماني)** أيضا بأنّ ورود العبارة في هذين الموضعين ليس بتكرار لأنّ :

الأولى :قالتها النّسوة في حضرة يوسف -عليه السّلام- حين نفين البشريّة .

الثانيّة: بظهر الغيب حين نفين عنه السّوء[4].

عبارة **(إنّا نراك من المحسنين)** تكرّرت مرتين في سورة (يوسف):

المرة الأولى: كانت من وصف صاحبي السّجن ليوسف -عليه السّـلام- لمّا طلبا منه تأويل رؤياهما، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[5]»

المرة الثانية :من نعت إخوة (يوسف) ليوسف -عليه السّلام - بغية استعطافه ليأخذ أحدهم بدل أخيهم الصّغير : ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ : ﴾[6].

---

(1) سورة يوسف ، الآية 31

(2) سورة يوسف ، الآية 51

(3) ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرر و التنوير ج 12 ص263 و ص 290

(4) ينظر الكرماني : أسرار التكرار في القرآن ، ص148

(5) سورة يوسف، الآية 36

(6) سورة يوسف، الآية 78

و دلالة هذه العبارة و وظيفتها اللّغوية في كلا القولين هي المدح و الإطراء بغرض التّأثير في نفسيّة المتلقّي و إقناعه؛ حيث يجعله هذا الوصف يلين و يطيب و يرضى فيستجيب لطلبهم.

و لا يعتبر **(الكرماني)** ذكرها في هذين الموضعين تكرارا « لأنّ الأوّل من كلام صاحبي السّجن ليوسف ـ عليه السّلام- و الثاني من كلام إخوة(يوسف) ليوسف ـ عليه السّلام- [1]».

إذن رفض **(الكرماني)** تكرارها لاختلاف مصدرها أو مرسلها ، رغم أنّ لها نفس اللّفظ و نفس الدّلالة و نفس المتلقّي.

ـ عبارة **(إن الحكم إلا لله) :** تكرّرت مرّتين في سورة(يوسف) :

الأولى :جاءت على لسان يوسف ـعليه السّلام- في دعوته السّجينين إلى الله ﴿ [2]﴾.

و الثانيّة : على لسان يعقوب ـ عليه السّلام- في أثناء نصحه لأبنائه بعدم الدّخـــول من باب واحد عندما يدخلون إلى القصر خوفا عليهم من العين و الحسد أو شرّ يمكن أن يلحقهم : ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ [3]﴾.

و توحي العبارة **(إن الحكم إلا لله)** بقوّة إيمان يوسف و يعقوب ـعليهما السّلام ـ بالله ـعزّ و جلّ- ، و الإقرار بالوحدانيّة و الحاكميّة و الملك و القدرة و تفويض الأمر إليه ـ سبحانه و تعالى-.

و قياسا على رأي **(الكرماني)** فإنّ تكرار هذه العبارة ليس تكرارا لأنّها لم تصـــدر عن نفس الشخص.

ـ شبه التّكرار : بين العبارتين ﴿**إن كنا لخاطئين** ﴾ و ﴿**إنا كنا خاطئين** ﴾ ، و دلالة الفرق بينهما تتّضح في التّوكيد بـ (**إن**) المخففة ، و (**إنّ**) الثقيلة.

فأمّا العبارة الأولى : فوردت على لسان إخوة يوسف أمام أخيهم *يوسف* العزيز

[1] الكرماني ، المصدر نفسه ص 149
[2] سورة يوسف، الآية 40
[3] سورة يوسف ، الآية 67

-عليه السّلام-، ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾[1]﴾.

و رغم أنّهم يخاطبون فيها من أساءوا إليه مباشرة ، يوسف -عليه السّلام -إلاّ أنّهم خفّفوا التّوكيد بـ (**إن**) بدل (**أنّ**) نظرا لما رأوه من أنّ الله قد أنعم عليه و عوّضه خيرا فصار عزيز مصر بسببهم ، و أصبحوا يمدون أيديهم إليه مستعطفين متذللين لكي يكتالوا كما منعتهم كبرياؤهم باعتبار أنّ (يوسف) أصغر منهم سنّا.

و أمّا الثانية: فوردت على لسانهم أمام أبيهم ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾[2]﴾ الذي أساءوا إليه بحرمانه من ولده و حرقة قلبه و ذهاب نور عينيه و هو شيخ طاعن في السنّ تؤثر في النّفوس حاله و يمزّق القلوب مرآه؛ و لهذا لانت قلوبهم و اعترفوا أمامه اعترافا صريحا مؤكّدا بـ (**إنّ**) الثقيلة لا كبرياء فيه[3] .

و بالإضافة إلى إحساسهم بالنّدم على خطئهم ، شعروا بالخجل من أبيهم الذي كانوا يغلظون له في القول كلّما ذكر اسم (يوسف) أمامهم ، أو تأسّف لفراقه أو انتابه شعور بالأمل في لقائه ، و هو متجمّل بالصّبر لا ينقطع رجاؤه في الله بأن يجمع بينه و بين يوسف و أخيه ، و فعلا حقّق الله له رجاءه و نصره على كيدهم و شرّهم. و لهذا كلّه أكّدوا على خطئهم بـ (**إنّ**) الثقيلة ، ندما و أسفا على أفعالهم ، و طمعا في صفح والدهم عنهم.

ج-أسلوب الاستفهام:

يعتبر الاستفهام من بين الأساليب البلاغيّة الإنشائيّة ذات الأهميّة البالغة في عمليّتي الحوار والإقناع ،إذ لا يمكن للمرسل أو القائم بالاتّصال بأيّ حال من الأحوال الاستغناء عنه باعتباره أداة ووسيلة أساسيّة في العمليّة التّواصليّة والحواريّة .

فهو يعتبر وقودا للحوار، وبه تتّسع رقعته بين الطّرفين المتحاورين، أو الأطراف المتحاورة، وكلّما زادت رقعة الحوار اتّساعا، زادت واتّسعت مساحة الحجاج، وارتفعت نسبة الإقناع فيها .

ولعلّ الاستفهام في سورة (يوسف) كان حاضرا بنوعيه الحقيقي وغير الحقيقي فأمّا الحقيقي فهو ما كان بغرض الاستفسار فقط ، أي طلب الفهم أو العلم بالشيء

---

(1) سورة يوسف، الآية 91

(2) سورة يوسف، الآية 97

(3) ينظر جمال الدين : لغة الحوار في سورة يوسف ، دراسة أسلوبية، ص10-11

لقوله تعالى على لسان الملك : ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1]

فالاستفهام هنا في قوله: ﴿ ما خطبكنّ ؟ ﴾ حقيقي غرضه الاستفسار وطلب فهم ومعرفة تفاصيل القضيّة المتمثلة في حادثة المراودة .وكقوله تعالى أيضا على لسان إخوة(يوسف) إثر اتّهامهم بالسّرقة : ﴿ قَالُوا وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [2]

ففي قولهم : ﴿ مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴾ ؟ استفهام حقيقي أريد به الاستفسار عن الشيء المفقود أو المسروق.

وأمّا غير الحقيقي على [3] اختلاف أغراضه هو الأهم في دراستي كونه يشكل بيت القصيد في بناء العمليّة الحواريّة الإقناعيّة ، وهذا ما سأحاول الخـــــــوض فيه بالشرح والتّحليل والاستدلال قصد إثباته وتوضيحه.

ج-1-استفهام إخوة يوسف لوالدهم:

قال الله - سبحانه تعالـــــى- : ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [4] فصيغة السّؤال ﴿ مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ ؟ إنّما تـــــدلّ على تكرار وتعدّد محاولاتهم الرّاميّة إلى أخذ أخيهم معهم ،وتنفيذ مؤامرتهم ضده ، والتي يبدو أنّها قد باءت كلّها بالفشل نتيجة رفض يعقوب -عليه السّلام - لطلبهم ، ولكنّهم لم يتوانوا عن تنفيذ خطّتهم فظلّوا حريصي ن على ذلك بإلحاحهم على والدهم وتوكيداتهم له بحفظ أخيهم ورعايته ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ و﴿ إنا له لحافظون ﴾ قصد التّأثير عليه ليتراجع عن رأيه المتمثل في الامتناع ، وإقناعه بفكرتهم وطلبهم .

وقولهم : ﴿ يا أبانا﴾« بهذا اللّفظ الموحي المذكّر بما بينه وبينهم من آصرة » [5]

---

[1] سورة يوسف الآية 51

[2] سورة يوسف الآية:71

[3] ينظر : الفصل الثاني من هذه الرسالة " الإقناع إستراتجية وأساليبه

[4] سورة يوسف الآية11

[5] سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4، ج12 ، ط 15، ص 1974

له تأثير نفسيّ وسلوكيّ على شخصيّة والدهم ، فنداؤهم له بصيغة الجماعة فيه نوع من الاستمالة العاطفيّة من خلال دغدغة مشاعر الأبوّة لديه قبل توجيه السـّؤال ﴿ مالك لا تأمنا على يوسف ﴾؟

« سؤال فيه عتب وفيه استنكار خفيّ ، وفيه استجاشة لنفي مدلوله من أبيهم ، والتّسليم لهم بعكسه وهو تسليمهم(يوسف) ، فهو كان يستبقي(يوسف) معه ولا يرسله مع إخوته إلى المراعي والجهات الخلوية التي يرتادونها لأنّه يحبّه ويخشى عليه ألاّ يحتمل الجوّ والجهد الذي يحتملونه وهم كبار ، لا لأنّه لا يأمنهم عليه ، فمبادرتهم له بأنـّه لا يأتمنهم على أخيهم وهو أبوهم ، مقصود بها استجاشته لنفي هذا الخاطر، ومن ثمّ يفقد إصراره على احتجاز يوسف ، فهي مبادرة ما كرة منهم خبيثة !» [1]

و« صيغة السّؤال تشي بما يمكن أن يبيتوه ،وهي ظاهرة تتحدّث عن نفسها في سياق آخر ، سياق المنافقين الذين كانوا يأتون إلى رسوله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ويشهدون الله على ما في قلوبهم وهم كاذبون » [2] ، قال تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [3]

يقول **(ابن عاشور)** : « ولعلّ يعقوب ـ عليه السّلام ـ كان لا يأذن ليوسف ـ عليه السّلام ـ بالخروج مع إخوته للرّعي أو للسّياق خوفا عليه من أن يصيبه سوء من كيدهم أو من غيرهم ، ولم يكن يصرّح لهم بأنّه لا يأمنهم عليه ولكنّ حاله في منعه من الخروج كحال من لا يأمنهم عليه فأنزلوه منزلة من لا يأمنهم ، وأتوا بالاستفهام المستعمل في الإنكار على نفي الائتمان » [4]

إذا فالغرض من استعمال الاستفهام هو الإنكار على نفي الائتمان للائتمان، أي: أنّ الغاية من توظيف إخوة (يوسف) لهذا الاستفهام(...)

-والذي غرضه عتاب أبيهم ، واستنكار عدم وثوقه بهم ، وعدم ائتمانهم على يوسف ـ هي التّأثير على أبيهم ليتراجع عن فكرة امتناعه بترك(يوسف) يذهب برفقتهم ، فكان النّداء بلفظ ﴿ يا أبانا ﴾ والاستفهام الإنكاري ، والجملة الاعتراضيّة المؤكّدة ﴿ إنا له

---

[1] سيد قطب المصدر نفسه الصفحة نفسها

[2] أبو حمدة محمد علي : في التذوق الجمالي لسورة يوسف مرجع سابق ص 64

[3] سورة المنافقون الآية 01

[4] ابن عاشور محمد الطاهر :" تفسير التحرير والتنوير " ص 227

لناصحون ﴾ بمثابة مقدّمة تأثيريّة إقناعيّة لتحقيق الردّ الايجابي عن طلبهم المتمـثل في قولهم: ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [1]

ج-2-استفهام امرأة العزيز لزوجها:

وقال- سبحانه وتعالى -: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2]

على اثر مراودة زوجة العزيز ليوسف -عليه السّلام -و امتناعه عنها و فرّ جريا نحو الباب قاصدا الفرار و الهروب من هذه المحنة الخطيرة و المأزق الكبير المتمثـــل في إغواء و إغراء المرأة للرّجل بجمالها و جسدها و إثارته جنسيّا لممارسة الفاحشة وتعقّبها له محاولة منعه ، تتفاجأ بزوجها أمام الباب ، فتبادره بقولها ﴿: مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾ قبل أن يسألها هو دفعـــــا أو درءا للتّهمة و الشبهة و الشكّ .و لكنّها امرأة تعشق فهي تخشى عليه ، فتشير بالعقاب المأمون ﴿ إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ [3]﴾ فالعقاب بالسّجـــــــن أو الضّرب لا يودي بحياة (يوسف)، فهي إنّما تريد باقتراحها هذا العقاب أن تبعد شكّ زوجها فيها ، و أن تقنعه ببراءتها ، وعفّتها و طهارتها و إخلاصها في حبّها له، هذا من جهة ، و من جهة أخرى تريد أن تردع (يوسف) حتّى يقبل بحبّها و يستجيب لرغبتها.

---

[1] سورة يوسف الآية 12

[2] سورة يوسف الآية 25

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن مج4، ج12 ص1982

لو أرادت أن تدفع الشبهة و تبرئ نفسها أمام زوجها فقط، لاكتفت في اتّهامها ليوسف بالاستفهام ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ ؟ دون أن تقترح أو تشير إلى نوع العقوبة.

و يكون هذا الغرض من هذا الاستفهام حينئذ الاستفسار، أي طلب معرفة العقوبة التي يحدّدها زوجها.

و لكن لمّا أشارت إلى زوجها بنوع العقوبة خرج استفهامها إلى غرض **التقرير و التنبيه**، أي : تقرير نوع العقوبة و تنبيه زوجها عليها. فيكون المعنى المتضمّن في استفهامها على هذا النحو : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

يقول **(ابن عاشور)**: « و ابتدرته بالكلام إمعانا في البهتان بحيث لم تتلعثم ، تخيّل له أنّها على حقّ، وأفرغت الكلام في قالب كلّي ليأخذ صيغة القانون، و ليكون قاعدة لا يعرف المقصود منها فلا يسع المخاطب الإقرار لها، و لعلّها كانت تخشى أن تكون محبّة العزيز ليوسف ـ عليه السّلام ـ مانعة له من عقابه فأفرغت له كلامها في قالب كلّي ، و كانت تريد بذلك أن لا يشعر زوجها بأنّها تهوى غير سيّدها و أن تخيف(يوسف) من كيدها لئلاّ يمتنع منها مرة أخرى[1]»

يفهم من قول **(ابن عاشور)** أنّ زوجة (العزيز) كانت سبّاقة في اتّهام يوسف ـعليه السّلام- زورا و بهتانا و بطلانا دون تلعثم حتّى تبرّئ ساحتها ، و تثبت التّهمة عليه ، كما أنّها لم تخصصه في اتّهامها له، أي لم تذكر اسمه إنّما استعملت الاسم الموصول العام[2] أو المشترك (من) حتّى يأخذ الحكم طابع الكليّة و الشموليّة و حدّدت نوع العقوبة و الجزاء. ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

أي: أنّه أي إنسان مهما كان يتجرّأ على زوجتك أو يتعرّض لها بسوء لابدّ أن يكون جزاءه السّجن أو العذاب الأليم. و بهذا أخذ الكلام صبغة قانونية و قاعدة تضليلية تجعل المتلقّي يقتنع به و لا يراوده فيه الشكّ.

إذ أنّ اتّهام (زليخة) ليوسف في الإطار العام و الشامل باستعمال الاسم الموصول العام (من)، و تحديدها للجزاء أو العقوبة التي يستحقّها ، محاولة منها لإقناع زوجها بصدقها و براءتها و إثبات التّهمة على يوسف ـ عليه السّلام- ، كما أنّها

(1) محمد طاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص256.

(2) و يسمى بالعام لأنه يشترك فيه المفرد و المثنى و الجمع ، و المذكر و المؤنث.

محاولة لإخافة (يوسف) من كيدهـــــا حتّى يقتنع بأنّها ذات سلطة و كلمها مسموعة، فلا يحاول أن يتملص أو يمتنع منها مرة أخرى.

و هذا ما يؤكده **(أحمد جمال الدين)** بقوله : « و(ما) في كلامها يحتمل أن يكون نفيا لمعنى : ليس جزاء من أراد بأهلك سوء إلاّ السّجن أو العذاب و حينئذ يخرج الكلام مخرج التّقرير و الإخبار . » و يحتمل أن يكون (ما) استفهامية : بمعنى أي لشيء جزاءه إلا السّجن كما تقول : من في الدّار إلا زيد؟ . و حينئذ يخرج الكلام مخرج تجاهل العارف . و تجاهل العارف هو سؤال المتكلّـــم عمّا يعلمه حقيقة تجاهلا منه لنكتة.

ثم يقول : « و مهما يكن من أمر هذا الأسلوب ـ إخبارا كان أو استفهاما ـ فإن امرأة (العزيـــــز) لم تصرح باسم (يوسف) و إنّما استخدمت الموصول العام(من) و لذلك لأنّها تريد تخويف (يوسف) تخويفا بثنيه عن ثباته في موقفه الرّافض للانصياع لإرادتها[1]» ، و فعلا كان لهـا مـا أرادت بدليل قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ [2]﴾ ، و المقصود بالآيات هاهنا هي الأدلّة التي تبرئ ساحة يوسف ـ عليه السّلام ـ من التّهمة الباطلة الملقاة على عاتقه.

ج-3-استفهام يوسف – عليه السّلام- للسّجينين:

قال تعالـــــــــــــــى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ [3]﴾

استهلّ يوسف ـعليه السّلام ـ قوله بالنّداء على السّجينين للفت انتباههـــــــما و استرعاء اهتمامهما لما سيأتي من القول، و نداؤه لهما (يا صاحبي السّجن) يعود إمّا لجهله اسميهما و إمّا للإشارة إلى الصّلة أو العلاقة التي أصبحت تربط بينهما فـــي السّجن، فهي صلة المماثلة في الضّراء و التي أصبحت تضاهي صلة القرابة[4].إذن فنداؤهما بهذه التّسمية (يا صاحبي السّجن) تذكير لهما بالصّلـــــــة أو العلاقة التي تربطهما ببعضهما البعض، و في هذا استمالة عاطفيّة تمهّد و تهيّئ الجو النّفسيّ لتقبّل الفكرة و الاقتناع بالرّسالة التي ستوجّه لهما من خلال الاستفهام

[1] أحمد جمال الدين : لغة الحوار في سورة يوسف، دراسة أسلوبية ، أقوال يوسف و إخوته و امرأة العزيز نموذجا، ص16
[2] سورة يوسف ، الآية 35
[3] سورة يوسف ، الآية 39
[4] ينظر محمد طاهر بن عاشور: التحرير و التنوير ، ج12 ص274

(ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ)؟ كما سبقت الإشارة إلى النّداء الوارد في لفظ (يا أبانا) من الآية 11 من سورة(يوسف) ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ ؟، يقول **(سيد قطب)** : « هو سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها و يهزّها هزّا شديدا ، إنّ الفطرة تعرف لها إلها واحدا ، ففيم إذن تعدّد الأرباب؟ .. إنّ الذي يستحق أن يكون ربّا يعبد و يطاع أمره ، و يتّبع شرعه هو الله الواحد القهار [1] و في ذلك ردّ لمعتقدهما و تقرير بإبطال دينهما و بناء على هذا فالاستفهام تقريري [2] ، و في هذا الاستفهام مخاطبة للعقل إذ لو كان هناك تعدّد للآلهة و الأرباب لتفرّقوا و اختلفوا و تنازعوا فيما بينهما في تسيير نظام الكون و شؤون الخلق ، و لسادت ـ بعد ذلك ـ الفوضى و اختل نظام الكون و الوجود ، بدليل قوله -سبحانه و تعالى -: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ [3]﴾ ، و يقول -عزّ و جلّ -في آية أخرى ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ ﴾ [4].»

إذن، فالغاية من توظيف سيّدنا يوسف ـ عليه السّلام- لهذا الاستفهام ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ هي تقرير و إثبات حقيقة تتمثل في وحدانيّة الله ، و نفي التّعدّد ـ تعدّد الآلهة -بغرض الإقناع * بها ,و الاقناع بها -أي بهذه الحقيقة ـ يقتضي ويستوجب إخلاص العبادة لله وحده دون سواه .

---

[1] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج12 ص1989

[2] ينظر محمد طاهر بن عاشور، المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

[3] سورة الأنبياء ، الآية 22

[4] سورة المؤمنون الآية 91

[5] * الغرض من توظيف الاستفهام التقريري هو الاقناع ، و للمزيد من التفصيل ينظر أسلوب الاستفهام ، في الفصل الثاني من هذه الأطروحة (الإقناع استراتجياته و أساليبه).

ج-4-استفهام يوسف لإخوته:

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [1]

فالاستفهام في قول يوسف ـ عليه السّلام ـ: ﴿ ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ﴾ غرضه التّرغيب: يرغب إخوته وتحفّزهم على الإتيان بأخيهم الصّغير للاستفادة من عطائه وجوده عليهم بالقمح.

وهذا ما يراه **(ابن عاشور)** حيث يقول : « ترغيب لهم في العود إليه ، وقد علم أنّهم مضطرون إلى العود إليه لعدم كفاية الميزة التي امتازوه ا لعائلة ذات عدد من النّاس مثلهم ، كما دلّ عليه قولهم بعد ذلك " ذلك كيل يسير"ودلّ قوله " خير المنزليـــن على أنّه كان ينزّل الممتازين في ضيافته لكثرة الوافدين على مصر للميزة والمنزل : المضيف ، وهذه الجملة كناية من الوعد بأن يوفي لهم الكيل ويكرم ضيافتهم إن أتوا بأخيهم » [2]

ويقصد **(ابن عاشور)** بالجملة الاستفهام الوارد في قول (يوسف)(أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾) فبلا شكّ أن إخوة (يوسف) يرون جميل صنيع يوسف ـ عليه السلام ـ مع ضيوفه الوافدين عليه من مختلف البلدان، ويتمثل هذا الصّنيع في حسن ضيافتهم ، وإغداقهم كرما وسخاء . وهذا ما سينالونه و يتحصّلون عليه هم أيضا إن استجابوا لطلبه وأحضروا أخاهم .

ويفهم ذلك عن طريق التّلميح و الإشارة بواسطة الكناية المتضمّنة في الاستفهام .

إذا سيّدنا (يوسف) حاول من خلال هذا الاستفهام إقناع إخوته بإحضار أخيهم الصّغير وإغرائهم وتحفيزهم بالكيل والإكرام وحسن الضّيافة .

---

[1] سورة يوسف الآية 59

[2] محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 13

ج-5-استفهام يعقوب – عليه السّلام- لأبنائه:

قال- سبحانه تعالى- : ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [1]

جاء جواب يعقوب ـ عليه السّلام ـ على طلب أبنائه ـ المتمثل في إرسال أخيهم الصّغير غير الشقيق معهم ليكتالوا ـ في شكل استفهام ﴿ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ ﴾ ؟

فهو **استفهام تضمّن معنى السّخرية و الإنكار** من طلبهم المؤكّد بحفظ أخيهم بقولهم : ﴿ ...فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾ [2] حيث ذكر هذا الكلام يعقوب ـ عليه السّلام ـ بالماضي الأليم ، بما فعلوه بيوسف ـ عليه السّلام ـ ، ذكره بخيانتهم ومكرهم بعد وعدهم له بحفظ أخيهم ورعايته ، إذ قالوا : ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ [3]

نفس العبارة تتكرّر ، ونفس التّأكيد ، ونفس السناريو ، فهل يمكن أن يثق بهم يعقوب ـ عليه السّلام ـ ويصدّقهم بعد الذي الحدث ؟! وكأنّ لسان حاله يقـــــول : ـ من خلال الاستفهام السّابق ـ : ألم يكفكم ما فعلتموه بيوسف بعدما أكدّتم حفظكم له ؟! ألا تستحون بالعودة إلى مثل هذا الطّلب من جديد بعد خيانتكم ومكركم ؟!.

يرى **(ابن عاشور)** : « أنّ جواب ـ يعقوب ـ عليه السّلام ـ يحتمل معنيين : المعنى الأوّل هو (إنّي آمنكم عليه كما أمنتكم على أخيه). »

والمعنى الثاني هو (ماذا أفاد ائتمانكم على أخيه من قبل حتّى آمنكم عليه؟).

والاستفهام إنكاري فيه معنى النّفي ، فهو يستفهم عن وجه التّأكيد في قولهم ﴿ وإنـــا له لحافظون ﴾ ، والمقصود من الجملة على احتماليها هو التفريع الذي في قوله ﴿ فالله

---

[1] سورة يوسف الآية 64
[2] سورة يوسف الآية 63
[3] سورة يوسف الآية 12

خير حفظا ﴾ [1] **أي** : خير حفظا منكم فإن حفظه الله سلم وإن لم يحفظه لم يسلم كما لم يسلم أخوه من قبل حين أمنتكم عليه [2]

يبدو أنّ المعنى الثاني الذي احتمله **(ابن عاشور)** ـ ماذا أفاد ائتمانكم على أخيكم من قبل حتى آمنكم عليه؟ ـ من استفهام يعقوب ـعليه السّلام ـ هل آمنكم عليـــــــه إلاّ كما آمنتكم على أخيه من قبل؟ ـ هو الأقرب إلى الصّحة من المعنى الذي احتمله **أولا**: ـ إني آمنكم عليه كما آمنتكم على أخيه ـ كون هذا الاستفهام تضمّن معاني الإنكار و النّفي و العتاب و السّخرية و التّهكم.

و لكنّ توكل يعقوب ـعليه السّلام- و ثقته به و إيمانه بقدره جعلوه يستجيب لطلب أبنائه المتمثل في إيذانه لهم باصطحاب أخيهم معهم إلى مصر ليكتالوا رغم استنكـــــــاره و غضبه و عتابه... بدليل تعقيبه على الاستفهام و استئنافه للكلام بقوله: ﴿ فالله خير حافظا و هو أرحم الراحمين ﴾.

إلاّ أنّ هذا التّوكل لم يمنعه من الأخذ بالأسباب ، فليس التّوكل أن تضع ثقتـــــك بالله و تنتظر قدره و تبقى قابعا في مكانك مكتوف الأيدي لا تحرّك ساكنا فهذا يسمّى تواكلا ـ و أمّا التّوكل إنّما يكون بعد السّعي و الأخذ بأسباب التّوفيق و النّصر مصداقا لقوله- سبحانه و تعالى-: ﴿ و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب ﴾ [3]

و لعلّ هذا الاستفهام الإنكاري في جواب يعقوب ـعليه السّلام- لأبنائه ﴿ هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل؟ ﴾ ـ باب من أبواب الأخذ بالأسباب ، و كذا في قوله ﴿قَال لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٦٦ [4]﴾

إذا جعل يعقوب ـ عليه السّلام- أمر موافقته على طلب أبنائه مشروطا بإتيانهم موثقا من الله ﴿قَال لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ ﴾ .

---

[1] " حفظا" مصدر منصوب على التمييز في قراءة الجمهور ـ وقرأه حمزة والكسائي وحفص " حافظان " على أنه حال من اسم الجلالة وهي حال لازمة في ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 16

[2] ابن عاشور : المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[3] سورة هود، الآية 88

[4] سورة هود ، الآية 66

* أي، لتقسمنّ لي بالله قسما يربطكم أن تردّوا عليّ ولدي إلاّ إذا أغلبتم على أمركم غلبا لا حيلة لكم فيه، و لا تجدي مدافعتكم عنه [2]،﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فقوله تذكير لهم بأن الله رقيب على ما وقع بينهم و هذا توكيد للحلف[3]

- و بهذا يكون يعقوب -عليه السّلام - قد أخذ بأسباب تحقيق الحماية و الأمن والسّلامة لابنه ، إذ أقام عليهم الحجة بقسمهم و إشهاد الله- سبحانه و تعالى- عليهم.

قال- سبحانه و تعالى -: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ [4]﴾.

يرى **(ابن عاشور)** : أنّ الغرض من هذا الاستفهام هو التّحكيم لأنّهم لا يسعهم إلاّ أن يعيّنون جزاء يؤخذون به ، فمن هذا تحكيم المرء بذنبه. و معنى ﴿ ما جزاؤه؟ ﴾ : « ما عقابه؟ » و ضمير « جزاؤه » عائد إلى الصّواع بتقدير مضاف دلّ عليه المقام ، أي جزاء سارقه أو سرقته ؟ ﴿قَالُوا جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ [5]﴾.

و المعنى أنّ من وجد في رحله الصّواع هو جزاء السّرقة ، أي تكون ذاته عوضا عن هذه الجريمة ، فيصير رقيقا لصاحب الصّواع ليتمّ معنى الجزاء بذات أخرى و ليس المراد قتله.

و جملة (فهو جزاؤه) توكيد لفظي لجملة(جزاؤه من وجد في رحله) لتقرير الحكم و عدم الإفلات منه.

إذا الغرض من هذا الاستفهام هو إقامة (يوسف) للحجّة على إخوته بجعلهم ينطقون هم بالحكم الذي يتقاضون به و يتحاكمون إليه في شريعتهم و قضائهم و نظام حياتهم ألا و هو أخذ السّارق أسيرا أو عبدا لدى المسروق له "و هنا ينكشف طرف التّدبير الذي ألهمه الله ليوسف ، فقد كان المتّبع في دين يعقوب -عليه السّلام- أن يؤخذ السّارق رهينة أو أسيرا أو رقيقا في مقابل ما يسرق . و لما كان إخوة(يوسف) موقنين بالبراءة فقد ارتضوا تحكيم شريعتهم فيمن يظهر أنّه سارق [6]"، و بهذا الكيد و التّدبير الإلهيين

* مجازا في الحالة التي لا يستطاع التغلب عليها " في محمد الطاهر بن عاشور" المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

[2] سيد قطب : في ظلال القرآن ج13 ص2017

[3] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التنوير ، ج13 ص20

[4] سورة يوسف ، الآية 74

[5] سورة يوسف الآية75

[6] سيد قطب، في ظلال القرآن ج13 مج 4 ص2019

استطاع (يوسف) أن يبقي أخاه معه دون إثارة أي شبهة أو شكّ في الأمر لدى إخوته، بل جعلهم يظنّون بأخيهم ظنّ السّوء و يتّهمونه بالسّرقة بدل الدّفاع عنـــــه ، و الأدهى و الأمر أنّهم يتّهمونه بالسّرقة هو و أخوه يوسف زورا و بهتانا و ظلمـــــا و هم أمامه ي حضرته و مجلسه ـ عليه السّلام ـ (۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ [1])

ج-6-استفهام كبير إخوة يوسف لإخوته: قال -عزّ من قائل- : ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠ [2]﴾

بعد أن يئس إخوة يوسف من محاولة استعادة أخيهم الصّغير و انتزاعه من قبضة يوسف عن طريق استعطافه بأنّ له أبا شيخا كبيرا و عرضهم بأن يأخذ أحدهم بدله : ﴿قَالُوا يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ [3]﴾.راح أكبرهم سنّا يذكرهم بالميثاق الذي أخذه عليهم أبوهم في الحفاظ على أخيهم الصّغير و ردّه إليه ﴿ ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ﴾ ؟ كما ذكرهم بجريمتهم السّابقة ضدّ (يوسف) ﴿ ومن قبل ما فرطتم في يوسف ﴾ و لهذا السّبب قرّر البقاء في مصر و عدم الرّجوع مع إخوته.

---

[1] سورة يوسف الآية 77
[2] سورة يوسف الأية 80
[3] سورة يوسف الآية 79/87

يقول **(ابن عاشور)** : « والاستفهام في ﴿ ألم تعلموا ﴾ تقريري مستعمل في التّذكير بعدم اطمئنان أبيهم بحفظه لابنه. »

وجملة ﴿ ومن قبل ما فرّطتم ﴾ جملة معترضة ، و(ما) مصدريّة ، أي تفريطكم في يوسف ـ عليه السّلام ـ كان من قبل الموثق ، أي فهو غير مصدّقكم فيما تخبرون به من أخذ (بنيامين) ، إذ لا يرضى لنفسه أن يبقى غريبا لولا خوفه من أبيه ،ولا يرضى بقيّة أشقّائه أن يكيدوا له كما يكيدون لغير الشقيق [1]

وتذكر الأخ الأكبر لإخوته بالميثاق وبما فعلوه بيوسف دون سواه يحتمل أمرين :

الأول : أن يكون يعقوب ـ عليه السّلام ـ قد أوصاه وكلّفه هو باعتباره الأكبر سنّا ، وربّما المسؤوليّة يتحمّلها ـ عادة ـ كبير إخوته ، فاستحيى أن يعود دون أخيه الصّغير ، بعد الميثاق أو القسم الذي أخذه عليهم والدهم ، خاصّة وأنّ هذه ليست الأولى ، فلقد فرّطوا في (يوسف) من قبل ، بعد وعدهم برعايته وحمايته والحفاظ عليه.

الثاني : ربّما كان له أبناء فشعر بعاطفة الأبوّة ،و عرف قيمة أبنائه ومنزلتهم في قلبه ، فأحسّ بتأنيب الضّمير ، وأدركته شفقة على والده الذي أصبح لا يطيق ولا يحتمل المآسي بتأنيب الضّمير ، بعد كلّ ما عاناه من أحزان أنهكت قواه ،وهموم هدّت بدنه نتيجة فقده ليوسف ـ عليه السّلام ـ .

وربّما تكون هذه الأسباب المجتمعة هي التي منعته من العودة مع إخوته إلى الدّيار، فيكون بقاءه في مصر كما يقول **(ابن عاشور)** علامة دالّة على صدق قولهم في سبب عدم رجوع أخيهم معهم أي أنّ يعقوب ـ عليه السّلام ـ سيؤوّل علامة بقاء ابنه في مصر بخوفه منه ،إذ لا يمكن لإخوته الأشقّاء أن يكيدوا ل ه مثل كيدهم لأخيهم غير الشقيق وهذه علامة دالّة على صدقهم .

إذاً بقاء (روبين) في مصر محاولة لإقناع أبيه بصدقهم هذه المرة وبالتّالي فعلامة البقاء هي أسلوب إقناعي.

والسّؤال الذي يطرح هنا هو ما الذي كان يقصده **(ابن عاشور)** بخوف الأخ الأكبر ليوسف من أبيه ؟

هل هو الخوف من العقوبة النّفسيّة ـ بعد عدم التّصديق ـ كالتّأنيب ,العتاب واللوم ؟ أم الخوف من العقوبة الماديّة كالضرب والسّجن مثلا ؟.

وأظنّ أنّ هذا الأخير مستبعد لأنّه لو كان كذلك لعاقبهم به إثر تفريطهم أو تضيعيهم ليوسف- عليه السّلام-

[1] محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 39 -40

ج-7-استفهام يوسف لإخوته عن جريمتهم:

وقال -جـــــلّ جلالـــــــه -: ﴿ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1].

جاء استفهام يوسف ـ عليه السّلام ـ بقوله : ﴿ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيـــــه إذ أنتم جاهلون؟ ﴾ ـ ردًّا على طلب إخوته المقرون بتوسّلهم واستعطافهم له بأن يقبل استبدال بضاعتهم بالقمح ،وإيفاء الكيل لهم والتصدّق عليهم. ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[2].

فالنّداء في قولهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ ﴾ للفت انتباهه إلى الحالة المأسويّة المزريّة التي آلوا إليها وهي معاناة الفقر والجوع ، ولفظة (ٱلۡعَزِيزُ) في التي هي لقب التعظيم تحمل طياتها استعطافا وتوسّلا ثمّ التّصريح بحالة ﴿ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ ، أي : ألم الفقر والجوع, محاولة لاستعطاف واسترحام يوسف والتّأثير فيه ليستجيب لهم ، وهذا الاستعطاف ﴿ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ ، تمهيد مؤثر نفسيّا وعاطفيّا يسهم ويدعـــــّم في عمليّة الاستجابة لطلبهم ﴿ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ ﴾ ثم التذكير بثواب الله -عزّ وجل- الذي يمنحه للمتصدّقين ﴿ إِن ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾ جاء تدعيما لطلبهم ومحاولة منهم لإقناع (يوسف) به .

---

[1] سورة يوسف الآية 89

[2] سورة يوسف الآية 88

يرى **(الزركشي)** أنّ الغرض من الاستفهام ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ ؟ هو تذكير [1] (يوسف) لإخوته بالجرائم التي ارتكبـــوها في حقّه ، إذ رموه في الجبّ وهو صبيّ صغير ، وباعوه بأبخس الأثمان ، وأبعدوه عن والده وعشيرته وأرضه ، وما فعلوه أيضا بأخيه الصّغير ، بعد المكيدة التي نصبها له، إذ أنّه بدل أن يدافعوا عنه راحوا يثبتون عليه التّهمة ويقذفون (يوسف) بالسّرقة ظلما وبهتانا حيث ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ [2] وهذا التّذكير مقرون بالعتاب والاستنكار والدّليل هو وصفه لهم بالجهل ﴿ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴾.

وأمّا **(ابن عاشور)** فيرى أنّ هذا « الاستفهام مستعمل في التّوبيخ و (هل) مفيدة للتّحقيق لأنّها بمعنى (قد) في الاستفهام ، فهو توبيخ على ما يعلمونه محققا من أفعالهم مع يوسف ـ عليه السّلام ـ وأخيه أي أفعالهم الذميمة بقرينة التّوبيخ [3]»

وما دام أنّ (هل) هنا بمعنى (قد) التي تفيد التّحقيق فإنّ الاستفهام تقريـــــري في قوله : ﴿هَل عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِۦٓ ﴾ ؟ بمعنى : قد علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه , و الغرض من التقرير هو التذكير على رأي **(الزركشي)** ، والتوبيخ على رأي **(ابن عاشور)** .

إذ الغاية من هذا الاستفهام التّقريري هو تذكير وتوبيخ إخوته على جرائمهم التي ارتكبوهـــا في حقّه وفي حقّ أخيه ،و كأنّ لسان حاله يقول : أبعد كل الذي فعلتموه بيوسف ، جئتم الآن تتوسّلون إليه وتستعطفونه بأن يوفي لكم الكيل ويتصدّق عليكم ؟! أفلا تستحيون؟!

استفهام إخوة (يوسف) ليوسف ـعليه السّلام- وتجدر الإشارة إلى أنّ استفهام يوسف ـ عليه السّلام ـ كان علامة توصّل بها إخوته إلى التّعرف عليه فجاء ردّهم على استفهامه في شكل استفهام : ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ

[1] الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج 2 ،ط1 دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1958 ص 340
[2] سورة يوسف الآية 77
[3] ابن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 47

أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1]

والاستفهام في قولهم ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ ﴾ ؟ تقريريّ كونهم أدركوا من استفهامه ـ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ؟- بأنّه (يوسف) أخوهم. والغاية من استفهامهم هي تأكيد التّقرير ، إذ المعنى المراد منه هو (إنّك لأنت يوسف) إثبات وتأكيد بحرف التّوكيد (إنّ) ولام الابتداء التي تفيد التّوكيد ، وضمير الرّفع المنفصل (أنت)،الذي أفاد التّوكيد أيضا هنا باعتباره بدلا من الضمير المتّصل (الكاف) في (إنّك) والاستفهام بالهمزة ﴿ أئنّك لأنت يوسف ؟ ﴾ زيادة في التّأكيد والتّقرير يقول **(ابن عاشور)** في تفسيره « بأنّ قولهم : ﴿ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ ﴾ يدلّ على أنّهم استشعروا من كلامه ثمّ من ملامحه ثم من فهم قول أبيهم لهم : ﴿ وأعلم من الله مالا تعلمون ﴾ إذ قد اتّضح لهم المعنى التّعريضيّ من كلامه فعرفوا أنّه يتكلّم مريدا نفسه ,وتأكيد الجملة بـ (إنّ) ولام الابتداء وضمير الفصل لشدّة تحقّقهم أنّه يوسف ـعليه السّلام - ,وأدخل الاستفهام التّقريريّ على الجملة المؤكّدة لأنّهم تطلّبوا تأييده لعلمـــهم به »[2]يفهم من قول **(ابن عاشور)** بأنّ إخوة يوسف تعرّفوا على أخيهم (يوسف) من خلال كلامه المتمثل في الاستفهام " هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلـــــــــون ؟ " ثم من ملامحه أي التّغيّرات الفيزيولوجيّة التي تطرأ على الوجه والجسد مصاحبة للحالات النّفسيّة والانفعاليّة،كتقلّص عضلات الوجه واحمرار الوجنتين وجحوظ العينين واقتران الحاجبين ، والارتعاش وما شابه ذلك .

ولابد أنّ يوسف ـ عليه السّلام ـ انتابته مثل هذه الحالات النّفسيّة أثناء استفهامه لإخوته الذي أراد به تذكيرهم بجرائمهم وتوبيخهم عليها فشعر بنوع من الغضب والحزن والأسف والحسرة ,ولاشكّ أنّ هذه الحالات النّفسيّة الانفعاليّة قد انعكست وارتسمت على ملامح وجهه وجسده ـ عليه السّلام ـ كشخوص البصر، وهزّ الرّأس وحركة اليدين، ونبرات الصّوت ،والآهات ،و التّنهيدات وغيرها .

---

[1] سورة يوسف الآية 90

[2] محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 48 - 49

وربّما تظهر هذه الملامح ضعيفة وقليلة نوعا ما كون يوسف -عليه السّلام- نبيّ يتّسم بالحكمة ،ويتحكّم في أعصابه ويكبح جماح نفسه وانفعالاتها لأنّه يتّصف بالصّبر والتّسامح والعفو، ودليل ذلك في الصّبر هو قوله ﴿ ....إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1].

أمّا التّسامح والعفو ففي قول الله تعالى على لسان يوسف -عليه السّلام- ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[2]

فقول (يوسف) المتمثل في الاستفهام والملامح المصاحبة له أمارتان تـــــــذكّر من خلالهما إخوة يوسف قول أبيه: الذي لم ينتبهوا إليه ساعتها ولم يتدبّروا معناه ﴿.... وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[3] تذكّروا بأنّ والدهم يعقوب - عليه السّلام- نبيّ يوحى إليه ولذلك هو أعلم منهم .فهو يعلم بأنّ الله رحيم بعباده يأبى الظلم ويظهر الحقّ ويزهق الباطل ولو بعد حين ولذلك كان إيمانه بالله كبير وثقته بالله قويّة ورجاءه فيه لا ينقطع ،بدليل قوله -عزّ وجل -على لسانه : ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.[4]

إذا كلام يوسف - عليه السّلام - و الملامح الفيزيولوجيّة مصاحبة له ،وتذكّر إخوة (يوسف) قول أبيهم - الذي ذكرها **(ابن عاشور)** على التّرتيب في قوله - علامات وأمارات استدلّوا بها على أخيهم يوسف - عليه السّلام -

قال -سبحانه وتعالى -: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[5].

---

[1] سورة يوسف الآية 90
[2] سورة يوسف الآية 92
[3] سورة يوسف الآية 86
[4] سورة يوسف الآية 87
[5] سورة يوسف الآية 96

لقد جاء استفهام يعقوب ـ عليه السّلام ـ في قوله : ﴿ أَلَم أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ؟ جوابا وردّا على قول أبنائه ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ [1].

يقول **(ابن عاشور)** : « جواب للبشارة لأنّها تضمنت القول ، ولذلك جاء فعل (قال) مفصولا غير معطوف لأنّه على طريقه المحاورات » [2].

والغرض من استفهام يعقوب ـ عليه السّلام ـ هو عتاب أبنائه على عدم تصديقه في أمله وتفاؤله بإيجاد يوسف ـ عيه السّلام ـ حيًّا ، حيث أنَّ ذكره ليوسف كان يغضبهم ويفقدهم صوابهم إلى درجة إغلاظهم له في القول :" تالله إنّك لفي ضلالك القديم " هذا من جهة, ومن جهة أخرى تذكيرهم بأنّ الله ـ سبحانه وتعالى- وهبه العلم كونه نبيّا يتنزّل عليه الوحي فيعرف به أمورا وأسرارا لا يمكن لأبنائه أن يدركوها بدليل قوله :" إنّي أعلم من الله ما لا تعلمون"ولذلك كان رجاؤه في الله لا ينقطع.
وفعلا يتحقّق رجاء يعقوب وتأتي البشرى بسماع الخبر السّعيد ، (يوسف) على قيد الحياة ، ويرتدّ له بصره .

كلّ هذه الأمور جعلت إخوة (يوسف) يقتنعون بنصرة الله للحقّ على الباطل فيعترفون بذنوبهم وأخطائهم، ويطلبون من والدهم أن يستغفر لهم ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ [3]﴾.

ولكنّ أباهم مازال متألّما وجريحا، ولم يلن قلبه بعد من ناحيتهم ـ رغم فرحته الغامرة وسعادته التي لا توصف بعد معرفته بأنّ يوسف ما زال حيّا يرزق ـ بدليل قوله تعالى على لسان يعقوب ـ عليه السّلام ـ ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ [4]﴾.

يقول **(سيد قطب)** : » وحكاية عبارته بكلمة (سوف) لا تخلو من إشارة إلى قلب إنسانيّ مكلوم "[5]،أي أنّ يعقوب ـ عليه السّلام ـ كونه مازال جريحا ومتألّما ممّا سبّبه

(1) سورة يوسف الآية 95
(2) محمد الطاهر بن عاشور ـ تفسير التحرير والتنوير ج 13 ص 54
(3) سورة يوسف الآية 97
(4) سورة يوسف الآية 98
(5) سيد قطب في ظلال القرآن ص 2028

له أبناؤه من معاناة وأحزان ، وظّف لفظة (سوف) التي تفيد المستقبل البعيد ليرجئ بذلك طلب أبنائه المتمثل في الاستغفار لهم إلى حين تطيب نفسه ، ويصفو قلبه ، وتلتئم جراحه وتخفّ آلامه وأحزانه ».

- وخلاصة القول أنّ الاستفهام غير الحقيقي في سورة (يوسف) على اختلاف أغراضه وغاياته - سواء أكان تقريرا أو إنكارا، عتابا أو توبيخا ، تنبيها أو تذكيرا - شكّل لبنة أساسيّة في تأسيس وبناء العمليّة الإقناعيّة داخل إطار حلقه الحوار سواء ما دار بين إخوة يوسف وأبيهم يعقوب - عليه السّلام - أو ما دار بينهم وبين أخيهم يوسف - عليه السّلام - أو ما دار فيما بينهم ،أي :إخوة يوسف مع بعضهم البعض وعلى هذا الأساس فإنّ أسلوب الاستفهام أسلوب إقناعيّ لا يقلّ أهميّة عن الأسالي ب الإقناعيّة الأخرى.

د- الإضمار (أو الإيجاز بالحذف):

إنّ أهمّ ما يميّز البلاغة العربيّة هو اعتمادها فنيّة أو تقنيّة الإضمار أو الإيجاز بالحذف حيث أنّه من بين التّعاريف الكثيرة للبلاغة هو ذلك التّعريف الموجز لـــها : « **البلاغة إيجاز** ».

ونجد هذه التقنية معتمدة أكثر في الخطاب القرآني وبخاصّة في القصّة القرآنيّة ، ولا سيما سورة (يوسف) التي نجد فيها هذه التّقنيّة منتهجة كثيرا ، وهذا بغرض عرض أحداث ومشاهد ، وطيّ وحذف أخرى ، حيث تتمّ الإشارة والتّلميح إلى بعض أحداث أو مشاهد القصّة دون التّعمق والتّفصيل فيها ،وقد يحذفها السّياق تماما ، مما يجعل المتلقّي - قارئا كان أو سامعا - يعمل قدراته العقليّة ، ومخيّلته محاولا استنتاجها والاستدلال عليها ، ولا يمكن للقارئ أن يكتشف هذا الإضمار أو الإيجاز للوهلة الأولى دون تفحّص وتعمّق وتحليل حيث أنّ قوّة التّرابط بين أحداث القصّة ، والنّسج المحكم لمشاهدها يجعل منها بنية واحدة لا خلل فيها ، وهذا ما يعكس جماليّة التّصوير وعبقريّة النّظم في قصّة يوسف - عليه السّلام - .

- مواطن الإضمار والإيجاز:

أولا: قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ [1].

[1] سورة يوسف الآية 15

إضمار لمراحل تنفيذ المؤامرة، وتقول الرّوايات : « أنّهم لما برزوا بـــــه إلى البريّة أظهروا له العداوة وأخذوا يضربونه ويهينونه وكلّما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلاّ بالإهانة والضّرب حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ....فقال (يهوذا) ـ وهو أكبرهم ـ : أما أعطيتموني موثقا ألاّ تقتلوه ؟ .... فربطوا يديه ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ردّوا عليّ قميصي أنواري به ، وإنّما نزعوه ليلطّخوه بالدّم ويحتـــــالوا به على أبيهم ...ودلّوه في البئر ، فلمّا بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه. ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي ، فنادوه فظنّ أنها رحمة أدركتهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم (يهوذا) » [1].

ثانيا : قال تعالى : ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ [2].

ففي هاتين الآيتين الكريمتين أضمر السياق الحوار الذي دار بين يوسف والوارد ، وبين إخوة يوسف والقافلة ، تقول الرّوايات :«أنّ الواردين قد أسرّوه من بقيّة السّيارة مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا أنّه قد عثر عليه ، فادّعوا أنهم اشـــــــــتروه من أصحاب الماء، وقيل إنّ إخوة يوسف هم من أسرّوا شأنه ، فكتموا أن يكون أخاهم وكتم هو الآخر شأنه مخافة أن يقتله إخوته وأختار البيع ، فعرضه إخوته على وارد الماء ، وشروه بثمن بخس أي : باعوه ، والضّمير في شروه ... إنّما هو لإخوته ، ذلك أنّ السيّارة استبشروا به» [3].

ثالثا: قال تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [4].

---

[1] الزمخشري : الكشاف ج21 ص 306 - 307

[2] سورة يوسف الآيتان 19 - 20

[3] ينظر محمد علي الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ط2 ،مج 2 دار القرآن بيروت 1981 ص 244

[4] سورة يوسف الآيتان : 19 - 20

أضمر السياق تفاصيل ترعرع يوسف ـ عليه السّلام ـ في بيت (العزيز) وظروف إقامته هناك ، منذ أن كان غلاما إلى أن بلغ أشدّه .[1]

ومن هنا يمكن للقارئ أن يتصوّر العيش الرّغيد والحياة السّعيدة التي حظـــي بها سيّدنا (يوسف) في بيت (العزيز) ، وطريقه معاملة زوجة (العزيز) له من الصـّـــغر إلى البلوغ .

رابـعا: قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

لم يثبت السياق القرآنيّ طبيعة « **الهمّ** » ولا طبيعة « **البرهان** »

فأمّا عن الهمّ يذهب المفسّرون إلى أنّه همّ نفس من يوسف ـ عليه السّـــلام ـ في مقابل همّ الفعل من امرأة (العزيز) ، فالتّصوير واقعيّ وصادق لحالة النّفس البشريّة في حال مقاومتها وضعفها ، والسياق القرآنيّ لم يفصّل في تلك المشاعر البشريّة المتداخلة والمتعارضة " نعم إنّ (يوسف) بشر مختار ،ومن ثمّة لم يتجاوز همّه الميل النّفسيّ في لحظة من اللّحظات فلمّا رأى برهان ربّه ....بعد لحظة الضعف الطارئة ، عاد إلى الاعتصام والتأنّي "[3] وللقائل أن يقول : لماذا لم يقل الحقّ : لقد همّـــت به ولم يهمّ بها ، حتى نخرج من تلك القضيّة الصّعبة ؟ ونقول لو قال الحقّ ذلـــك لما أعطانا هذا القول اللّفظة المطلوبة ...إذ لو قال الحقّ سبحانه (إنّه لم يهم بـــها) لكان المانع من الهمّ إمّا أمر طبيعي فيه (عضوي) ،أو أمر طارئ ، لأنّها سيّدته ، فقد يمنعه الحياء عن الهمّ بها ، ولكن الحقّ -سبحانه وتعالى- يريد أن يوضـّـــــــح لنا أنّ يوسف كان طبيعيّا وهو قد بلغ أشدّه ونضجه ولولا أن رأى برهان ربّه لهـــمّ بها [4].

وأمّا البرهان فقد تضاربت حوله الرّوايات، فقيل إنّه رأي صورة يعقوب ـ عليه السّلام ـ وقيل إنّ جبريل حضر لتحذيره، وقيل إنّه إشارة كان يشار بها عند مجيء العزيز لبيته بمثابة الجرس للبيت.....غير أنّ الأكيد أنّ هذا البرهان هو التثبـــيت من عند الله والنّجاة من السوء [5].

---

[1] قيل إن سنه حين باعته السيارة حوالي الرابعة عشر تنقص ولا تزيد بدليل لفظ غلام، وحين راودته امرأة العزيز كان فتى ربما في الخامسة والعشرين وكانت هي في الأربعين ، ينظر سيد قطب : في ظلال القرآن مج 4 ص 1979 ويرى الزمخشري أن سن يوسف حين اشتراه العزيزكان سبعة عشر سنة ، وأقام عنده ثلاث عشر سنة ، واستوزره الربان وهو ابن الثلاثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة ، ينظر الكشاف : ج 2 ص 309.

[2] سورة يوسف 24

[3] سيد قطب :في ظلال القرآن ج 12 ص 1981

[4] ينظر محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي ج 11 ص 6911 -6912

[5] ينظر : الزمخشري : الكشاف ص 309 ، وعبد الكريم الخطيب القصص القرآني ص 41

وفي قوله تعالى : ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾[1] .

لم يثبت السّياق كيفيّة حضور الشاهد هل كان مع (العزيز) حين عودته وشهد الحدث ؟ أم أنّ العزيز استدعاه وعرض عليه الأمر .

كما يقع في مثل هذه الأحوال عندما يستدعي الرّجل كبيراً من أسرة المرأة ويطلعه على ما رأى "[2]

وربّما يكون الأمر مصادفة أي : زيارة مفاجئة للشاهد ، وتبقى كلّ هذه الاحتمالات واردة .

خامسا :قال تعالى : ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾[3].

حذف السياق تفاصيل كيد النّسوة ليوسف ـ عليه السّلام ـ ويمكن للمتلقّي أن يتصوّر كيفيّة إغرائهنّ ليوسف بإبراز المفاتن والمحاسن ، أو عن طريق

---

[1] سورة يوسف الآيات : 26 - 27 - 28

[2] سيد قطب : في ظلال القرآن ص 1982

[3] سورة يوسف الآيات : 31 إلى 34

النّظريّات والابتسامات واللّمسات و التمايلات ، وكلّ ما من شأنه أن يجذب الرّجـــل (ويثير لديه الرّغبة الجنسيّة) ويثيره جنسيّا لارتكاب الفاحشة .

كما حذف تفاصيل صرف كيد النّسوة بعد أن دعا (يوسف) ربّه و استجاب له ﴿ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1].

قيل « أنّ هذا الصّرف قد يكون بإدخال اليّأس في نفوسهنّ من استجابته لهنّ... أو بزيادة انصرافه عن الإغراء حتى لا يحسّ في نفسه أثرا منه ,أو بهما جميعا » [2] و يمكن للمتلقّي أن يصوّر طرقا و أساليبا أخرى لصرف كيد النّسوة.

سادسا: دخول يوسف -عليه السّلام -السّجن ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [3]، لم يشر السياق في هذه الآية الكريمة إلى ملابسات دخول يوسف- عليه السّلام -إلى السّجن ، و كيف تمّ اتّخاذ هذا القرار الجائر في حقّه ، تقول الرّوايات «أنّ من سجنه هو (العزيز) و أهله نزولا عند رغبة زوجته التي كان يعمل برأيها ، لعلّها أمرت بذلك انتقاما لكبريائها من يوسف - عليه السّلام- و طمعا في أن يذلّله السّجن لها، و ربّما كان ذلك انتقام (العزيز) من زوجتـــــــــه في شخص يوسف -عليه السّلام- بسبب جماله و افتتان زوجته و غرامها به كما حذف السياق ما يثبت هويّة الفتيين كاسميهما ، و أسباب سجنهما و طبيعة عملهما في قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [4] ، يقال أنّهما

---

[1] الآية 34 من سورة يوسف
[2] سيد قطب: "في ظلال القرآن" ص1985
[3] الآية 35 من سورة يوسف
[4] الآية 36 من سورة يوسف

خبّاز و ساقي الملك أنّهما بمحاولة سمّ الملك فأدخلا السّجن ساعة دخله يوسف -عليه السلام-»[1]، و أضمر السياق أيضا ردّة فعل الفتيين بعد تأويل (يوسف) لرؤيتهما. كما حذف السياق تفاصيل السّنوات التي قضاها يوسف -عليه السّلام- في السّجن و هي سنوات طوال بأيّامها و لياليها ، و يمكن تصوّره "يعود المرضى و يداوي الضعفاء و ينصح الأشقيّاء و ينشر عليهم مع كل صبح فيضا من علمه و قبسا من فصله حتّى أحبّه المسجونو ن ... و اطمأنّت نفوسهم إليه" [2]، فدعاهم إلى كلمة التّوحيد و عبادة الله - سبحانه و تعالى - و التّقوى و الابتعاد عن الشرك و عبادة الأوثان.

سابعا:قال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾[3] ﴾.

أضمر السياق تفاصيل رجوع الرّسول بتأويل الرّؤيا و إعادتها على الملك حتّى أعجب بيوسف ورغب في إحضاره و يمكن أن يتصوّر القارئ شهادة السّاقي ليوسف بمكارم الأخلاق و حسن السّيرة لدى الملك ممّا شوّقه إلى التّعرف عليه و ملاقاته.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ

[1] ينظر الزمخشري، الكشاف ص9/3
[2] محمد أحمد جاد المولى، قصص القرآن ، ص100
[3] سورة يوسف من الآية 48/45

ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾[1] ﴾.

حذف السياق في هذه الآيات إرسال الملك رجاله في طلب النّسوة و ما يكـــــــون قد انتابهنّ من مشاعر الخوف و الفزع و الذعر إثر ذلك.

ثامنا:قال تعالى :﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۖ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾[2] ﴾.

لم يثبت السياق الحوار الذي دار بين يوسف ـ عليه السّلام ـ والملك كاملا ، ويمكن للمتلقّي أو القارئ أن يتصوّر أنّ (يوسف) قد قصّ على الملك قصّته ، فأشفق عليه ، وأعجب به .

تاسعا :قال تعالى :﴿ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[3].

حذف السياق تفاصيل الحديث بين (يوسف) وإخوته إلى أن طلب منهم إحضار أخيهم قيل : « إنّه ادّعى الشكّ بأمرهم، فربّما كانوا عيونا على بلاده، فكان

---

[1] سورة يوسف الآية 53/50

[2] سورة يوسف الآيات : 45 -55 -56

[3] سورة يوسف الآيات : من 58 إلى62

ردّهم : معاذ الله ، نحن إخوة بنو أبٍ واحد ، وهو الشيخ .... نبيّ اسمه (يعقوب) ، قال : كم أنتم ؟ قالوا : اثني عشر ، فهلك منّا واحد، فقال : فكم أنتم ههنا؟ قالوا : عشرة، قال: فأين الأخ الحادي عشر ؟ قالوا: عند أبيه يتسلّى به عن الهالك، قال: فمن يشهد لكم أنّكم لستم بعيون و أنّ الذي تقولون حقّ؟ قالوا: إنّنا في بلاد لا يعرفنا أحد فيشهد لنا، قال: ائتوني بأخيكم حتّى أصدّقكم » [1].

عاشرا:قال تعالى :﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩ [2]﴾

أوجز السياق تفاصيل انفراد يوسف بأخيه و التّعاون فيما بينهما، و يمكن للمتلقّي أن يتصوّر لقاء كهذا بعد فرقة سنين و انقطاع الأخبار، إنّه الفرح و الدّموع ، و كلّ واحد يفرغ ما في جعبته من حديث لأخيه ، « و لابدّ أنّ (يوسف) قد أخبر أخاه و أخذ موافقته في أمر المكيدة و الفخّ الذي يريد أن ينصبه لإخوته ، لذا لم يثبت السيّاق أيّ قول أو حركة للأخ حين انّهم بالسّرقة[3]».

أحد عشر:قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦ [4]﴾.

في هذه الآية الكريمة إضمار و حذف للحوار الذي يمكن أنّه دار بين البشير و يعقوب -عليه السّلام -، قيل: « أنّه سأله : كيف يوسف؟ فقال: هو ملك مصر... على أيّ دين تركته؟ قال:على دين الإسلام. قال : الآن تمّت النّعمة[5]».

أيضا هناك بعض الإضمارات بين أحداث القصّة و مشاهدها منها:

1- في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ص330
[2] سورة يوسف ، الآية 69
[3] ينظر ، الزمخشري ، الكشاف، ج2، ص333
[4] سورة يوسف ، الآية 96
[5] الزمخشري، الكشاف ج2 ص343

تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ [1]﴾

أضمر السياق أمر موافقة و إذن من يعقوب -عليه السّلام -على طلب أبنائه باصطحاب (يوسف) ، فما كان له أمام إلحاح و إصرار أبنائه على طلبهم – بعد أخذ و ردّ في الكلام ، و تأكيد على حمايته و الحفاظ عليه – إلاّ أن وافق و سمح لهم بأخذه على غير رضا و قناعة و اطمئنان ، و يفهم ذلك من خلال قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ [2]﴾.

هناك فراغ و إيجاز و حذف بين مشهد طلب الإذن باصطحاب (يوسف) ، و مشهد تنفيذ المؤامرة ، و العجب في الأمور هو ذلك التّناسق و البناء الجيّد بين هذه المشاهـــد فلا يوجد أي خلل في بنية النّص ، حتى أنّه لا يكاد يشعر القارئ بهذا الإيـــجاز أو الإضمار ، و هذا نوع من الإعجاز اللّغويّ و البلاغيّ في القرآن الكريـــم في القصص القرآنيّ و يعجز أيّ مخلوق مهما كان عن مجاراته و محاكاته.

2- قال تعالى ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ [3]﴾

[1] سورة يوسف ، الآية 11-14
[2] سورة يوسف الآية 15
[3] سورة يوسف ، الآية 20/16

لم يفصل السياق في المدّة الزّمنيّة التي لبثها يوسف- عليه السّلام- في البئر ، قيل أنّه مكث به ثلاثة أيام [1] و على القارئ أن يتصوّر الحالة النّفسيّة و الجسديّة لصبيّ صغير داخل جبّ مظلم موحش (الوحدة ، الحزن، الجوع، العراء، البرد، الألم...) بعدما كان في حضن والده آمنا مطمئنّا .. و لكنّها العناية الإلهيّة و ابتلاء الله لأنبيائه و أصفيائه.

3- ما بين المراودة و انتشار الخبر :من قوله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ [2] ﴾

حذف السياق كيفيّة انتشار خبر مراودة (يوسف)عن نفسه خارج البيت و وصوله إلى النّسوة في المدينة و من هنّ هؤلاء النّسوة ؟ « قيل: إنّ النّسوة كنّ خمسا و هنّ

[1] ينظر محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، ص244
[2] سورة يوسف ، الآية 23-30

زوجات السّاقي و الخبّاز و صاحب الدّواب و صاحب السّجن و الحاجب، قيل: إنّها استكتمتهنّ سرّها فأفشينه عليها، و فضحنها بقولهنّ: إنّها عشقت عبدا [1]» و ربّما يكون الخبر قد شاع من طرف الخدم و الجواري في بيت العزيز.

4- ما بين تحسّس و إحساس يعقوب -عليه السّلام -و لقاء (يوسف)، من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

[1] الزمخشري، الكشاف ، ج2 ص316

وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ [1]﴾

حذف السياق تفاصيل رحلة (يعقوب) و أبنائه من البادية إلى مصر ، و هناك يتصوّر أيضا القارئ حالة يعقوب ـ عليه السّلام- بعد أن أتاه البشير (السعـــادة و الفرح الشّديدان)و لهفة اللّقاء و الشوق إلى (يوسف) ربّما تدفعه إلى استعجال القافلة و عدم الاستراحة في الطّريق / طلب السّير ليلا و نهارا. »

و خلاصة القول أنّ الإضمار أو الإيجاز بالحذف من الأساليب البلاغـــــــيّة و الإعجازيّة التي يختصّ بها القصص القرآنيّ و لا سيما قصّة يوسف ـ عليه السّلام- ، حيث لا يجد القارئ أو السّامع أيّ تفكّك أو تصدّع في بنية القصّة و تسلسل أحداثها أو خلل في معانيها ، حتّى أنّه لا يمكن للمتلقي أن يكتشف هذا الإضمار أو الحذف الوهلة الأولى ، إلاّ بعد التدبّر و التأمّل و التعمّق في أحداثها و معانيها.
و رغم الإضمارات التي أشرت إليها آنفا إلاّ أنّ سورة (يوسف) بقيت محافظـــــــة على وحدتها الموضوعيّة و هي « أن يكون العمل الفنّيّ متماسكا إلى أبعد درجات التّماسك بحيث أنّ كل جزئيّة تفضي إلى التي تليها ، و لا يمكن حذف جزئيّة واحدة لأنّ العمل الفنّيّ يستغني عنها، أو إضافة جزئيّة أخرى يفتقر إليها[2]»
إذن ففي سورة (يوسف) تمّ التّركيز على أهمّ الأحداث أو الأمور البارزة و المهمّة التي تخدم الغاية من القصّة المتمثلة في القيم السامية التي تخدم البشريّة كـ:

- توطيد العقيدة.
- الصّبر على الابتلاء و المحن.
- التضرّع إلى الله- سبحانه و تعالى- بالدعاء.
- التوجيه الاقتصاديّ و كيفيّة النّفقة و الادّخار لوقت الحاجة.
- العفّة و الشرف.
- العدل و الأمانة.
- التّسامح و العفو عند المقدرة.

[1] سورة يوسف ، الآية 100/87
[2] أحمد نول، سورة يوسف، درسه تحليلية ص 97

- التّوجّه إلى الله بالحمد و الثناء، و شكره على نعمه .

أمّا التّفاصيل التي أضمرها السياق فهي مجال خصب للقارئ كي يعمل عقلـــه و مخيّلته في تصوّرها و اكتشافها.

ه-النّظم اللغويّ و التّناسق الفنّيّ

و يتمثل في توظيف اللّغة و حسن صياغتها و جودة وجزالة ألفاظها و عبقريّة تراكيبها.

و يظهر في ذلك الانسجام و التّوافق و التأقلم بين ألفاظ و عبارات و آيات سورة (يوسف).

انطلاقا من هذا التّمهيد المشوّق قبل البدء في القصّة ، و الأحرف المقطّعة في بداية السّورة ، و في ذلك البناء القصصيّ المحكم حيث التّرابط بين أحداثها و التي يتولّد بعضها عن بعض في إطار تسلسلها الزمنيّ ، يتشكّل نصّا متكاملا تسوده الوحدة الموضوعيّة فلا يشعر المتلقي بأيّ خلل أو نقص فيه، رغم الإيجاز بالحذف ، و رغم وجود آيات لا تشكّل أحداثا للقصّة ، إلاّ أنّها تبدوا جزءا لا يتجزأ منها ، لأنّها تكمّلها و تبيّن الغرض منها, و تتمثل في الفواصل و التّعقيبات التي يتخلّلها كما يظهر الانسجام بين فواصل الآيات بانتهائها بنفس الحرف.

كما يظهر في التقابلات و المتضادات بين الألفاظ و العبارات ، و في الاستعمالات اللّغوية بصفة عامّة.

ه-1-التّمهيد للقصّة:

و يتمثل في الآيات الثلاث الأولى التي تستفتح بها السّورة و تقدّم العرض القصصيّ قال تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣[1]﴾. فهي تمهيد مشوّق و جذاب ينبّه المتلقي و يشدّه و يرغّبه في الاطلاع على القصّة و معرفة

[1] سورة يوسف ، الآيات ، 1-2-3

تفاصيلها ، و يجعله يتحضّر و يتهيّأ نفسيّا ليعيش في جوّها و يتفاعل مع أحداثـــــها « و هو ما يشبه اللّحظات التي تسبق رفع السّتار على خشبة المسرح ، فالعرض وشيك أن يبدأ ، و على المتفرّجين أن يستعدّوا للمشاهدة[1]».

لكنّ هذا التّشبيه الذي ضربه **(عبد الكريم الخطيب)** بين التّمهيد القرآنيّ و اللّحظات التي تسبق رفع السّتار على خشبة المسرح ضعيف و غير لائق و غير جائز، و إنّ كان غرضه منه الإفهام و توضيح الفكرة و تقريبها إلى ذهن المتلقي. فشتّان بين هـــــذا و ذاك, فالتّمهيد القرآنيّ أقوى تأثيرا و جاذبيّة للمتلقي ، و أكثر تحضيرا نفســـــــيّا له من اللّحظات التي تسبق رفع السّتار في المسرح ، لأنّ هذه الأخيرة من إبداع الإنسان فتأثيرها و فاعليّتها محدودين بمحدوديّة قدراته العقليّة التي وهبه الله إياها.

أمّا التّمهيد القرآنيّ فهو من صنع و إبداع الخالق ـ جلّ و علا ـ فحاش لله أن يضاهيه و يحاكيه إبداع بشر لأنّه كلام الله المعجز في أسلوبه و بأسلوبه فلا وجه للمقارنـــة ـ إذن ـ بين ما هو من إبداع الخالق و ما هو من إبداع المخلوق، كيـــــــــــف لا؟! و المبدع البشريّ في حدّ ذاته هو إبداع الخالق ـ تبارك و تعالى-.

فلمّا يقرأ أو يسمع المتلقي الآيات الثلاث الأولى من سورة يوسف يشعر بلهفة شديدة و رغبة كبيرة للتطلّع إلى معرفة أحسن القصص الذي كان عنه النّبي ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ غافلا.

ه-2-الحروف المقطّعة (الر): ظلّت هذه الحروف العربيّة المقطّعة في بداية السورة القرآنيّة تشكّل إعجازا قرآنيّا و علميّا، لازال قائما لحدّ السّاعة رغم أنّها اللّبنات الأساسيّة و التي تشكّل ألفاظ آي القرآن الكريم، و مادّتها الخام، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢[2]﴾ ، إلاّ أنّ المفسرين ـ قديما و حديثا ـ عجزوا و اختلفوا في فهم معانيها و إدراك دلالتها ، و بقيت تفسيراتهم لها عبـــارة عن تخمينات و اجتهادات فرديّة و شخصيّة ليس إلاّ!، "فمنهم من قال : هي ممّا استأثر الله بعلمه و ردّوا علمها إلى الله و لم يفسّروها(...) و منهم من فسّرهـــــا و اختلف هؤلاء في معناها ، فقال **(عبد الرحمن بن زيد أسلم)** :« إنّما هي أسماء السّور(...) و قيل: هي فواتح افتتح الله بها القرآن (..)، و قيل هي اسم من أسماء الله

[1] عبد الكريم خطيب، القصص القرآني في منطوقه، ص400

[2] سورة يوسف ، الآية 02

تعالى، و عن **(ابن عبّاس)**: هو قسم أقسم الله به، و هو من أسماء الله تعالى(...) ، و قال آخرون: بل إنّما ذكرت هذه الحروف في أوائل السّور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن ، و إنّ الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنّه مركّب من هذه الحروف المقطّعة التي يتخاطبون بها ، و قد حكى هذا المذهب **(الرّازي)** في تفسيره عن **(المبرد)** وجمع من المحققين و حكى **(القرطبي)** عن **(القرّاء قطرب)** نحو هذا: و قرّرها **(الزمخشري)** في كشّافه و نصره أتّم نصر، و إليه ذهب الشّيخ الإمام العلاّمة **(أبو العباس ابن تيمية)** (...): كلّ سورة افتتحت بالحروف فلا بدّ أن يذكر فيها الانتصار للقرآن و بيان إعجازه و عظمته[1]».

و كذلك هذه الحروف المقطّعة في بداية سورة (يوسف) تدلّ و تثبت عربيّة القرآن الكريم لمواجهة مشركي مكّة، الذين كانوا يدّعون أنّ أعجميّا كان يعلّمه لمحمّد -صلّى الله عليه و سلّم-، و أنّ هذا القرآن هو وحي أنزله الله- سبحانه و تعالى- عليه ـ صلوات الله عليه و سلامه ـ لينبّئه بما كان عنه من الغافلين [2]﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ۝٣[3]﴾ ، « هذه الجملة تتنزّل من جملة «إنّا أنزلناه قرآنا عربيّا » منزلة بدل الاشتمال ، لأنّ أحسن القصص يشتمل عليه إنزال القرآن.

«... فهو أحسن من غيره من جهة حسن نظمه و إعجاز أسلوبه و بما يتضمّنه من العبر و الحكم،و كلّ القصص في القرآن هو أحسن القصص في بابه وكلّ قصّة في القرآن هي أحسن من كل ما يقصّه القاصّ في غير القرآن و ليس المقصود بأحسن القصص أنّ قصّة يوسف -عليه السّلام- هي أحسن قصّة في القرآن الكريم[4]».

و أمّا عبارة ﴿ و إن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ ، فهي بمثابة التّنبيه للنبيّ - صلّى الله عليه و سلّم- على أنّه كان و قومه في غفلة عن مثل هذه الموضوعات و القصص الّتي أشار إليها القرآن الكريم، و لم يتوجّهوا إليها [5] حتّى نزّل الله - سبحانه و تعالى- عليه القرآن الّذي شمل أخبار السّابقين ، و قصص الأنبياء و المرسلين و الصّالحين بما في ذلك قصّة يوسف- عليه السّلام-.

---

[1] ينظر ابن كثير، تفسير ابن كثير ، مج1 ج1 ص36-39

[2] ينظر سيد قطب ، في ظلال القرآن الكريم، مج4 ج12 ، ص1949

[3] سورة يوسف، الآية 3

[4] ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص202 - 204

[5] ينظر : سيد قطب: في ظلال القرآن ، ج12، مج4، ص1970

إذن، في ذلك دلالة على أنّ مادة هذه التّفصيلات لم تكن في السّجل الأدبيّ للحياة العربيّة في الجاهليّة، حتّى يمكن لظانّ أن يظنّ أنّ القرآن الكريم إنّما قد أعاد صياغتها في قالب جديد ، أو أبدعها إبداعا جديدا(...)، أمّا ما كان من ابتداء السّورة بقوله تعالى: ﴿ ألر ﴾ ، فذلك ما لا يخفى جماله في توكيد أنّ النّزلات بهذه التّفصيـــــلات لم تمرّ عبر اللّغة العبريّة ، أو الآراميّة، أو السريانيّة، أو الحبشيّة، أو القبطيـــّـــة، أو الهيروغليفيّة، أو المسماريّة، أو غيرها من لغات الشّرق الأدنى (للغرب)، إنّما كانت من اللّوح المحفوظ عربيّة خالصة سائغة للقارئين و السّامعين و المتدبّرين [1].

و تشكّل هذه الأحرف الثلاثة ﴿ ألر ﴾ - أيضا- نصف ﴿ الرؤيا ﴾ التي هي قطب الرّحى في قصّة (يوسف) و من المعالم البارزة.

ه-3-الفواصل و التعقيبات:

و المراد بها تلك التّعليقات التي تعقب أحداث و مشاهد القصّة ، و الغرض منها هو الإيمان بوحدانيّة الله - سبحانه و تعالى- و الاتّعاظ و الاعتبار و الاقتداء و استلهام الدّروس من قصّة يوسف- عليه السّلام-.

فمنهج القرآن الكريم في عرضه القصصيّ لا يدع المتلقّي ينسى-في أي مرحلة من مراحل القصّة- الغاية أو الغرض الذي من أجله سيقت , ألا و هو الدعوة إلى توحيد الله, و تنزيهه عن الشرك , و الإقرار بقدرته , فينبّه من حين إلى حين بذلك .

و لهذا مزجت القصّة بما ليس منها من أحداث ، في شكل فواصل و تعقيبات متجانسة إلى حدّ كبير مع هذه الأحداث ، متمّمة لمعناها ، تأتي لتقرير حقيقـــة أو عظة أو توجيه و حثّ أو غيرها ، و دورها حفظ الفكر من التشتـــــّت مع أحداث القصّة فينسى الغاية أو العبرة منها و هي سمة القرآن الكريم. [2]

و هذه التعقيبات أو المنبّهات تشكل مع أحداث قصّة (يوسف) بنيّة واحدة متكاملـــة ممّا يجعل القارئ أو المتلقّي لا يشعر بأي انقطاع أو خلل فيها، و منها قوله تعالـــى:

﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ ﴾ [3]

---

[1] محمد علي أبو حمدة: في التذوّق الجمالي لسورة يوسف، صص44-45

[2] ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن ، تأملات علمية و أدبية في كتاب الله مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1996 ص120

[3] سورة يوسف: الآية 07

فالغرض من هذه الآية هو التّنبيه على ضرورة التدبّر في أحداث القصّة لاستعاب الدّروس و العبر منها ، و الإيمان بوحدانيّة الله- سبحانه و تعالى- بعد اكتشاف قدرته -عزّ و جلّ- في إظهار الحقّ و نصرة المظلومين و الضّعفاء و تمكين عباده المتّقين المخلصين ، و فضح كيد المجرمين الظالمين.

و قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾[1].

تنبّه هذه الآية على قدرة الله- سبحانه و تعالى- في تمكين يوسف - عليه السّـــلام- من بعد ضعف و إذلال ، فبعد محنتي الجبّ و السّجن يتقلّد منصب الجاه و السّلطة ، فيصبح عزيز مصر و أمين خزائنها ، و يتلذذ بنعيم الدّنيا و متاعها إلاّ أنّ الله - سبحانه و تعالى- يذكّر عباده المؤمنين المتّقين بأنّ ما ينتظرهم في الآخرة خيـــــر من متاع الدّنيا الزّائل لأنّ نعيم الآخرة دائم غير زائل : ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾[2] .

و منها ما دلّ على تأييده - سبحانه و تعالى- لعباده المتّقين المخلصين بإلهامهم الأفكار و الحلول أمام المشكلات و المآزق التي تعترضهم في حياتهم كما ألهم يوسف -عليه السّلام- بالفكرة و الطّريقة التي تمكّنه من إبقاء أخيه عنده ، و هذا لأنّ علم البشر محدود ، فينتج عنه العجز، و أمّا علم الله مطلق غير محـــــــدود ، و قد أحاط بكلّ شيء علما: ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾[3].

---

[1] سورة يوسف: الآية 56
[2] سورة يوسف: الآية 57
[3] سورة يوسف: الآية 76

و أتى الله بهذه المنبّهات عقب الأحداث رغم دلالتها الضمنيّة في ثنايا القصّة رحمة بمن قصّرت أفهامهم عن إدراك ما وراء القصّة (الغاية منها)، و حرصا منه -سبحانه و تعالى- على تعميم الفائدة و تحصيلها بإظهار ما ورد فيها من عبر و عظات .[1]

- و من هذه المنبّهات ما جاءت على لسان يوسف -عليه السّلام- متضمّنة في قوله: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2] هي التّعقيب و التّنبيه لأنّها تفيد العموم و الشمول و لا تقتصر على إتيان الفاحشة أو خيانة الآخرين في أعراضهم و شرفهم و فيها تحذير و وعيد لكلّ ظالم بالخسران و سوء المصير.

- و بعد كشف (يوسف) لهويّته أمام إخوته راح يذكر و ينبّه بالأجر العظيم الذي سيناله المتّقون الصابرون عند ربّهم : ﴿... قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۖ ﴿٩٠﴾﴾[3].

- فيوسف -عليه السّلام - كان من المتّقين لله و الصابرين على البلاء فجزاه أجره الله في الدّنيا قبل الآخرة، و هكذا كلّ من يتّق الله و يصبر على الابتلاءات و المصائب و يحتسب الأجر عند الله يؤجر و يثاب لأنّ العبارة أفادت العموم و الشمول أيضا.

- و منها ما جاء على لسان يعقوب - عليه السّلام- في سياق دعوته لأبنائه إلى البحث عن (يوسف) و أخيه ، و استقصاء أخبارهما و نهيهم عن اليأس من روح الله: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟

---

[1] ينظر : عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ص 161-162

[2] سورة يوسف: الآية 23

[3] سورة يوسف : الآية 100

مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1]

ففي قوله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ تنبيه لأبنائه على أنّ اليأس من روح الله هو من شيم و صفات الكافرين، إلاّ أنّ هذا التّنبيه جاء عامّا و شاملا ، فالمؤمن إذا ما ابتلاه ربّه بنائبة أو كرب ، صبر و حمد ربّـــه، و انتظر فرجه ، لأنّه يؤمن بالقضاء و القدر خيره و شرّه ، و أنّه في هذه الحياة الدّنيا امتحان و اختبار ، قال تعالى: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[2]

و بعد هذه الفواصل و التّنبيهات التي تخلّلت أحداث القصّة ، تأتي التّعقيبات المتنوّعة بعد القصّة، و في ختام السّورة للبرهنة على صدق الرّسالة التي جاء بها محمّد - صلّى الله عليه و سلّم- و لتثبيت قلبه في الدّعوة إلى الحقّ و مواجهة الكفّـــار و المشركين ، و إقامة الحجّة عليهم قصد إقناعهم أو إفحامهم و تبكيتهم.

و تمثّل التّعقيب الأوّل بالرّدّ على تكذيب قريش للنبيّ -صلّى الله عليه و سلّم- بالوحي إليه، و بتقرير مأخوذ من هذا القصص الّذي كان عنه غافلا إذ لم يحضر وقائعه: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[3] . يتوافق هذا التّعقيب مع ما جاء في تقديم القصّة:

---

[1] سورة يوسف: الآية 87

[2] سورة الملك: الآيتان : 1-2

[3] سورة يوسف: الآية 102

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾[1].

و كلاهما - التّقديم و التّعقيب- يشكّلان تأثيرا فعّالا لتقرير و توكيد الحقيقة في مواجهة المعترضين و المكذبين. ثمّ يعقب ذلك تخفّف الضّغط على قلب النبيّ - صلّى الله عليه و سلّم - و تثبيت قلبه و طمأنته بتهوين أمر المكذبين على نفسه بكشف عنادهم و إصرارهم على الشّرك و غفلتهم عن آيات قدرته- سبحانه و تعالى- المثبتة في الكون ، و هي حسب الفطرة السّليمة في التّنبّه إلى دلائل الإيمان و الاستماع إلى الدّعوة و البرهان ، ثمّ توعّدهم بعذاب من الله مباغت و هم في غفلة من أمرهم : ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2]

ثم يلي ذلك توجيه الرّسول- صلّى الله عليه و سلّم- إلى حدّ تحديد طريقه و تميّزها و انفرادها عن كلّ طريق: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[3].

و تختم السّورة بالتّنبيه على العبر التي سيقت عبر القصص القرآنيّ كلّه، تثبّتا و تسريّة و بشرى للنبيّ - صلّى الله عليه و سلّم- و القلّة المؤمنة معه، و تذكيرا و عظة و تحذيرا للمشركين ، و تقريرا لحقيقة الوحي و صدق الرّسول- صلّى الله

(1) سورة يوسف: الآية 03
(2) سورة يوسف: الآية 103-107
(3) سورة يوسف: الآية 108

عليه و سلّم- [1]:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾[2].

و خلاصة القول من هذه الفواصل و التّنبيهات و التّعقيبات ، هي الدّعوة إلى الإيمان بالله - سبحانه و تعالى - و توحيده و التّحذير من الشرك و الظلم و فساد العقيـــدة ، و ترغيب عباده المتّقين المخلصين في جنّته ، و ترهيب الكفّار المشركين و الظالمين من العذاب الشديد و سوء المصير، فالغرض منها -إذن- هو الإقناع عن طريق التّنبيه و التّذكير و التّحذير و التّرغيب و التّرهيب.

ه-4-التّقابلات:

و تتمثّل في المتضادّات اللّغوية الثنائية بين الكلمات و العبارات في أقوال الأطراف المتحاورة، و التي تفيد تقويّة و توضيح المعاني بغرض تحقيق الإقنـــاع بين الطرفين المتحاورين.

و توظّف هذه الثنائية الضدّية في قول الواحد- أيضا- و هي ما يصطلح عليه في علم البلاغة بالطّباق* و المقابلة بهدف توضيح المعنى و إقناعه برأيه و فكرته.

---

[1] ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن الكريم ، مج4، ج12، ص1966-1968

[2] سورة يوسف: الآية 109-111

* الطباق: يتمثل في علاقة التضاد بين كلمتين، إما مثبتين و سمي طباق إيجاب، و إما إحداهما مثبتة و الأخرى منفية و سمي طباق سلب.

أما المقابلة: تتمثل في علاقة تضاد بين عبارتين، و أثرهما: تقوية و توضيح المعنى، لأن المعاني بأضدادها تتّضح.

و من هذه التّقابلات:

1- ما جاء في الحوار الذي دار بين إخوة (يوسف) بشأن اصطحاب أخيهم يوسف- عليه السّلام- للّعب و التّنزه مؤكّدين على حمايته و المحافظة عليـــه و تردّد يعقوب- عليه السّلام- في ذلك خوفا على ابنه، و حزنا على فراقـــه: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾﴾[1] =/= ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾[2]

2 -بين أخذهم لأخيهم (يوسف) صباحا، و عودتهم مساء: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾[3] =/= ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾[4]

و حجّتهم هنا ضعيفة ، إذ كيف يدّعون بـأنّهم جماعة و سيحمون أخاهم من الذئـــب و لمّا أخذوه عادوا مساء (ليلا) مخدوعين بأنّ الذئب أكله، و هي الحجّة التي كان يتخوّف منها يعقوب- عليه السّلام- و عودتهم ليلا محاولة منهم لتضليل والدهم كي يصدّقهم ، كما أنّهم كانوا يشكّون بأنّه سيصدّقهم في ادّعائهم بأنّ الذئب أكله، لذلك حاولوا إقناعه بتوظيف المقابلة في قولهم : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ≠ وَلَو كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[5]

3 -ما جاء في تبادل الاتّهام بين امرأة (العزيز) و يوسف -عليه السّـــــــلام-:

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ =/= ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي

[1] سورة يوسف: الآية 13
[2] سورة يوسف: الآية14
[3] سورة يوسف: الآية 15
[4] سورة يوسف: الآية 16
[5] سورة يوسف: الآية 17

عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ [1]﴾

اتّهمت امرأة (العزيز) يوسف -عليه السّلام- بالباطل مقترحة العقاب الذي يستحقّه بغرض إقناع العزيز بصدقها ، و إخضاع(يوسف) لها بالقوّة حتّى لا يمنع عن تحقيق رغبتها و الاستجابة لها مرّة أخرى (مستقبلا)، و يوسف -عليه السّلام- يدافع عن نفسه ، و يتّهم امرأة العزيز بمراودته عن نفسه محاولا إقناع العزيز بحقيقة ما يقول ، و هنا يتدخّل الشّاهد ليفصل في الأمر و يحسم القضيّة: ﴿ ...وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ =/= وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

- أدّى التّقابل بين هاتين العبارتين تناسقا فنّيّا على مستويات ثلاث:

1 – على مستوى المواقف:(أراد بأهلك سوءا=/= هي راودتني)

2- على مستوى الدّليل:(قدّ من قبل =/= قدّ من دبر).

3-على مستوى الافتراض أو الحكم (صدقت و هو من الكاذبين =/= كذبت و هو من الصادقين).

و لا يخفى ما لهذا من إيقاع مطرب على الآذان و الأفهام ، فضلا عن إجلاء الحقائق[3]. لقد أسهمت التّقابلات المنطقيّة التي وظّفها الشّاهد في حسم الموقف لصالح يوسف -عليه السّلام - و إدانة امرأة (العزيز) ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[4]

---

[1] سورة يوسف: الآيتان25-26

[2] سورة يوسف: الآيتان 26-27

[3] ينظر: الزمخشري: الكشاف، مج2، ص316

[4] سورة يوسف: الآية 28

4 -ما جاء في قـــــول النّســـــــوة حيــن رأينه: ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا =/=إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[1]، و توحي هذه المقابلة بمدى انبهار و ذهول و إعجاب النّسوة بجمال و بهاء يوسف -عليه السّلام-.

5 -ما جاء على لسان يوسف - عليه السّلام- حين دعوته صاحبي السّجن إلى الله : ﴿يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ =/=أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾[2]

أراد يوسف- عليه السّلام - بهذه المقابلة تقويّة و توضيح المعنى الذي يريد توصيله إلى السّجينين عن طريق مخاطبة الجانب العقليّ فيهما بتوظيف الاستفهام الإنكاري، قصد إقناعهما بوحدانيّة الله - سبحانه و تعالى- فهل تعدّد الآلهة الذي يؤدّي إلى الفرقة و النّزاع و الصّراع خير أم عبادة الله الواحد القهّار و خالق كل شيء؟!.

6 -ما جاء في نصيحة يعقوب - عليه السّلام- لأبنائه بخصوص الدّخول على عزيز مصر: ﴿وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ ≠ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴿٦٧﴾ ﴾[3]، تعكس هذه المقابلة مدى حبّ يعقوب - عليه السّلام- لأبنائه إذ ينهاهم عن الدّخول من باب واحد ، و يأمرهـــــــم بأن يدخلوا من أبواب متفرّقة خشية أن يصيبهم أيّ مكروه.

7 -في موقف تزكيّة الله-عزّ و جلّ- لنبيّه يعقوب- عليه السّلام- على غالبيّة النّاس في العلم : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ ≠ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾[4]، توحي هذه المقابلة بفضل الله-عزّ و جـــــــــلّ-

(1) سورة يوسف: الآية 31
(2) سورة يوسف: الآية 39
(3) سورة يوسف: الآية 67
(4) سورة يوسف: الآية 68

8 -على يعقوب -عليه السّلام- بأن أتاه العلم و خصّه على أكثريّة النّـــــــاس ، و أنّ أغلبيّة النّاس يجهل هذه الحقيقة، حقيقة أنّ يعقوب -عليه السّلام- أعلم منهم لأنّه يوحى إليه.

9 -ما جاء في ردّ يعقوب -عليه السّلام - على أبنائه حين عاتبوه على ذكر يوسف -عليه السّلام- الذي يكاد يودي بحياته من شدّة الحزم و الحســـرة:

﴿...وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ =/=مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[1] ، أراد يعقوب -عليه السّلام- من هذه المقابلة أن يوضّح و يبيّن لأبنائه مدى تعلّقه و إيمانه باللّه و بقدرته ، و لهذا لا ييأس من رحمته و لا ينقطع رجاؤه فيه، و هذا فضل من الله عليه إذ أتاه العلم و أنّهم لهذه الأمور لا يعلمون. « فهو يعلـــم من حقيقة ربّه و من شأنه ما لا يعلمه هؤلاء المحجوبون عن تلك الحقيقة بذلك الواقع الصّغير المنظور »[2]، فهو ينبّههم إلى قصور عقولهم عن إدراك المقاصد العليا ، فهم أقلّ و أدنى مرتبة من أن يعلموه و يلوموه لأنّ له علم النبوّة »[3]

10 - مـــــــا ورد في رؤيا المـــــلك : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ≠ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ ≠ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[4] ، هذه المتضادّات وضّحت الفكرة و المعنى ليوسف -عليه السّلام- فكانت بمثابة المفاتيح التي مكّنته من تأويل رؤيا الملك.

11 - طباق الإيجاب، الذي ورد في مناجاة يوسف- عليه السّلام- لربّـــــه:

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ

---

[1] سورة يوسف: الآية 86

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، مج4،ج13، ص2026

[3] ينظر: ابن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، ج13، ص45

[4] سورة يوسف: الآية 43.

فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾[1].

بين { السّماوات ≠ الأرض / الدنيا ≠ الآخرة } ⟸ هذان الطّباقان يعكسان قوة إيمان يوسف -عليه السّلام-

ه-5-فواصل الآيات:

هي انتهاء الآيات بنفس الحرف تباعا، فينتج عن ذلك نغم موسيقي ترتاح لـــه الأذن، و تأنس له النّفس ، و يطمئنّ له القلب، و هو ما يصطلح عليه في علم البلاغة بالسّجع.

و هذا الأثر النّفسي الذي يتولّد عن تذوّق السّجع و الإحساس بالجمال من شأنـــــــه أن يجذب المتلقّي و يشدّ انتباهه لفهم الرّسالة و الإقناع بها.

و أمّا الحروف التي شكّلت فواصل الآيات في سورة (يوسف)، فأربعة و هي:

(النّون، الميم، الرّاء، اللام).

و يمكن إحصاء عدد هذه الحروف ، و الآيات التي وردت فيها في الجدول الآتي:

الحرف	رقم الآية	عدد الآيات
اللام	66	1
الراء	65-39	2
الميم	-95-84-83-76-72-55-53-50-34-31-28-25-06 100-98	15
النون	في باقي الآيات	93

و يتبيّن من الجدول أنّ حرف (النّون) هو الذي شكّل الفاصلة الأساس في سورة (يوسف) لأنّه الأكثر دورانا، و هو من أغنى الحروف إيقاعا و نغما موسيقيّا، و يليه حرف (الميم) و هما حرفا الغنة[2]

ه-6-حسن استعمال الألفاظ و جماليّة التّعبير:

[1] سورة يوسف: الآية 101

[2] ينظر: أحمد نوفل : سورة يوسف ،دراسة تحليلية ص24 ، عن مريم سعود ، البعد التصويري في القرآن الكريم، سورة يوسف نموذجا ص106

و يتمثّل في تناسق الألفاظ و توافقها و تجاورها شيوعا و غرابة و حسنا و عبقريّة في عمليتي التّوظيف و التّركيب ، « إنّ الذي يمعن النّظر في النّظم القرآنيّ يلاحظ التّناسق الكامل و التّآلف التّام بين العبارات القرآنيّة و المعنى الذي يراد بيانه و توضيحه ، فالألفاظ في النّظم يلائم بعضها بعضا، و هي كلّها متوجّهة إلى الغرض المنشود ، بحيث إذا كان المعنى غريبا، كانت ألفاظه غريبة ، و إذا كان المعنى معروفا مستحدثا ، كانت الألفاظ تناسبها »[1]، و من هذه الاستعمالات و التّعبيرات في سورة (يوسف) مايلي:

1 -ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨ ﴾[2].

فما أجمل هذا التّعبير القرآنيّ في توظيف للفظة(كان) بصيغة التّذكير، و فصلها عن لفظة (آيات) بفاصل زمانيّ و مكانيّ ، و هذه الصّيغة -(التذكير)- أقرب إلى التّوكيد و أمتّ نسبا بلفظة (لقد).

و ما أجمله في توظيف لفظة (إذ) إذ كانت أداة فنّيّة رائعة للتّوطئة إلى سرد القصّة ، و في عبارة ﴿ أحبّ إلى أبينا منّا ﴾ تركيب بالغ الجمال، فائق الحسن، ناتج عن تناسق الألفاظ و توافقها و تجاورها.

فكان فيها من الانسيابيّة و الموسيقى الدّاخليّة ما جعل لحروف الجرّ طعما مميّزا، هذه الأخيرة ما كانت لتكون بأحسن من مثل هذا السّياق و هذا التّعبير و هذا التّأثير في تغيير العواطف و المواقف[3].

2 -ما جاء على لسان إخوة (يوسف) تعبيرا عن استغرابهم و تعجّبهم من حالة والدهم الذي تملّكه الحزن الشديد على يوسف - عليه السّلام- حين تذكّره في موقف ضياع أخيه : ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ

---

[1] مصطفى مسلم، النظم القرآني ، جزالته و تناسقه ،الموقع : WWW.Vb-alfris.net

[2] سورة يوسف: الآية 7-8

[3] ينظر محمد علي أبو حمدة: في التذوق الجمالي لسورة يوسف، ص62

تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [1]، فالقسم باستعمال حرف (التّاء)هو الأقلّ شيوعا عند عامّة النّاس مقارنة بحرفي (الباء) و (الواو)، فهما الأعرف عند الكافّة و الأكثر دورانا على الألسنة.

و توظيف لفظة (تفتأ) من أغرب أخوات كان و أقلّها استعمالا ، و مـــــا زاد في غرابتها مجيئها بصيغة المضارعة و تجريدها من حرف النّفي- فالشائع أنّها تأتي بصيغة الماضي مقرونة بحرف النّفي (ما فتئ).

و لفظة (حرضا) هي أغرب الألفاظ الدّالة على الهلاك [2] بالإضافة إلى تكرار صوت (التّاء) الذّي يجعل كلامهم أشبه بالتأتأة ، و هي تردّد صوت التـــــّاء على اللّسان. [3]

الآية ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾:

و علّل **(فاضل السّامرائي)** مجيء لفظة(تفتأ) مجرّدة من حرف النّفي (لا) مخالفة للقاعدة النّحويّة بقوله : « إنّما آية سورة (يوسف) هي الوحيدة التي تفيد النّفي و لم يذكر فيها حرف النّفي، لماذا؟ الذين أقسموا هم إخوة (يوسف)، ومن المقـــرّر في النّحو أنّ الذكر يفيد التّوكيد ، و الحذف أقلّ توكيدا، فعلى ماذا أقسموا ؟ أقسمـــوا أنّ أباهم لا يزال يذكر (يوسف) حتّى يهلك، فهل هم متأكّدون من ذلك؟ أي، هل هم متأكّدون أنّ أباهم سيفعل ذلك حتّى يهلك؟ وهل حصل ذلك؟،كلاّ لم يحصـــــل [4]»، فعدم تأكّدهم - إذن- من هلاك والدهم هو محاولة منهم لتحذيره و تنبيهه ، حذفوا حرف النّفي (لا).

لماذا (تفتأ) دون أخواتها ، مثل: لا تبرح، لا تنفكّ، لا تزال، لأنّ لفظة (تفتأ) تـدلّ على معنى : النّسيان و السّكوت و الإطفاء ، و قد وردت في هذه الآية متضمّنة لكلّ هاته المعاني ، فيعقوب - عليه السّلام- لم تنطفئ نار شوقه على ابنه يوسف- عليه

---

(1) سورة يوسف : الآية 85

(2) ينظر: مصطفى مسلم: النّظم القرآني، جزالته و تناسقه. ينظر: أحمد جمال الدّين : لغة الحوار في سورة يوسف، دراسة أسلوبية ص12

(3) أحمد جمال الدّين : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) فاضل السّامرائي : أسرار البيان في التعبير القرآني ص01

السّلام- و لم ينساه ، و لم تسكن جراحه و آلامه على فراقه [1]. ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ ﴾[2] .

و أمّا عن دلالة تذكير الفعل(قال) في قولـــــه: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ فذلك لأنّ فاعله (نسوة) جمع تكسير دالّ على القلّة ، و جمع التّكسير - بحسب القاعدة النّحوية- يقبل التّذكير و التّأنيث، أي : يجوز تذكيـــــــره و تأنيثه، فإن دلّ على الكثرة يؤنّث عامله(الفعل)، و إن دلّ على القلّة فيذكّر، و لمّا كان جمع التّكسير (نسوة) هنا في هذه الآية دالاّ على القلّة ، باعتبار هؤلاء النّسوة هنّ حاشية امرأة (العزيز)- جاء الفعل (قال) مذكّرا على خلاف – مثلا: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[3]، فإنّ الفعل (قالت) جاء مؤنّثا ، لأنّ جمع التّكسير (الأعراب) دالّ على الكثرة. [4]

إذن على رأي **(السّامرائي)** ، لو كان القول صادرا عن كلّ نساء المدينة أو عن جلّهن لجاء الفعل (قال) مقترنا بتاء التّأنيث ، و السّؤال الذي يطرح هنا، هو : لو جاءت لفظة (نسوة) معرّفة بالألف و اللاّم ، أو لفظة (الأعراب) نكرة، أفلا تختلّ قاعدة التّأنيث و التّذكير في الفعل (قال)؟

ه-7-جماليّة البناء القصصيّ:

شكّلت (يوسف) بنية موحّدة مكتملة ، إذ تحقّق فيها التّرابط و الانسجام وفق منهجيّة التّقديم و التّأخير و العرض و الخاتمة. فهي القصّة الوحيدة في القرآن الكريم جاءت

---

[1] ينظر: المرجع نفسه ص47

[2] سورة يوسف: الآية 84

[3] سورة الحجرات: الآية 14

[4] فاضل صالح السامرّائي: أسرار البيان في التعبير القرآني، ص07

كاملة في سورة واحدة و سمّيت باسمها على عكس بقيّة القصص التي تعدّد و تكرّر ذكرها في عدّة سور ، كقصّة موسى مثلا.

تبنى الحبكة السرديّة في سورة(يوسف) على طبيعة منطق الرّوابط بين شخصيّات القصّة و تسلسل الأحداث المنطقيّ ، إذ تتولّد عن بعضها البعض، و تتعاقب و تتطوّر شيئا فشيئا، حتى يصل بها السّارد إلى قمّة الصّراع و التوتّر ، ثم يعود بها في حركة إياب للأخذ بموقف سابق لبنائه ، و السّير به قدما في معترك الأحداث السرديـّـــة ، أو الشروع في بلورة موقف سرديّ آخر(...)، فبعد التّمهيد المشّوق للقصّة ، يشرع في عرض أحداثها ، فكانت البداية خطيئة و معصيّة، و النّهاية اعتراف بالخطيئـــــة و توبة و مغفرة ، و ما بين البداية و النّهاية صراع شديد برز في شكل ثنائيّات متضادة: الحبّ و الكره، الخير و الشر، الشهوة و العفّة، اليأس و الفرج، المـــــرض و الشّفاء، و هي ثنائيّات أعطت للبنية السّردية شحنات عاطفيّة و ثراء لغويّا و عمقا دلاليّا.[1]

و خلاصة القول أنّ الأحداث في سورة يوسف تتابعت و تعاقبت في شكل ثنائيّات متضادّة وفق نسق قصصيّ اتّسم بالوحدة و الموضوعيّة، انطلاقا من رؤيا (يوسف) -عليه السّلام- في طفولته إلى غاية تحقّقها بأن صار عزيز مصر ، و سجد له أبـــواه و إخوته سجود التّحيّة.

[1] ينظر بلقاسم دفه: بنية الخطاب السردي في سورة يوسف، دراسة سيميائية الموقع :.WWW.maamri-12010.y007.com

الفصل الرّابع : الاستدلال و المحاججة في سورة يوسف

من الأساليب التي تستخدم في الإقناع أثناء العمليّة التّواصليّة و الحواريّة أسلوبي الاستدلال و المحاججة.

فالاستدلال أسلوب منطقيّ عقلانيّ يقوم أساسا على القياس و الاستقراء و التّمثيل و الاستنتاج. أمّا الحجاج فهو أسلوب عقلانيّ ـ أيضا ـ يعتمد فيه صاحبه على تقديم الحجّة البليغة و الدّامغة و البرهان القاطع لإقناع المتلقّي برسالته أو فكرته أو وجهة نظره.

و على غرار ما تضمّنه و اشتمل عليه القرآن الكريم و قصصه من أساليب استدلال و برهنة ، و استنتاج و محاججة و إقناع بصفة عامّة، جاءت سورة يوسف ، و قصّته ـ عليه السّلام ـ حافلة بهذه الأساليب المنطقيّة و الأدلّة العقليّة ، بالإضافة إلى التّأثيرات النّفسيّة ، و الانفعالات العاطفيّة التي تتخلّلها أو تعقبها أثناء العمليّة التّواصليّة الحواريّة ، و التي تخدم كلّها موضوع الإقناع ، و من هذه الأساليب مايلي:

1- حجاج إخوة يوسف لأبيهم:

لمّا شعر إخوة (يوسف) بميل والدهم يعقوب ـ عليه السّلام ـ إلى يوسف ـ عليه السّلام- و أخيه و حبّه الزائد أو المفرط لهما و تقريبهما منه تملّكتهم الغيرة ، و اعتبروا ذلك ظلما و إجحافا في حقّهم ، و اتّهموا أباهم بالضلال المبين ، كونه فضّل أخاهم الصّغير غير الشقيق عنهم، و أحبّه أكثر منهم و هم جماعة ـ و إن كان هذا أمرا طبيعيّا لدى عامّة النّاس أنّهم يقرّبون الصّغير و يشعرونه بالحنين و يداعبونه و إلى ما هنالك- .

و لقد أدّت بهم هذه الغيرة العمياء و النّفس الأمّارة بالسّوء و وسوسة الشّيطان إلى التّفكير و الإقدام على نصب أو تدبير مكيدة للتخلّص من يوسف ـ عليه السّلام ـ حتّى تخلوا لهم السّاحة، و يظفروا بحبّ والدهم وحدهم. ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾

أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [1].

و افتتحوا قولهم بلام الابتداء التي تفيد التّوكيد قصد تحقيق الخبر ، أي: بهدف توكيد لازم الخبر (**لازم الفائدة***) ، المتمثّل في ظنّهم و اعتقادهم بأنّ أباهم يحبّ يوسف ـ عليه السّلام ـ و أخاه أكثر منهم ، و لا أحد منهم كان يشكّ في ذلك، و لكنّهم لم يكونوا على نفس درجة الحسد و الغيرة لأخويهما ، بدليل أنّهم اختلفوا في قتل يوسف ـ عليه السّلام ـ كما سيأتي لاحقا، فكان هذا الطّرح من بعضهم لتأجيج نار الغيرة و الحسد لدى بقيّة الإخوة ضدّ أخويهما، و هذا لغرض إقناع بعضهم عن بعض بفكرة الكيد و التّخلص من يوسف ـ عليه السّلام ـ[2].

فكيف يفعل أبوهم ذلك و هم العصبة و الأكبر سنّا « و العصبة هم الجماعة التي تعصب بهم الأمور و تجابه بهم الشدائد» [3]، في حين أنّ يوسف ـ عليه السّلام ـ و أخاه غلامان صغيران لا نفع منهما، فأيّ عقل في هذا؟!

---

[1] سورة يوسف: الآية 8- 18

[*] الخبر في البلاغة نوعان: حقيقي و غير حقيقي، فغير الحقيقي هو الذي يخرج إلى أغراض بلاغية متعدّدة تفهم من سياق الكلام، أمّا الحقيقي فهو نوعان: فائدة الخبر و لازم الفائدة، فأما الأول: فائدة الخبر: و هو أن يسمع المخاطب أو المتلقي خبرا كان يجهله كأن يقول القائل : نزل الوحي على محمد- صلى الله عليه و سلم ـ و هو في الأربعين من عمره ، و هو يعلم بأنّ السامع يجهل الخبر، و أما الثاني لازم الفائدة ، و هو أن يقدم المتكلم المخاطب خبرا و هو يعلم بأنه يعلمه ، كأن يقول الأستاذ للطالب المجتهد : أنت طالب مجتهد.

[2] ينظر ابن عاشور :التحرير و التنوير ، ج12، ص220

[3] الزمخشري ، الكشاف ، ص304

هكذا كانوا يفكّرون، هكذا كانوا يقدّرون الأمور، حتى تجرّؤا على والدهم و نعتوه بأنّه في ضلال مبين، أي: أنّه مخالف للصّواب، و ضالّ في تفضيل حبّ يوسف ـ عليه السّلام ـ و أخيه على حبّهم[1].

و قولهم :﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨﴾[2]، كان بمثابة مقدّمة تأثيريّة في نفوس السّامعين للامتثال للمطلوب و الإقتناع به و هذه خاصيّة من خصائص فنّ الخطابة ، حيث يفتتح الخطيب كلامه بمقدّمة يحاول من خلالها التّأثير في المتلقين و تهيئتهم نفسيّا ليتقبّلوا و يقتنعوا بفكرته أو بما يريده منهم، و هذا التّأثير النّفسيّ يغني الخطيب عن الكلام و جمل كثيرة من بيان العلل و الفوائد[3].

إذا كانت مقدّمة الخطبة الأدبيّة التي هي من صنع و إبداع العقل البشريّ لها هذا الدّور التّأثيريّ في إقناع المتلقّين على اختلاف قوّة تأثيرها من خطبة إلى أخرى و على حسب قدرات الخطيب الأدبيّة و الإبداعيّة ، و مكتسباته العلميّة و المعرفيّة، فإنّ المقدّمة القرآنيّة ـ إن صحّ التّعبير ـ أرقى و أعظم منها ، و أكثر تأثيرا و إقناعا لأنّها من صنع و إبداع الخالق ـ جلّ في علاه ـ

فلا وجه للمقارنة ـ إذن ـ بين إبداع الخالق و إبداع المخلوق ! إذ المخلوق المبدع هو في حدّ ذاته من إبداع الخالق.

إذن فمباشرة بعد هذا المقدّمة القرآنيّة التي أدّت إلى شدّ انتباه السّامعين (إخوة يوسف) و توفير جوّ الاستعداد النّفسيّ لديهم لتقبّل الاقتراح يأتي الطّلب من أحدهم :

﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾[4] و هذا بتوظيف أسلوب الأمر « و الأمر مستعمل في الإرشاد»[5] و إرشاد بعضهم للبعض الآخر خاصّة غير المتحمّسين منهم أو المتردّدين في إلحاق الأذى بيوسف ـ عليه السّلام ـ ، بغرض إقناعهم بضرورة التّخلص منه بإحدى الطريقتين إمّا بالقتل أو« بطرحه في أرض نائيّة مقطوعة المفضي في الغالب

---

(1) ينظر مريم سعود، البعد التصويري في القرآن الكريم، سورة يوسف نموذجا، مذكرة ماجيستير كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر 2006ص115

(2) سورة يوسف: الآية 8

(3) ينظر : ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ص 222-223

(4) سورة يوسف، الآية 09 .

(5) ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص223

إلـى المـوت»[1] و كـلا الطّـريقتين أو الخيـارين المقتـرحين مأسـاويّان و يؤدّيـان إلـى هـلاك يوسف ـ عليـه السّـلام ـ!، فبئس الطّالب و المطلوب!، و كلّ هذا الكيد و المكر و التّصرف اللاّعقلانـــــيّ و اللاّأخلاقيّ ضدّ أخيهم و والدهم ، و الذي يتعارض مع الدّين و الضمير الإنسانـــيّ و العرف ،سببه الغيرة القاتلة و الحسد و الحقد و وسوسة الشيطان الذي زيـّـــن لهم سوء عملهم في إلحاق الأذى أو التخلّص من يوسف ـ عليه السّلام ـ ،و حجـّتهم في ذلك هي الاستئثار بحبّ والدهم بعد إزاحة(يوسف) عن طريقهم ، و فصـــــله عن والده « بدليل قولهم: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي: يصبح قلبه خاليا من حبّه ليوسف عندما يغيب عنه و لا يراه ، فيتحوّل حبّه إليكم ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾أي: بعد الجريمة تتوبون و تصلحون ما أفسدتم بارتكابها و هذه ليست توبة و إنّما هي كيد الشيطان الذي يتربّص بالإنسان إغراء و إغواء ، فيدفعه إلى ارتكاب المحرّمات و المعاصي . أمّا التّوبة الحقيقة فهي: النّدم على الخطيئة التي ارتكبها الإنسان غافلا أو جاهلا و الإقلاع عنها و العزم على عدم الرّجوع إليها ،و أمّا التّوبة التي تعدّ سلفا قبل ارتكاب الجريمة لمحو و إزالة آثارها و نتائجها ، فليست بالتّوبة ، و إنّما هي تبرير لارتكاب الجريمة يزيّنه الشيطان».[2]

و يخـالف **(ابـن عاشـور)** فـي تفسـيره لهـذه العبـــــارة:﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ تفسير **(سيد قطب)** لها، إذ لا يرى المقصود منها توبة أو صلاحا دينـــيّا و إنّما يرى بأنّه صلاح دنيويّ، حيث يقـــــول: « و عطف ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِ"﴾ أي من بعد يوسف ـ عليه السّلام ـ على (يخل) ليكون من جملة الجواب للأمر. فالمراد كون ناشئ عن فعل المأمور به فتعيّن أن يكون المراد من الصـــلاح فيه الصّلاح الدّنيويّ، أي صلاح الأحوال في عيشهم مع أبيهم، و ليس المراد الصّلاح الدّينيّ».[3]

---

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن ، مج4 ج12 ص1973
[2] ينظر : سيد قطب، في ظلال القرآن، الصفحة نفسها.
[3] ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص224

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠﴾.[1]

في قول أحدهم: هذا نوع من يقظة الضّمير، و الإحساس بالرّحمة و الشفقة نحو أخيه و دليل على وجود بذور الخير في قلوب بعضهم ، حيث جاء في اقتراح أخيهم بعدم قتل يوسف ، و إلقائه في الجبّ، حتّى يتسنّى لقوافل المسافرين من العثور عليه أثناء سدّ حاجاتهم من الماء، يأخذونه رقّا ، و يبعدونه عن أرضهم و بلدهم ، حلاّ لمشكلة الاختيار بين الأمرين المقترحين في التّخلص من يوسف ــ عليه السّلام ــ،وربّما خلاصا من المعاناة أو صراعا نفسيّا داخليّا في إيجاد و اختيار الطّريقة أو الكيفيّة المثلى للفصل بين يوسف و والده ـ عليهما السّلام ـ ، دون إراقة دم يوسف ـ عليه السّلام-.

و وظّف القائل، بغرض إقناع إخوته باقتراحه أو فكرته، أسلوبي النّهي و الأمر، ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ المستعملين في النّصح و الإرشاد, و«يلتقطه» جواب الأمر في قوله «و ألقوه».

و التّقدير: إن تلقوه يلتقطه ,و المقصود من التسبّب الذي يفيده جواب الأمر إظهار أنّ ما أشار به القائل من إلقاء يوسف ـ عليه السّلام ـ في غيابة الجبّ هو أمثل ممّا أشار به الآخرون من قتله أو تركه بفيفاء مهلكة ، لأنّه يحصل به إبعاد يوسف ـ عليه السّلام ـ عن أبيهم إبعادا لا يرجع بعده تلاقيهما دون إلحاق ضرّ الإعدام بيوسف ـ عليه السّلام-».[2]

يبدو أنّ الفكرة التي اقترحها أحدهم كانت مقنعة، حيث لقت تجاوبا و استحسانا من طرف أغلبية إخوته ، إن لم يكونوا كلّهم، إذ تحقّق هدفهم و مقصدهم في التّخلص من يوسف ـ عليه السّلام ـ ، و إبعاده عن أبيه، دون إراقة دمه ، يفهم ذلك ضمنيّا حيث أوجز السّياق القرآنيّ ردود أفعالهم اتّجاهها ، إلاّ أنّه يمكن للدّارس أن يخمّن و يتصوّر هذه الرّدود التي تكون في جلّها تثمّن الاقتراح و تشير بالقبول و الموافقة عليه، كقولهم مثلا: فكرة جيّدة! ، أو أحسنت ! أو نعمّ الرأي! ، أو نعم نعم ! بصوت جماعيّ واحد، أو موافقون!... أو ما شابه ذلك.

و ربّما كان بعضهم رافضا لهذا الاقتراح جملة و تفصيلا ممّن أعماهم الحقد و الحسد و الغيرة و الشيطان، فلم يبق في قلوبهم ذرّة رحمة أو شفقة، فآثروا قتله أو رميه

---

[1] سورة يوسف: الآية 10

[2] ابن عاشور، نفس المصدر، 225-226

في أرض بعيدة مهلكة للتخلّص منه نهائيّا و إلى الأبد!. و ربّما سكت بعضهم متردّدا ينتظر رأي أو قرار الأغلبيّة ليضمّ رأيه إليها و يكون في صفّها ! إلاّ أنّ القرار النّهائيّ كان الموافقة على فكرة الجبّ و بالإجماع، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾[1] ، و بعد اقتراح أخيهم راحوا يطلبون من والدهم إرسال **(يوسف)** معهم للتّنزه و اللّعب ملحّين في طلبهم هذا مستعملين مختلف الأساليب لإقناع والدهم بـــه﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾[2].

وأضافوا أسلوب النّداء بغرض التّحبّب و التّودّد، في قولهم«يا أبانا»، و أسلوب الاستفهام المستعمل في الإنكار«مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ؟» .

و أسلوب الأمر المستعمل في الحثّ و الإغراء ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾.

و أسلوب التّوكيد المستعمل في التّعهد بحماية يوسف ـ عليه السّلام ـ و المحافظة عليه﴿ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾،﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ و لكنّها كلّها أساليب قائمـــــة على الكذب و الافتراء و المكر و التّحايل و الخداع ، كلّها أساليب تضليليّة مصطنعة هي بمثابة الأقنعة التي تخفي و تحجب الصّورة الحقيقيّة و هذا من أجل إقناع والدهم و الإيقاع به في شركهم.

هكذا يكون الإقناع بالباطل بارتداء مختلف الأقنعة لتنفيذ المآرب و تحقيق الأغراض القذرة بكلّ إصرار و إلحاح، و من هذه الأقنعة:

- قناع التودّد: «يا أبانا».
- قناع الإحراج: «مالك لا تأمنّا على يوسف».
- قناع الإغراء: «أرسله معنا غدا يرتع و يلعب».
- قناع العهود: «و إنّا له لناصحون»، «و إنّا له لحافظون».

---

[1] سورة يوسف: الآية 15
[2] سورة يوسف ، الآيتين 11-12

- قنـــــــــاع المنـطـــــق: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾[1]

إذن حتّى تتحقق الغاية من الإقناع بالباطل «لابدّ من ارتداء الأقنعة! » لابـــــــدّ من اصطناع قناع الحبّ بدلا من الكراهيّة و قناع الحماية و الرّعاية بدلا من الغيـــرة و الحسد، و قناع الأمان بدلا من الغدر! و قناع البراءة بدلا من الجريمة!. [2]

لقد ارتدى و تقمّص إخوة (يوسف) كلّ هذه الأقنعة لبلوغ هدفهم و تحقيق مقصدهم ، فالمهمّ عندهم هو التخلّص من يوسف ـ عليه السّلام ـ الذين يعتقدون أنّ حبّ والدهم له هو الذي حال بينهم و بين حبّ والدهم لهم، و أنّه بالقضاء على (يوسف) يمكنهم الفوز و الاستئثار بحبّ والدهم بدون أيّ منازع، فلا يهمّهم أن يلحقوا الأذى بأخيهم أو يزهقوا روحه، لا يهمّ أن يؤذوا والدهم الذي أنجبهم و رعاهم ، و الذي صدّقهم و اتمنهم على (يوسف) رغم حزنه لفراقه و خوفه عليه من أن يأكله الذئب:﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾.[3]

لقد جعلوا والدهم يتمزّق حزنا و كمدا و حسرة و مرارة و ألما على (يوســـــف) إذ أعماهم الحقد و الحسد و الغيرة و أغواهم الشيطان فأصبحت الغاية عندهم تبرّر الوسيلة ، فلا الدّين و لا القيّم و لا الأخلاق و لا الأعراف و لا الأبوّة و لا الأخوة أضحت تمنعهم و تردعهم عن بلوغ غايتهم , بل هانت عندهم كلّ هذه الأمـــــور و أصبحوا غير مبالين ضاربين بها عرض الحائط , إنّه كيد الشيطان الذي يتربّص بالإنسان و يوسوس لنفسه الأمّارة بالسّوء.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾[4].

---

[1] ينظر :عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني ، في منطوقه و مفهومه، ص ص413-417

[2] مصطفى مولود عشوي: سورة يوسف ، قراءة نفسية ،الموقع :
www.almaktabah.net/vb/showthread.php

[3] سورة يوسف: الآية 13

[4] سورة يوسف: الآية 15

لقد كان يوسف -عليه السّلام -في الجبّ محاطا بالعناية الإلهيّة ، حيث كان يأتيه الوحي فيؤنسه في وحشته ، و يطمئنه بأنّه سينجو و سيخبرهم بجريمتهم ضدّه و بما اقترفوه في حقه من ظلم ، و هم لا يعلمون بأنّه أخوهم: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾، و جاءت لفظة «تنبّئ» مؤكّدة لتزيده طمأنينة و ثباتـــــا و صبرا و هو صبيّ صغير في جبّ مظلم وسط صحراء موحشة.

- و فعلا تحقّق له ذلك كما وعده ربّه- جلّ و علا- حيث أصاب القحط و الجفاف بلاد يوسف - عليه السّلام - و البلاد المجاورة ، فتوافد النّاس إلى مصر من كل حدب و صوب طالبين الميرة ، و كان إخوته ضمن الوافدين و كان يوسف - عليه السّلام - آنذاك عزيزها و كبير وزرائها و أمين خزائنها . فلما دخلوا عليه عرفهم و لم يعرفوه : ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨﴾.[1]

و السّؤال الذي يتبادر هنا إلى ذهن القارئ أو الدّارس ، هو كيف عرف (يوسف) إخوته بعد طول زمن الفراق بينما لم يعرفوه هم؟!

يقول **(ابن عاشور)**: « و عرف يوسف - عليه السّلام - إخوته بعد مضي سنـــين على فراقهم لقوّة فراسته و زكانة عقله دونهم»[2]، أو ربّما عرفهم لأنّهم لم يتغيّروا كثيرا ، و لكن هم لم يتعرّفوا إليه لأنّهم لا يمكنهم أن يتصوّروا أبدا أنّ عزيز مصر المحفوف بالحرس و الخدم الآمر النّاهي فيهم ، هو أخوهم (يوسف) الصّبيّ الصّغير الضعيف الذي رموه في الجبّ منذ سنين طوال[3]. و ربّما عرفهم عن طريق الوحي.

فسبحان مغيّر الأحوال ، لقد أعزّ الله يوسف -عليه السّلام- بعد ذلّة ، بعد أن أذلّه إخوته و صار عزيز مصر و أمين خزائنها و عاد إخوته من بعد عزّ أذلّة ، حيث جاؤوا إليه يستنجدونه و يسترحمونه لكي يكتال لهم و هم جاهلون لشخصه غير عـــــــارفين:﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾.[4]

---

[1] سورة يوسف : الآية 58
[2] ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج13، ص12
[3] ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج13ص2015
[4] سورة يوسف: الآية 88

و بعد أن عاتبهم عمّا فعلوه و صنعوه بيوسف في الماضي ، أدرك و علم إخوته بأنّه (يوسف) ، و بذلك يكون قد أنبأهم و أخبرهم عن هويّته و عن تصرّفاتهم و أفعالهم ضدّه فيما مضى كما وعده ربّه سابقا »﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ ، ليفصح لهم مباشرة عن نفسه بعد سؤالهم الذي يحمل تأكيدا لذلك و اندهاشا و انبهارا ، كيف لا و يوسف ـ عليه السّلام ـ ، حيّ بعد كل هذه السّنوات؟! و أين و كيف وجدوه؟! في قصر و في مرتبة عالية و سامية، في مركز قوّة و قيادة، في مركز سلطة، إنّه عزيز مصر، أي: كبير وزرائها ؟!! ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ ﴾[1].

و في ظلّ هذه الدّهشة و الانبهار ينطقون و يتلفّظون بالحقيقة ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ ﴾[2] فيقرّون بإيثار الله ليوسف ـعليه السّلام- عليهم مؤكّدين ذلك بالقسم «**تالله**» و معترفين بخطئهم مؤكّدين عليه بـ «إن» المخفّفة و اللاّم «و إن كنّا **لـــ**خاطئين» و هذا دليل على شعورهم بالنّدم و الحسرة.
و لمّا أحسّ يوسف ـ عليه السّلام- منهم النّدم و الأسف قدّم لهم درسا في الأخلاق الحسنة ، في السّماحة، و الصّبر، و العفو عند المقدرة و الحلم ، و قدّم لهم درسا حول الأخوّة الحقيقيّة و كيف يجب أن تحفظ و تراعى ؟!. ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢ ﴾.[3]

و بعد هذا التّعليق الطّفيف و التّحليق في ثنايا القصّة أعود إلى جوّ المكيدة و المؤامرة فأقول: أنّه ـ الآن- و بعد أن قام إخوة (يوسف) بفعلتهم النّكراء و فرّطوا

---

[1] سورة يوسف: الآيات 89 - 90
[2] سورة يوسف: الآية 91
[3] سورة يوسف: الآية92

في أخيهم يوسف ـ عليه السّلام ـ كيف سيواجهون والدهم الذي تعهّدوا له بحفظ أخيهم و رعايته ؟! و ماذا سيقولون له؟! لابدّ -إذن- من الإدّعاء في الأقوال و الأفعال و تصنّع مظاهر الحزن و الأسى و الأسف على فقدانهم لأخيهم ، لابدّ من إيجاد الأدلّة المضلّلة ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾.[1]

لقد اختاروا الزّمن المناسب لإخفاء جريمتهم و تضليل والدهم و خداعه و التّظاهر أمامه بالبراءة فمجيئهم عشاء يدلّ على أنّهم بحثوا كثيرا عن أخيهم حين فقدوه، حتّى جنى عليهم اللّيل فوجدوا قميصه ملطّخا بالدّم.

يقول **(محمد علي أبو حمدة)**: «و تقديم الظّرف ـ عشاء ـ على الحال ـ يبكون ـ دلالة على أهمّية التّوقيت في إنجاح تمرير المؤامرة. و حتما كانوا أخّروا الرّواح إلى العشاء حتى تكون «فحمة» العشاء فيكون الوقت ملائما للحديث عن تلصّص الذئاب و خروجها من أوكارها بما يجعل (يعقوب) يقبل حيثيّات الادّعاء ، ثم إنّ ملامحهم وقت العشاء تجعل من التّمثيل أمرا ممكن التّمويه »[2].

و بالإضافة إلى أنّهم اختاروا اللّيل لأنّه مناسب للتّمويه فإنّهم جاءوا يبكون متظاهرين بالحزن و الأسى والأسف و الحسرة مدّعين بأنّ الذئب أكله عندما ذهبوا ليتسابقوا و تصنّعوا البكاء، أي: التّباكي، للتّمويه و خداع والدهم حتّى لا يشكّ بأنّهم قتلوا يوسف ـ عليه السّلام ـ[3] ،و للزيادة في التّضليل و التّمويه ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ أي: حتّى يعتقد و يصدّق يعقوب ـ عليه السّلام ـ بأنّ يوسف ـ عليه السّلام ـ فعلا أكله الذئب و انتهى أمره ـ و ربّما أتقنوا و هم جماعة ـ تمزيق القميص و تلطيخه بالدّم حتّى يظهر الأمر كأنّه حقيقيّ ، و لا يدع مجالا للشكّ قد يراود والدهم ، يقول **(ابن عاشور)** : « فما قاله بعض أصحاب

---

[1] سورة يوسف ، الآيات 16 18

[2] محمد علي أو حمدة ، في التذوق الجمالي لسورة يوسف، ص 69

[3] ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج12 ص236

التّفسير من أنّ يعقوب ـ عليه السّلام ـ قال لأبنائه : ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا ، أكل ابني و لم يمزّق قميصه ، فذلك من تظرّفات القصص[1]».

يبدو أنّ كلام **(ابن عاشور)** واقعيّ نوعا ما ،إلاّ أنّ الأمر يحتمل أن يكون عكس أو نقيض ذلك ، فربّما لم ينتبه إخوة (يوسف) إلى خرق القميص أو على الأقلّ إتقان خرقه و تمزيقه حتّى يظهر كأنّ الذئاب فعلت ذلك حقّا، نظرا للتسرّع أو القلق الذي ينتابهم أثناء تنفيذهم لهذه الجريمة، و بعدها كما هي عليه طبيعة الإجرام ـ عادة- بحيث يفوّت المجرم إتقان بعض الأمور التّضليليّة أو إخفاء بعض الأمور التي تكون سببا في إدانته.

و جاء في المقارنة التي أفردها **(مالك بن نبيّ)** بين ورود قصّة (يوسف) في القرآن الكريم و ورودها في الكتاب المقدس ، أنّه ورد في هذا الأخير بخصوص قضيّة قميص يوسف ـ عليه السّلام ـ و تلطيخه بالدّم من طرف إخوته مايلي:

« ـ فأخذوا قميص (يوسف) و ذبحوا تيسا من المعز و غمسوا القميص في الدّم.

ـ و بعثوا بالقميص الموشى فأنفذوه إلى أبيهم و قالوا: هذا أثبته ، أقميص ابنك هذا أم لا؟

ـ فأثبته و قال قميص ابني ، وحش ضارّ أكله، افترس يوسف افتراسا .

ـ و مزّق يعقوب ثيابه و شدّ مسحا على حقويه و ناح ابنه أيّاما كثيرة.

ـ و قام جميع بنيه و بناته يعزّونه فأبى أن يتعزّى و قال: إنّي أنزل إلى ابني نائحا إلى الجحيم ، و بكى عليه أبوه [2] ».

يمكن للقارئ أو الدّارس لما ورد في هذه المقارنة ـ من غير بذل أي جهد ـ أن يكتشف التّحريف و التّزييف للحقائق التي وردت في القصّة الكتابيّة (الكتاب المقدّس) في شأن قضيّة قميص (يوسف) الملطّخ بالدّم و طريقة حزن و بكاء يعقوب ـ عليه السّلام ـ فهل يعقل أنّ نبيّا مختارا قدوة قومه و مرشدهم و موجّههم يتصرّف كما يتصرّف الجاهليّون ، فمزّق ثيابه و ينوح و يشدّ على حقويه و يقول: أنزل إلى ابني نائحا إلى الجحيم ، و إلى ما هناك من الأباطيل ؟؟!! . فهذا ما لا يقبله عقل و لا يقرّه شرع بدليل قوله تعالى على لسان يعقوب ـ عليه السّلام-: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ

---

[1] ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص238

[2] مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية : تر: عبد الصابور شاهين، دار الفكر دمشق، ط 4 ، 1987، ص215

قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ [1].

فالآية القرآنيّة صريحة تثبت بأنّ يعقوب -عليه السّلام- لم يصدّق افتراء و كذب أبنائه عليه بخصوص قميص يوسف - عليه السّلام - الملطّخ بالدّم و أنّه صبر الصّبر الجميل و احتسب و فوّض أمره لله - جلّ و علا -. و هذا لا يعني أنّه لم يحزن و لم يبك على ولده ، و لكن حزنه و بكاءه لم يكن كحزن و بكاء الجاهليّة بالنّواح و العويل و الضّرب على الوجوه ، و شقّ الجيوب و غيرها ، و إنّما كان حزنا قلبيّا داخليّا يدلّ عليه خارجيّا أو مظهريّا الدّمع أو بعض الملامح و التّغيّرات الفزيولوجيّة التي تطرأ على الوجه و الجسد كتغيّر لون الوجه إلى الاصفرار مثلا، ارتعاش الأطراف و طأطأة الرّأس ، و الامتناع عن الكلام ... و هلمّ جرّا.

كان حزنه على طريقة الأنبياء و الرّسل و عباد الله الصّالحين و المؤمنين الأتقياء في صبرهم على البلاء و المصائب و الأحزان و خير دليل على ذلك ما جاء عن خير و أفضل خلق الله أسوتنا و نبيّنا و إمامنا محمّد بن عبد الله - صلوات الله عليه و سلامه - بعد وفاة ابنه إبراهيم - عليه السّلام - أنّه قال : « إنّ العين تدمع و القلب يحزن و لا نقول إلاّ ما يرضي ربّنا و إنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون [2] ».

و لقد ورد في الذكر الحكيم، الأجر العظيم الذي يناله الصّابرون على المصيبة حيث قال -سبحانه و تعالى- : ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [3].

---

[1] سورة يوسف ، الآية 18

[2] أبو الحسن نور الدين عبد الهادي ، صحيح البخاري ، ج1 ، رقم الحديث 1303 ، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص 306

[3] سورة البقرة : الآية 155 - 156 - 157

في هذه الآيات تأديب للنّفس البشريّة في كيفيّة التّعامل مع الابتلاءات و مواجهة المصائب بالصّبر، و الرّجوع إلى الله و تفويض الأمر إلى الله ـ سبحانه و تعالى ـ و على ما يجب التلفّظ به لحظة وقوع المصيبة.

2ـ الاستدلال و المحاججة في قضيّة المراودة:

و بعد مرور السنين يشتدّ عود الفتى (يوسف ـعليه السّلام ـ) و يبلغ سنّ الشباب و القوة و كمال البنية الجسديّة فيزيده ذلك جمالا إلى جماله و وسامة إلى وسامته و تشتعل نار الحبّ و الإعجاب و الرّغبة في قلب امرأة (العزيز) ، فتراوده عن نفسه.

قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾[1]

تصوّر هذه الآيات الكريمة مدى حبّ و تعلّق امرأة (العزيز) بيوسف ـ عليه السّلام ـ و شدّة افتتانها به ـ بعدما صار شابّا قويّا يافعا بالرّجولة ـ إلى درجة أنّها لم تقو على كبت مشاعرها و كبح شهواتها فتفجّر رغبتها في مراودته

[1] سورة يوسف ، الآية 23-29

عن نفسه و هذا بمحاولة إغرائه و إغوائه و جلبه بجمالها و عرض مفاتنها الجسديّة عن طريق الحركات و التمايلات و الابتسامات و الكلمات و غيرها. و عن المراودة يقول **(محمد الطّاهر بن عاشور)**: « فالمراودة المقتضية تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة ، و المفاعلة مستعملة في التّكرير(...) ، و المراودة مشتقّة من راد يرود، إذا جـــاء و ذهب، شبّه حال المحاول أحدا على فعل شيء مكرّرا ذلك بحال من يذهب و يجيء في المعاودة إلى الشّيء المذهوب عنه ، فأطلق راود بمعنى حاول[1]».

مادامت المراودة هي عمليّة تكرير المحاولة ـ على حسب رأي **(ابن عاشور)**ـ فهي إذا تعني الإلحاح في الطّلب ، و الحرص على الشّيء المطلوب بغرض إقناع الطّرف الآخر بالفكرة المرادة».

فمراودة امرأة العزيز ليوسف تمثلت في محاولاتها المتكرّرة و الملحّة بغرض استمالته و جلبه إليها و إغرائه بمفاتنها من أجل إقناعه بفكرة أو قضيّة المواقعة (الفاحشة).

و عبارة «**و غلّقت الأبواب**» دليل على رغبة (زليخة) الشّديدة في الممارسة الجنسيّة مع يوسف ـ عليه السّلام ـ و عزمها و تصميمها على تحقيق ذلك.

و تضعيف «غلّقت» لإفادة شدّة الفعل و قوته، أي أغلقت إغلاقا محكمـــــــــا.[2]

و في غلقها أو تغليقها للأبواب – التي تدلّ على كثرتها على أنّ بيتها كان قصرا – دليل أيضا على أنّها كانت متأكّدة أو شبه متأكدة من رفض يوسف ـ عليه السّلام ـ لطلبها و عدم استجابته لرغبتها ، و رضوخه لنزوتها ، و ربّما استشعرت ذلـــــك من خلال ابتعاده عنها ، و نفوره منها ، و الإعراض عن إغراءاتها له ، و تودّدها إليه.

و غلّقت الأبواب حتّى تمنّعه من محاولة الهروب منها أو الفرار ممّا تـــــــدعوه إليه، فتجبره و ترغمه على ما تريده.

يقول **(سيّد قطب)**: «و حركة تغليق الأبواب لا تكون إلاّ في اللّحظة الأخيـــــــــرة و قد وصلت المرأة إلى اللّحظة الحاسمة التي تهتاج فيها دفعة الجسد الغليظة و نداء الجســـد الأخير[3]».

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12، ص250

[2] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير ج12 ص250

[3] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مج4، ج12 ص1980

﴿و قالت هيت لك﴾و (هيت) اسم فعل أمر بمعنى بادر ، قيل: أصلها من اللّغة الحورانية و هي نبطيّة و قيل : هي من اللّغة العبرانيّة[1]، و هو أيضا اسم فعل أمر بمعنى أقبل أو تعال أو أسرع.

و أخرج **(ابن أبي حاتم)** عن **(ابن عباس)** قال: «هيت لك؛ هلمّ لك بالقبطيّة. » و قال **(حسن)**: هي بالسريانيّة كذلك، و قال **(عكرمة)**: هي بالحورانيّة، و قال **(أبو زيد الأنصاري)**: هي بالعبرانيّة ، و أصله هيتلج أي ؛ تعاله. و لا يبعد أن تكون هذه الكلمة في كل هذه اللّغات للتّعبير عن رغبة غريزية هي الرّغبة في الجماع، و كأنّها حكاية صوت لا يختلف بين اللّغات كقول المتألّم: «آه».

فهي تصدر بنفس الأصوات تقريبا مع اختلاف اللّغات ، و على هذا يكون التّعبير القرآنيّ نقل صورة صوتيّة حقيقيّة لامرأة (العزيز) تعبّر عن رغبتها دون ترجمتها أو التّصرف فيها ، و بذلك تكون هذه الكلمة الصّغيرة قد أغنت عن الكثير من الكلام و عبّرت عن الموقف أصدق تعبير»[2].

و قالت: «**هيت لك**» أي: ها أنا ذا فأقبل[3]، و في تلك اللّحظة بلغت رغبة (زليخة) ذروتها فطلبت من يوسف -عليه السّلام- أن يقبل عليها و لم يثنها عن ذلك حياء المرأة و حشمتها ، و لا حتى مكانتها و منزلتها الاجتماعيّة باعتبارها زوجة (العزيز)، - فهي من الطّبقة الحاكمة النّبيلة الأرستقراطيّة- فأمام هذا الحبّ الجارف و الرّغبة القويّة، هانت كلّ هذه الأمور و استرخستها و لم تلق لها بالا و لم تعرها اهتماما ، فعندما يستسلم الإنسان لسيطرة نفسه تغيب سلطة الدّين و العقل و العرف و تحلّ مكانها سلطة الهوى.

« إنّه حبّ أعمى، جعلها جارية و هي الحرّة، فوقفت موقفا مهينا استرخصت فيه جمالها و سلطانها أمام سلطان حبّها ليوسف - عليه السّلام- لقد امتهنت دلال المرأة، و عفاف الحرّة و جاه السيّدة...و هذا ما لا تفعله الحرّة أبدا، إنّها مهما استبدّ بها الحبّ و الوجد لا تلقى الرّجل بهذه الصراحة، بل تأبى عليها طبيعة الأنثى إلاّ أن تغالب أشواقها حتّى تكون المطلوبة من الرّجل لا الطّالبة له[4] ».

و بعد كل هذا التذلّل و الانكسار بالدّعوة الصّريحة الجاهرة تصدم المرأة الجامحة بشهوتها بصدّ يوسف - عليه السّلام - لها و رفضه و امتناعه عن فعل

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ،ج12 ص 215

[2] أحمد جمال الدين : لغة الحوار في سورة يوسف، دراسة أسلوبية، ص15-16(narratology-eg-.com/Ahmed Gemels)

[3] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، ص425

[4] ينظر المرجع نفسه، ص425

الحرام الذي يغضب الرّحمن و يلطّخ بالعار شرف سيّدة (العزيز) بقوله: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ .

و «معاذ» مصدر أضيف إلى اسم الجلالة إضافة المصدر إلى معموله ، و أصله : أعوذ عوذا بالله ؛ أي أعتصم به ممّا تحاولين.

و «إنّ» مفيدة تعليل ما أفادته «معاذ الله» من الامتناع و الاعتصام منه بالله... أي الاعتصام بالله في الامتناع عن فعل الحرام (الفاحشة).

و الضّمير في (إنّه) له احتمالان: فأمّا الأوّل أن يعود إلى اسم الجلالة و يكون«ربي» بمعنى خالقي، و أمّا الثاني أن يعود إلى العزيز و يكون (ربّي) بمعنى سيّدي و مالكي.

و هذا من الكلام الموجّه توجيها بليغا حكى به كلام يوسف -عليه السّلام- إمّا لأنّه أتى بمثل هذا التّركيب في لغة القبط و إمّا لأنّه أتى بتركيبين عذرين لامتناعه فحكاهما القرآن بطريقة الإيجاز و التّوجيه.

فدلّ المعنى في الاحتمال الأوّل عن شكر الله على نعمة الإيجاد، و دلّ المعنى في الاحتمال الثاني على شكر العزيز على نعمة التّربية و أكّد ذلك بجملة ﴿ أحسن مثواي﴾.

و جملة﴿إنّه لا يفلح الظالمون﴾ تعليل ثان للامتناع و الضّمير المجهول اسما لـ (إنّ) ضمير الشّأن يفيد أهميّة الجملة المجهولة خبرا عنه لأنّها موعظة جامعة. [1]

لقد وفّق **(ابن عاشور)** إلى حدّ بعيد في تفسيره للفظة «ربّي» في قوله تعالى: ﴿إنّه ربّي أحسن مثواي﴾ إذ أنّ تفسيره لها أوّلا باسم الجلالة (الخالق) قد ذهب إليه جلّ المفسّرين إن لم أقل كلّهم، باعتبار أنّ الله -عز و جل- نجّا يوسف - عليه السّلام - من كيد إخوته و من الهلاك و تولاّه برعايته و أيّده بنصره على الظّلم و الذلّ و هيّأ له رغد العيش في بيت (العزيز).

و على هذا الأساس لا يجوز له أن يعصي ربّه و يقوم بفعل الفاحشة فيجحد نعمة الله و فضله عليه فكان هذا مبرّرا للامتناع عن فعل الزّنا و حجّة اعتمدها لإقناع زوجة العزيز بالعدول عن مبتغاها ،و أمّا عن تفسيره الثاني لها- لفظة ربّي- فيبدو منطقيّا حيث أنّ لفظة «ربّ» في اللّغة العربيّة تعني أيضا : السيّد أو المالك، كقولك:

---

[1] ينظر محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير ، ج12 ص252/251

ربّ البيت ، بمعنى صاحبه و مالكه، و منه ربّة البيت أي: سيّدته ، و كذا قولك : ربّ المصنع و ربّ العمل أي: صاحبه و مالكه، و جمعه أرباب.
هذا من جهة ، و من جهة أخرى فإنّ السياق القرآنيّ لعبارة «إنّه ربّي أحسن مثواي» يتحمل هذا التّفسير ؛ أي : أنّه سيدي أحسن تربيتي و رعايتي . و لهذا لا يليق و لا يجوز ليوسف -عليه السّلام - أن ينكر جميل و معروف سيّده (العزيز) الذي أكرمه و أحسن تربيته و رعايته و عامله كابن له بأن يمسّ و يلطخ عرضه و شرفه و يشوّه سمعته. و هذا مبرّر آخر تحجّج به يوسف ـ عليه السّلام ـ للامتناع عن فعل المعصيّة.

و أؤيّد قول **(ابن عاشور)** بأنّ القرآن الكريم حكى أو نقل قول يوسف ـ عليه السّلام ـ الذي كان باللّغة القبطيّة بطريقة الإيجاز و التّوجيه سواء كان بتركيب واحد أو تركيبين ، أي: أنّ القرآن الكريم نقل المعنى من كلام يوسف دون التّعرض للمبنى لأنّه لا يمكن لكلام البشر - مهما كان بليغا- أن يحاكي بلاغة القرآن الكريم التي أعجزت فرسان البلاغة و أرباب البيان و فطاحل الشعر منذ بعثة النّبيّ - صلّى الله عليه و سلّم- و إلى يوم الدّين من محاكاتها ، حيث وقفوا عاجزين أمام عبقريّة تراكيبها و سحر معانيها ، لأنّها من إبداع الخالق- جلّ و علا -الذي تحدّى الإنس و الجنّ مجتمعين على الإتيان بمثل القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.[1]

و أمّا في قوله تعالى: ﴿إنّه لا يفلح الظالمون﴾ مبرّر حجاجيّ ثان للامتناع عن ارتكاب فعل الفاحشة دعّم و أكّد به سيّدنا يوسف ـ عليه السّلام ـ مبرّره الحجاجيّ الأوّل: ﴿إنّه ربّي أحسن مثواي﴾.

و الظالمون هم «الذين يتجاوزون حدود الله» [2] أي الذين يتعدّون الأمور التي نهى عنها الله- سبحانه و تعالى-، و حذر منها ، و توعّد مرتكبيها بالعقاب الشديد مثل الكبائر، الشرك و قتل النّفس التي حرّم الله إلاّ بالحقّ، و الزّنا و شهادة الزّور و أكل مال اليتيم...

و عليه يدرك المتأمّل و المتدبّر في قوله تعالى: ﴿إنّه لا يفلح الظالمون﴾ بأنّه أفاد العموم على رأي **(ابن عاشور)** في قوله: «موعظة جامحة»، أي: أنّه كلّ من يتجاوز

---

[1] سورة الإسراء، الآية 88
[2] سيد قطب ، في ظلال القرآن الكريم، مج4، ج12، ص1981

حدّا من حدود الله التي نهى عن الاقتراب منها و دعا إلى اجتنابها فهو ظالم لنفسه، و لا يفلح أي: خاب و خسر في الدّار الآخرة بأن يكون مأواه النّار و العذاب الأليم - عياذا بالله- و ربّما يلقى عذابا عاجلا في الدّنيا فيسلّط الله عليه بذنوبه المصائب و الأمراض و الهموم و الأحزان و المشاكل على اختلافها فيعيش حياة ضنكى ، أي: يعيش حياة جحيم في الدّنيا فلا يذوق طعم السّعادة أبدا، إلاّ إذا أقلع عن الذنب و المعصيّة و تاب إلى الله توبة نصوحا بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾[1] و قال : ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٞ ۝١٠﴾ [2] و قال -عزّ و جلّ-: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ۝٧١﴾[3].

و جاء عن النّبيّ - صلّى الله عليه و سلّم - أنّه قال: «الله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا و به مهلكة و معه راحلته عليها طعامه و شرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ و قد ذهبت راحلته حتّى إذا اشتد عليه الحرّ و العطش أو ما شاء الله قال: أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده»[4].

هذا و إن كان المعنى الذي تضمّنه قوله تعالى: «إنّه لا يفلح الظالمون» حكم يفيد التّعميم و الشمول ، إلاّ أنّ المقام هاهنا - في سياق الآية- يقتضي التّخصيص

---

[1] سورة النور: الآية 05
[2] سورة النور: الآية 10
[3] سورة الفرقان، الآيات 68 - 71
[4] البخاري : صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، مج 4 ص141

ألا وهو «الزّنا» أي، أنّه لا يفلح الزّناة على أساس أنّ الفاحشة واحدة من الكبائر التي حرّمها الله -سبحانه و تعالى -، و حدّا من حدوده التي نهى و حذر من الاقتراب منها و توعّد مرتكبيها بالعقاب الشديد بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[1] ، فالزّنا آفة اجتماعيّة خطيرة نظرا لما فيه من ظلم شديد و أذى كبير على المستويين الفرديّ و الاجتماعيّ ، فيه تضرب الأخلاق عرض الحائط و تهدم العلاقات و الرّوابط الاجتماعيّة بانتهاك الحرمات و الأعراض و اختلاط الأنساب و زوال الحياء، و ضياع الدّين و انتشار مظاهر الانحلال الخلقي بصفة عامّة.

هذا بالإضافة إلى النّتائج السلبيّة و الآثار الوخيمة التي تلحقها الفاحشة بصحّة مرتكبيها ، حيث أثبتت الأبحاث و الدّراسات العلميّة الحديثة في مجال الطّب عن ظهور بعض الأمراض الخطيرة النّاجمة عن الانحلال الخلقيّ - كمرض السّيدا- و الذي تعتبر الزّنا من أهمّ مسبّباته و من أهمّ أسباب انتشاره و استفحاله . و لهذه الأسباب كلّها كان هذا الفعل اللاّخلاقي المشين - الزّنا- ظلما كبيرا حرّمه الله - سبحانه و تعالى - في كلّ الكتب السّماويّة المقدّسة بما فيها القرآن الكريم، و جعل عقابه عاجلا في الحياة الدّنيا بإقامة حدّ الزّنا على من وقعوا فيه، كأسلوب ترهيب و ردع لتطهير المجتمع الإسلاميّ من هذا الفعل المدنّس ، و من هذه الرّذيلة و الجريمة و تطهير مرتكبيها من ذنبهم و جرمهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[2].

و ممّا ورد عن النّبيّ- صلّى الله عليه و سلّم- بخصوص حدّ الزّنا ، حديث أبي هريرة و جابر رضي الله عنهما- قال أبو هريرة : «أتي رجل رسول الله - صلّى الله عليه و سلّم- و هو في المسجد فناداه ، فقال: يا رسول الله إنّي زنيت، فأعرض عنه، حتى ردّد عليه أربع مرّات، فلمّا شهد على نفسه أربع شهادات ، دعا النّبيّ - صلّى الله عليه و سلّم- فقال: «أبك جنون ؟» قال:

[1] سورة الإسراء، الآية32
[2] سورة النور، الآية2

لا، قال: «فهل أحصنت؟» قال: نعم، فقال النّبيّ -صلّى الله عليه و سلّم-: «اذهبوا به فارجموه». قال جابر: «فكنت ممّن رجمه، فرجمناه بالمصلّى فلمّا أدلقته الحجارة هرب، فأدركناه بالحرّة فرجمناه»[1].

و في حديث أبي هريرة و زيد بن خالد الجهني- رضي الله عنهما - قالا: « جاء رجل إلى النّبيّ -صلّى الله عليه و سلّم- فقال: أنشدك الله إلاّ قضيت بيننا بكتاب الله ، فقام خصمه و كان أفقه منه ، فقال: صدق ، اقض بيننا بكتاب الله و أذن لي يا رسول الله فقال النّبيّ - صلّى الله عليه و سلّم: **"قل"**، فقال: إنّ ابني كان عسيفا * في أهل هذا فزنا بامرأة ، فافتديت منه بمائة شاة و خادم وإنّي سألت رجالا من أهل العلم فأخبروني أنّ على ابني جلد مائة و تغريب عام، و أنّ على امرأة هذا الرّجم، فقال: «و الذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: المائة و الخادم ردّ عليك، فسلها فإن اعترفت فارجمها» فاعترفت فرجمها»[2].

و من باب أنّ الكلّ يشمل الجزء و أنّ الحكم الخاص يندرج ضمن الحكم العام جاء الحكم في معنى قوله تعالى: «إنّه لا يفلح الظّالمون» مفيدا للشّمول و العموم.

- و على كل فإنّ الآية الكريمة ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾[3] اشتملت على أسلوبي التّرغيب و التّرهيب:

---

[1] محمد فؤاد عبد الباقي ، اللؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري و مسلم ، دار الحديث ، القاهرة ، ت: 1424-2003م، ص349

[2] محمد فؤاد عبد الباقي ، اللؤلؤ المرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري و مسلم ، دار الحديث القاهرة، ت: 1424-2003م ، ص349
أخرجه البخاري 86 كتاب الحدود ، 46 هل يأمر الإمام رجلا فيضرب الحد غائبا عنه.ص349-350
***عسيفا** : أجيرا ، في أهل : في خدمة أهل ، الخادم رد: أي مردود و تغريب عام: المراد أن يخرج فيلبث عاما ، فيقدر يغرب يغيب أي يغيب عاما.

[3] سورة يوسف: الآية23

- و من التّرغيب أسلوب الإغراء الذي استعملته امرأة (العزيز) بمراودتها ليوسف - عليه السّلام- و تغليقها للأبواب و قولها: «هيت لك» ، فهذه الإغراءات كلّها محاولات لجذب و استمالة يوسف - عليه السّلام - و ترغيبه في الوقاع (ممارسة الفاحشة معها)- كما أنّ ما جاء على لسان سيّدنا يوسف - عليه السّلام - في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ كحجّة للامتناع عن فعل الزّنا و تعليل لرفضها- يتضمّن أسلوب التّرغيب في إشارة إلى ترغيب امرأة(العزيز) في تقوى الله - عزّ و جلّ - و وجوب طاعته و الثناء عليه و الابتعاد عن معصيته.

كما أنّ من دلالاته أيضا ترغيبها في التّعفف و صيانة العرض و احترام الزّوج و الابتعاد عن خيانته ، و هذا بإقرار يوسف - عليه السّلام - بمعروف سيّده(العزيز) الذي أحسن تربيّته و رعايته كابن له و ائتمنه على ماله وعرضه «إنّه ربّي أحسن مثواي» و لهذا توجب على يوسف -عليه السّلام- أن يحترمه و أن يكون وفيّا مخلصا و أن لا يجحد و ينكر جميله و صنيعه معه فيسيء له في أهله(زوجته) بأن يلطّخ شرفه و عرضه و يدنّس سمعته.

- و أمّا أسلوب التّرهيب فتضمّنه قوله تعالى على لسان يوسف - عليه السّلام - : «إنّه لا يفلح الظالمون»، ترهيب لزوجة العزيز بعدم الفلاح علّها تخشى عقاب الله فترتدع و تتراجع عن مبتغاها و تمتنع عن مسعاها و تكفّ عن طلبها.

قال- عزّ من قائل -: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1] .

«و الهمّ: العزم على الفعل و أكّدهما بـ (قد) و لام القسم، ليفيد أنّها عزمت عزما محقّقا» [2] ، «و لقد همّت به»أي: لقد قصدت و عزمت على مخالطته»[3].

و يرى علماء التّفسير بأنّ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ تقديم لجواب الشّرط على شرطه ، و التّقدير هو: «و لولا أن رأى برهان ربّه لهم بها» فقدّم الجواب على شرطه للاهتمام به ,و لم يقرن الجواب باللاّم التي يكثر اقتران جواب (لولا) بها لأنّه ليس لازما و لأنّه لمّا قدّم على (لولا) كره قرنه باللاّم. و طعن في هذا التّأويل **(الطّبري)** بأنّ جواب (لولا) لا يتقدّم عليها و الرّد

---

[1] سورة يوسف: الآية 24
[2] ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12، ص252
[3] الزمخشري، الكشاف، مج2، ص311

على هذا الطّعن هو أنّه يبقى ما قبل (لولا) دالاّ على جواب الشّرط حتّى و لو كان الجواب محذوفا. و على كلّ تقدير فإنّ (لولا) و شرطها تقييد لقوله: «و همّ بها» على جميع التّأويلات[1].

و على رأي **(ابن عاشور)** و من نحا نحوه من المفسّرين الذين قالوا بتقدّم جواب شرط (لولا) على شرطها على حسب تأويلهم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ بـ : و لقد همّت به و لولا أن رأى برهان ربّه لهم بها.

فإنّ يوسف -عليه السّلام- لم يعزم على الهمّ بامرأة العزيز لأنّ الله -عزّ و جلّ- أراه البرهان قبل أن يهمّ بها.

« لقد حصر جميع المفسّرين القدامى و المحدّثين نظرهم في تلك الواقعة الأخيرة. فأمّا الذين ساروا وراء الإسرائيليّات فقد رووا أساطير كثيرة يصوّرون فيها يوسف - عليه السّلام - هائج الغريزة مندفعا شبقا ، و الله يدافعه ببراهين كثيرة فلا يندفع ! صوّرت له هيئة أبيه (يعقوب) في سقف المخدع عاضّا على إصبعه بفمه! و صوّرت له لوحات كتبت عليها آيات من القرآن - أي نعم من القرآن!- تنهى عن مثل هذا المنكر ، و هو لا يرعي! حتّى أرسل الله (جبريل) يقول له: «أدرك عبدي ، فجاء فضربه في صدره... إلى آخر هذه التّصورات الأسطوريّة التي سار وراءها بعض الرواة، و هي واضحة التّلفيق و الاختراع! ».

و أمّا جمهور المفسّرين فسار على أنّها همّت به همّ الفعل و همّ بها همّ النّفس ثمّ تجلّى له برهان ربّه فترك»[2].

يقول **(مصطفى مولود عشوي)**: « و الذي اختاره من التّفاسير لهذه الحادثة قول **(أبي السّعود):** «إنّ همّه بها بمعنى ميله إليها بمقتضى الطّبيعة البشريّة ميلا جبلّيّا، لا لأنّه قصدها قصدا اختياريّا ، ألا يرى إلى ما سبق من استعصامه المنبّئ عن كمال كراهيّته له و نفرته عنه، و حكمه بعدم إفلاح الظّالمين ، و هل هو إلاّ تسجيل باستحالة صدور الهمّ منه تسجيلا محكما؟و ما قيل : إنّه حلّ الهيمان و جلس مجلس الختان فإنّما هي خرافات و أباطيل تمجّها الآذان و تردّها العقول و الأذهان »[3].

---

[1] ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير ج12 ، 253

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، مج4 ج12 ص1981

[3] مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف، قراءة نفسية.الموقع :

www.almaktabah.net/vb/showthread.php

إذن برهان الله الذي رآه سيّدنا يوسف ـ عليه السّلام ـ هو الذي عصمه و وقاه من الوقوع في الخطيئة « و لولاه لوقع أسير الهوى ، و الهوى ميل شديد في الجانب الوجدانيّ نحو الخضوع للشّهوة التي تثير في النّفس بدورها مشاعر الحبّ الشّديد و الرّغبة في التّعلق و الحصول على اللّذة. و لاشكّ أنّ رؤية **(يوسف)** لبرهان ربّه قد أثارت في نفسه انفعالات مضادّة للاستجابات الجنسيّة الطبيعيّة؛ و هذه الانفعالات المضادّة هي التّقزز و الاشمئزاز و النّفور ممّا كان قد همّ به»[1].

« و البرهان : الحجّة و هذا البرهان من جملته صرفه عن الهمّ بها، و لولا ذلك لكان حال البشريّة لا يسلم من الهمّ بمطاوعتها في تلك الحالة لتوفر دواعي الهمّ من حسنها و رغبتها فيه، و اعتباط أمثاله بطاعتها و القرب منها، و دواعي الشّباب المسوّلة لذلك»[2].

و قوله -سبحانه و تعالى-: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَ﴾، تعليل منه -عزّ و جلّ- للبرهان الذي أراه ليوسف ـ عليه السّلام ـ ألا و هو عصمته و حفظه من السّوء و الفحشاء لأنّه من عباده المخلصين ، أي: المصطفين و المختارين لحمل رسالته إلى عباده ، و الدّعوة إلى توحيده -جلّ وعلا- و لهذا السّبب كان لابدّ من تطهيرهم من الدّنيا و عصمتهم من الخطايا، حيث يرى **(ابن عاشور)** بأنّ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَ * ﴾ إشارة إلى شيء مفهوم ممّا قبله يتضمّنه قوله ﴿رأى برهان ربه﴾ و هو رأي البرهان ، أي: أريناه كذلك الرّأي لنصرف عنه السّوء.
و التّعبير عن العصمة بالصّرف يشير إلى أنّ أسباب حصول السّوء و الفحشاء موجود و لكنّ الله صرفهما عنهما.

---

[1] مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف، قراءة نفسية.الموقع :

www .almaktabah.net /vb/showread.php

[2] ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص254.

* **الصرف** :نقل الشيء من مكان إلى مكان ، و هو هنا مجاز عن الحفظ من حلول الشيء بالمحل الذي شأنه أن يحل فيه. عبّر به عن العصمة من شيء يوشك أن يلابس شيئا.

* **السوء**: القبيح ، و خيانة من ائتمنه ، و الفحشاء: المعصية و هي الزنا.

و قوله تعالى: ﴿إنّه من عبادنا المخلصين[1]﴾ تعليل لحكمة صرفه عن السّوء و الفحشاء ، الصّرف الخارق للعادة لئلاّ ينتقص اصطفاء الله إياه في هذه الشّدة على النّفس. [2]

و يقصد بالصّرف الخارق للعادة البرهان الذي يخصّ به الله -عزّ وجلّ - أنبياءه و عباده المخلصين ، هذا البرهان الذي اختلف فيه المفسّرون – كما سبق الإشارة إلى ذلك – « فمنهم من يشير إلى أنّه حجّة نظريّة قبّحت له هذا الفعل ، و قيل: هو وحي إلهي ، و قيل: حفظ إلهي ، و قيل: مشاهدات تمثلت له»[3] .

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا * لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[4].

لم يجد يوسف - عليه السّلام - وسيلة للتّخلص من هذا المأزق الكبير و الفتنة العظيمة المتمثلة في إصرار امرأة (العزيز) على تحقيق رغبتها في الوقاع معه- بعد أن فشل في إقناعها بالإحجام و العدول عنها من خلال قوله الامتناعيّ و الاعتساميّ الرّامي إلى محاولة وعظها بانتهاج أساليب التّذكير و التّنفير ، و التّرغيب و التّرهيب معا: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ -إلاّ وسيلة الفرار و الهروب منها قاصدا الباب حتّى لا يقع أسير الهوى و يرتكب المعصيّة.

إنّها سيّدته و هو غلامها فلا يقوى و لا يقدر على أن يستعمل معها أسلوب القوّة أو العنف كأن يدفعها أو يضربها أو يشتمها أو حتّى أن يرفع صوته في وجهها. فكانت الوسيلة الوحيدة المتاحة أمامه هي الهروب، «و لكنّ سيّدة البيت لم تبرد و لم تهدأ انفعالاتها و لم تستطع ضبط هواها فجرت وراءه لمنعه

---

[1] قرأ **نافع** و **عاصم** و **حمزة** و **الكسائي** و **أبو جعفر** و **خلف**"المخلصين" بفتح اللام، أي الذين أخلصهم الله و اصطفاهم. و قرأه ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر و يعقوب بكسر اللام على معنى المخلصين دينهم لله، و معنى التعليل على القراءتين واحد-ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص254-255

[2] ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص254-255

[3] ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ، ص254

* **الاستباق**: افتعال من السبق، و هو هنا إشارة إلى تكلفها السبق، أي: أن كل واحد منهما يحاول أن يكون هو السابق إلى الباب، و انتصبت (الباب) على نزع الخافض، و أصله: و استبقا إلى الباب ، مثل قوله تعالى:"و اختار موسى قومه سبعين رجلا"" سورة الأعراف الآية155 ، أي: من قومه."

* الإلفاء: وجدان شيء على حالة خاصة من غير سعي لوجدانه ، فالأكثر أن يكون مفاجئا ، أو حاصلا عن جهل بأول حصول كقوله تعالى:" قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا" البقرة، الآية 169.

* **سيدها**: زوجها، و هو العزيز ، ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج12 ص255 - 256

[4] سورة يوسف، الآية 25

من الإفـــــلات ، و« مزّقت قميصه من دبر!»[1] . و تمزّق القميص من دبر إن دلّ على شيء إنّما يدلّ «على أنّها أمسكت قميصه حين أعرض عنها تريد إكراهه على ما راودته فجذب نفسه فتخرّق القميص من شدة الجذبة ... و قد أبدع إيجاز الآية في جمع هذه المعاني تحت جملة «**استبقا الباب و قدّت قميصه من دبر**»[2]

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا * لَدَا ٱلْبَابِ﴾

و في هذه الأثناء – و هما في حالة الاستباق – يصطدمان و يفاجآن بوجود زوجها (العزيز) أمام الباب ، فتبادره القول متّهمة يوسف -عليه السّلام- بالاعتداء عليهـــا و التّحرش بها ظلما و بهتانا مقترحة نوع العقاب الذي يستحقه،﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾[3] ، فهـي تقتـرح العقاب المأمون الذي لا يودي بحياته «و هذا لا يعني أنّ امرأة (العزيز) كانت أشدّ حرصا على سجنه من كونه صاغرا ، لأنّها كانت تتوقع حبسه في بيتها فتتقرّب منه و تـراه كلّمـا أرادت, و هـذا يـدلّ علـى أنّ حبّـه قـد أحكـم أزمتـه علـى كيانهـا ، فرغبتهـــــــا في أن يظلّ قريبا منها حتّى بعد صدوده لها و انجراح كرامتها أمامه رغبة متأجّجة ناشئة عن اعتلاق قلبها به ، فهي لا تريد له ذلاّ و مهانة بنفس درجـة إرادتهـــــــا أن يسجن ليكون قريبا منـــها» ،[4] ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ مدافعا عن نفســه، و دافعا عنه هذا الاتّهام الباطل.

و يمكـن للـدّارس المتـدبّر و المتأمّـل فـي قولـه تعـالى علـى لسـان امـرأة (العزيـــــــز) و يوسف ـ عليه السّلام -: ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾« أن يلتمس و يكتشف الإيجاز القرآنيّ المعجز فمن دون شكّ أنّ امرأة (العزيز) كرّرت اتّهامها ليوسف بالاعتداء عليها متظاهرة بالحزن و البكاء و الغضب و المكر في محاولة لإقناع

---

(1) مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف، قراءة نفسية.الموقع:

www.almaktabah.net/vb/showthread.php

(2) ينظر : ابن عاشور : تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص255-256

(3) لأكثر توضيح و تعمق ينظر الاستفهام في سورة يوسف في هذا الفصل.

(4) أحمد جمال الدين، لغة الحوار في سورة يوسف، دراسة أسلوبية ص17 (narratology-eg-.com/Ahmed Gemels)).

زوجها ببراءتها و صدقها في اتّهام (يوسف) بالاعتداء عليها. و لابدّ أنّ يوسف ـ عليه السّلام ـ أيضا كرّر كلامه في توجيه التّهمة إلى امرأة (العزيز) مدافعا عن براءته.

و في هذا الموقف الصّعب و المحرج – حيث كلّ منهما يتّهم الآخر – يتدخّل الشاهد ليفصل في الأمر﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾[2]. و إن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت و هو من الصّادقين».

يقول **(مصطفى مولود عشوي)**: «و جاء الحلّ من شاهد من أهلها الذي حاول أن يصدر الحكم بناء على استعمال الذكاء و الاستدلال بقرائن غير أقوال المتخاصمين[3]»، أي: قرآئن مادّية محسوسة غير لغويّة ، و هي هنا مرئيّة تتمثل في تمزّق القميص.

إلاّ أنّ السّؤال الذي يوجّه أو يطرح على **(مصطفى مولود عشوي)** هنا هو إذا كانت هذه القرائن التي اعتمدها الشاهد في عمليّته الاستدلاليّة غير لغويّة (غير أقوال المتخاصمين) ، فكيف عرف بحادثة تمزّق قميص يوسف -عليه السّلام-؟! ، أم أنّه افترض تمزّق القميص هكذا اعتباطا؟!.أم أنّه يكون قد احتمل و توقّع تمزّق القميص نتيجة الخلاف بين الطّرفين المتخاصمين ، بين جذب و شدّ و دفع و غير ذلك؟!

و أمّا إن كان قد رأى قميص يوسف ممزّقا من الخلف من أوّل وهلة أي قبل أن ينطق بكلامه الاستدلالي﴿.قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ .

فهذا يعني أنّه استنتج الحكم و توصّل إلى معرفة الحقيقة في بداية الأمر ألا و هي براءة يوسف -عليه السّلام- من التّهمة الموجّهة إليه و أنّ امرأة (العزيز)

---

[1]" و سمي قوله شهادة لأنه يؤول إلى إظهار الحق و إثبات اعتداء يوسف عليه السلام على سيدته أو دحضه " في ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص257

[2] سورة يوسف: الآيتان 26- 27

[3] مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف ، دراسة نفسية.الموقع:

www.almaktabah.net/vb/showthread.php

هي المتورّطة و المذنبة و فعل ذلك- أي نطق بالاستدلال - حتّى يكشف كذب و افتراء و كيد امرأة (العزيز) و يظهر براءة يوسف -عليه السّلام-، فيعرف (العزيز) الحقيقة و يقتنع بها.

و أمّا **(محمد الطّاهر بن عاشور)** فيرى عكس ما قاله **(مصطفى مولود عشوي)** حيث يقول: «و لا شكّ أنّ الاستدلال بكيفيّة تمزّق القميص نشأ عن ذكر امرأة (العزيز) وقوع تمزيق القميص تحاول أن تجعله حجّة على أنّها أمسكته لتعاقبه ، و لولا ذلك ما خطر ببال الشاهد أنّ تمزيقا وقع ، و إلاّ فمن أين علم الشاهد تمزيق القميص؟!، و الظّاهر أنّ الشاهد كان يظنّ صدقها فأراد أن يقيم دليلا على صدقها فوقع عكس ذلك كرامة ليوسف -عليه السّلام-[1]».

إذا فتمزّق القميص من دبر علامة دالّة على صدق يوسف -عليه السّلام- و براءته من التّهمة الموجّهة إليه ، و على كذب امرأة(العزيز) و بطلان ادّعائها ، حيث أنّ تمزّق القميص من الخلف يدلّ على أنّ (يوسف) كان في حالة إعراض وفرار من امرأة (العزيز) فأمسكت بقميصه لتردّه و تمنعه منه من الهروب فتمزّق.

و لو كان العكس كما ادّعت - بأنّه أراد أن يتحرّش بها- لتمزّق القميص من قبل إثر دفاعها عن نفسها و محاولة دفعه عنها و لكان ذلك علامة على صدقها.

و زيادة «و هو من الكاذبين» بعد «فصدقت» و زيادة «و هو من الصّادقين» بعد «كذبت» تأكيد لزيادة تقرير الحقّ كما هو شأن الأحكام[2]». فحتّى و لو لم يذكر الله - عزّ و جلّ - على لسان الشاهد عبارتي (و هو من الكاذبين) بعد «فصدقت» (و هو من الصادقين) بعد «كذبت»، لاقتضى المعنى بالضّرورة كذب (يوسف) أو صدقه ، إلاّ أنّه لا يكون بنفس القوّة و التّأكيد و الجمال ، كما في حالة ذكرهما (العبارتين)- كما أنّ الله -عزّ و جلّ- استعمل على لسان الشاهد صيغة الجمع (الكاذبين) بدل صيغة المفرد(كاذب) ، و (الصّادقين) بدل (صادق) ، حتّى يأخذ الاستدلال صبغة العموم و الشمول ، على أساس أنّ الحالات أو الحوادث المشابهة لهذه الحادثة , أي : حالات الكذب و الإدّعاء و الافتراء و الكيد و المكر كثيرة و متعدّدة حدثت و ستحدث إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، لأنّ الحياة مبنيّة على الصّراع بين الخير و الشرّ و الحقّ و الباطل، و الإيمان و الكفر و نداء الرّحمن و تربّص الشيطان . و لهذا جاءت بصيغة الجمع حتّى تأخذ صبغة الحكم الشامل أو القانون ، و القانون يشمل الجميع.

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، مج12 ص257

[2] محمد طاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، ج 12، ص258

و ربّما وظّف صيغة الجمع أيضا تخفيفا لوطأة الصّدمة على (العزيز) ، فهذه زوجته و ذاك غلامه الذي يكون الشاهد قد علم منزلته و معزّته عند سيّده ، فهو في مقام ابنه بدليل قوله تعالى على لسان (العزيز): ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾[1].

فهو و إن كذب ليس إلاّ واحدا من زمرة الكاذبين ، و إن صدق فليس إلاّ واحـــــدا من زمرة الصّادقين، لأنّ حرف الجرّ(من) هنا في هاتين العبارتين : «وهـــــــو من الكاذبين» و «وهو من الصّادقين» يفيد التّبعيض أي: أنّ يوسف ـ عليه السّلام ـ سواء كان كاذبا أو صادقا- فهو بعض من الكلّ.

و بدأ في استدلاله بامرأة (العزيز) و لم يبتدئ بيوسف -عليه السّلام- كونها هي المدّعية و (يوسف) هو المدّعى عليه، أو كما يقول **(سيّد قطب)** : « و قدّم الفرض الأول لأنّه إن صح يقتضي صدقها و كذبه، فهي السيّدة و هذا فتى ، فمن باب اللّياقة أن يذكر الفرض الأوّل[2]».

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[3].

و الذي رأى القميص و قال هذا الكلام هو (العزيز) لا محالة ، و قد استبان لديه براءة يوسف -عليه السّلام-، [4] حيث « تبيّن له حسب الشهادة المبنيّة على منطق الواقع أنّها هي التي راودت ، و هي التي دبّرت الاتّهام. ﴿قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ لباقة في مواجهة الحادث الذي يثير الدّم في العروق ، و تلطّف في مجابهة السيّدة بنسبة الأمر إلى الجنس كلّه، فيما يشبه الثناء ، فإنّه لا يسوء المرأة أن يقال لها: «إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ! فهو دلالة في حسّها على أنّها أنثى كاملة مستوفيّة لمقدرة الأنثى على الكيد العظيم! ».[5]

و ربّما أصاب**(سيّد قطب)** فيما رآه بأنّ مخاطبة (العزيز) لزوجته بصيغة جمع المؤنّث المخاطب فيه نوع من اللّطافة و اللّباقة في مواجهتها و تخفيف اللّوم عليها .

---

(1) سورة يوسف، الآية 21
(2) سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج12 ج4 ص1983
(3) سورة يوسف، الأية28
(4) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12 ص258
(5) ينظر : سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج12 ج4 ص1983

إذ أنّه أطلق صفة الكيد على جميع النّساء - بصيغة التّعميم- فلا ضير أن تكون زوجته واحدة منهنّ.

فعندما يعاتب الإنسان و يخاطب بضمير الجمع يكون ذلك أخفّ ضررا و ألما من أن يخاطب بضمير المفرد. كأن يعاتب أو يوبّخ الأستاذ أحد طلبته بغرض تنبيهه فيقول بصيغة الجمع المخاطب: (مستواكم متدنّ أو مستواكم في الحضيض) عوضا عن قول (مستواك بصيغة المفرد) فهو يعمّم الحكم ، و كأنّه يقصد كلّ طلبته ، و هذا قريب من باب التّعريض كأن يقول الأستاذ:(لا نجاح إلاّ للمجتهد) فيعلم الكسول بذلك أنّه غير معنيّ و أنّه خارج دائرة النّجاح دون أن يلجأ الأستاذ إلى التّخصيص أو التّعيين.

و بالإضافة إلى ذلك فإن مخاطبته لها بضمير الجمع المؤنث المخاطب (أنتنّ) ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾ فيه إشارة إلى أنّ النّساء - في الغالب- هنّ اللاّئي يتسبّبن و يحفّزن الرّجال على ارتكاب الفاحشة سواء بالدّعوة الصّريحة المباشرة أو بالدّعوة غير المباشرة حيث« تبيّن الدّراسات الميدانيّة المتعلّقة بالجنح و الجرائم أنّ النّساء يرتكبن جرائم جنسيّة أكثر من أي نوع آخر من الجنح و الجرائم ، مقارنة بالرّجال الذين يرتكبون جرائم السّرقة أكثر من النّساء[1]».

و من تعاليم الدّين الإسلاميّ الحنيف الدّعوة إلى سدّ أبواب هذه الفتنة(فتنة الزّنا) و اجتناب السّبل المؤدّية إلى ارتكابها.

و من ذلك قوله - سبحانه و تعالى-: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ

---

[1] مصطفى مولود عشوي ، سورة يوسف ، قراءة نفسية.الموقع: www.almaktabah.net/vb/showthread.php

ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾.[1]

و قوله -عزّ و جلّ- أيضا:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾.[2]

و بعد اللّوم الخفيف الذي وجّهه (العزيز) لزوجته، حاول أن يسدل السّتار عن هذه الفضيحة بكلّ برودة دمّ و كأنّ شيئا لم يكن، حيث قال - مخاطبا (يوسف) و زوجته - : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾[3].

« أمر (العزيز) يوسف - عليه السّلام - بالإعراض عمّا رمته به ، أي: عدم مؤاخذتها بذلك ، و بالكفّ عن إعادة الخوض فيه [4]» « و هذا هو المهمّ ، المحافظة على الظواهر[5]» ، و طلب من زوجته الاستغفار من ذنبها المتمثل في اتّهامها الكاذب و الباطل ليوسف - عليه السّلام - ، بمحاولة الاعتداء عليها ، و في كلامه عطف أمر على أمر و المأمور مختلف، فبعد أن خاطبها بأنّ ما دبّرته هو من كيد النّساء وجّه الخطاب إلى يوسف - عليه السّلام - بالنّداء ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ ثم أعاد الخطاب إلى المرأة﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ

---

[1] سورة النور : الآيتان 30-31
[2] سورة الأحزاب: الآية 59
[3] سورة يوسف: الآية 29
[4] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج12- ص258
[5] سيد قطب، في ظلال القرآن ، مج4 ج12 ص1983

ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾، و هذا الأسلوب من الخطاب يسمّى بالإقبال[1] و قد يسمّى بالالتفات، بالمعنى اللّغوي (الالتفات البلاغي) ، و هو عزيز في الكلام البليغ. و جعلها من زمرة الذين أخطؤوا تخفيفا في مؤاخذتها. [2] و خاطبها بصيغة الجمع المذكر الغائب (الخاطئين) ، و لم يخاطبها بصيغة الجمع المؤنّث الغائب (الخاطئات) لأنّ الخطيئة يشترك فيها الرّجال و النّساء ، أو بصيغة أخرى الخطيئة يرتكبها الرّجال و النّساء على مرّ العصور منذ أن خلق الله- سبحانه و تعالى- آدم -عليه السّلام- و لمّا كان الاشتراك في الخطيئة بين الجنسين توجّب عليه توظيف صيغة التّذكير (الجمع المذكر الغائب) في الخطاب , و يرى **(محمد علي أبو حمدة)** أنّ في خطابه لها بهذه اللّيونة و اللّطافة - ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾ - إشارة إلى أنّ المرأة قد كانت على درجة عالية من الفهم و المودّة لزوجها. [3]

أمّا **(مصطفى مولود عشوي)** فيقول: «رغم إدراك صاحب البيت لخيانة زوجته فإنّه لم يحاول إلاّ توجيه لوم بسيط إليها طالبا منها الاستغفار من ذنبها، فهل كان ذلك الرّجل داهية أم ديوثا؟ و هل كانت زوجته ذات سطوة تمنعه من رفع صوته في وجهها؟ أو مهما كان الأمر فإن غضب الرجل لم يؤد به إلى اتخاذ أي قرار حازم ضدّ زوجته، و لربّما التبس عليه الأمر و اختلطت انفعالاته فشعر بالحزن أكثر ممّا شعر الغضب[4]».

و اختلف مفسّرو القرآن في تحليل و تفسير ردّ فعل (العزيز) حيال زوجته بعد أن اكتشف خيانتها « فمنهم من قال: بأنّه كان قليل الغيرة و منهم من قال: كان حليما عاقلا. و لعلّه كان مولعا بها أو كانت شبهة الملك تخفف مؤاخذة المرأة بمراودة مملوكها[5]».

و السّؤال الذي يتبادر إلى الأذهان ، و يطرح نفسه بإلحاح هنا في ختام هذه الحادثة ، - و التي تمّ الفصل فيها بإقامة الشاهد للحجّة التي تمخّضت عنها الحقيقة

---

(1) قال المرزوقي في شرح الحماسة : و العرب تجمع في الخطاب و الإخبار بين عدة ثم تقبل و تلتفت من بينهم إلى واحد لكونه أكبرهم أو أحسنهم سماعا أو أ خصهم بالحال " محمد الطاهر بن عاشور : المصدر نفسه ص259

2 ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، الصفحة نفسها.

(3) ينظر محمد علي أبو حمدة ، في التذوق الجمالي لسورة يوسف، (دط) (دت) ، دار الهدى ، الجزائر، ص34

(4) مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف، قراءة نفسية.الموقع:

www.almaktabah.net/vb/showthread.php

(5) ينظر محمد الطاهر بن عاشور، المصدر نفسه ، ص258

المتمثلة في براءة يوسف ـ عليه السّلام ـ من تهمة الاعتداء الباطلة و إدانة امرأة (العزيز)- هو هل يعقل و هل من المنطق أن يتجرّأ غلام على الاعتداء و التّحرش بسيّدته و هي في بيتها ، الآمرة النّاهية، و لاشكّ أنّ في البيت حرس و خدم و جوار و إلى ما هنالك؟؟!! فهذا ضرب من الجنون، و أمر لا يتقبّله عقل، و لا يتصوره عاقل و لو فعل ذلك يكون قد فقد عقله و حكم على نفسه بالعقاب الشديد قبل الموت المؤكّد.

و بناء عل ذلك يدرك المتدبّر في الحادثة بعقله أنّها هي المسؤولة عن ذلـــــــك ، أي أنّ الأمر حدث بإرادتها و رغبتها هي.

3ـ حجاج امرأة العزيز لنسوة المدينة:

و لمّا بلغ امرأة (العزيز) ما أصبحت تردّده بعض النّسوة في المدينة ، إثر شيـــــــوع و ذيوع خبر المراودة من تقبيح لفعلها بمراودة فتاها عن نفسه، ، و معاتبتـــــــهنّ و احتقارهنّ لها و سخريتهنّ منها، راحت تخطّط لتردّ كيدهنّ و تصدّ مكرهنّ فنصبت لهنّ فخّا بأن أقامت لهنّ مأدبة في بيتها و أمرت (يوسف) بأن يخرج عليهنّ لتكشف ضعفهنّ أمام طلعته و جماله ، و ميلهنّ إليه و رغبتهنّ في الوقاع معه. تقيم ـ بذلك- عليهنّ الحجّة و ترفع عن نفسها الحرج و اللّوم.

﴿۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا

تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] .

إنّ خروج خبر المراودة خارج البيت أو القصر لدليل على وجود خدم و جوار فيه، هم الذين أفشوا السرّ حتّى وصل إلى نساء المدينة، و ربّما تكون امرأة (العزيز) أباحت السّر لإحدى صديقاتها للتّخفيف عن نفسها ، فانتشر الخبر و شاع بانتقاله من واحدة إلى أخرى حتّى أصبح حديث نساء المدينة « و ما يجري في القصور لا يمكن أن يظلّ مستورا ، و بخاصّة في الوسط الأرستقراطي ، الذي ليس لنسائه من همّ إلاّ الحديث عمّا يجري في محيطهنّ و إلاّ تداول هذه الفضائح و لوكوها على الألسن في المجالس و السّهرات و الزيارات»[2] ، حيث راح نساء المدينة يتحدّثن عن فضيحة امرأة(العزيز) في مراودتها لغلامها عن نفسه، و ينلن منها بتقبيح سلوكها و تصرّفها ، و إلقاء اللّوم عليها كونها السيّدة ذات المكانة و الجاه و السّلطة فهي زوجة كبير وزراء مصر فكيف تجرّأت على فعل هذا؟! و مع من؟!، مع غلامها! ، فأيّ ذنب عظيم ارتكبت؟! و أي عار لطّخت به سمعتها و سمعة زوجها و شرفها و شرف زوجها؟!.

« لقد كان سلوكها مصدرا لإثارة انفعالات التّعجب و التّقزز و الغضب عند نساء المدينة ، فأصدرن عليها حكما قاسيّا « إنّا لنراها في ضلال مبين» و كيف لا تكون في ضلال مبين و قد شغفت* بحبّ غلامها حبّا وصل إلى سويداء قلبها ، و سيطر على جوانحها سيطرة شديدة أفقدها صوابها و اتّزانها فراحت تراوده عن نفسه ، فكيف سمحت لها نفسها بالتّنازل لتقع في حبّ غلامها و تخون زوجها!؟»[3].

إنّه كيد الشيطان و وسوسته للنّفس الأمّارة بالسّوء التي تجعل صاحبها عبدا لشهواته و رغباته الغريزية ، فتفقده صوابه ؛ حيث يصبح يسعى فقط لإشباع هذه الرّغبات و الشهوات بأيّة وسيلة كانت دون احترام أو مراعاة لأيّ مانع كان، كالدّين و الأخلاق و المجتمع و العرف ، حينها يفقد الإنسان إنسانيّته من حيث هو إنسان إذ يفقد احترامه و عزّته و كرامته و رجولته و شخصيّته ككلّ.

---

(1) سورة يوسف، الآيات من 30-34

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن ج12، مج04 ص1983

* **" شغف"** فعل مشتق من اسم جامد، و هو الشغاف، و هو غلاف القلب، و هذا الفعل شل كبده و رآه وجهيه إذا أصاب كبده و رئته و جبهته" ابن عاشور: تفسير التحرير و التنوير ج12 ص260

(3) ينظر مصطفى مولود عشوي : سورة يوسف قراءة نفسية.الموقع :

www.almaktabah.net/vb/showthread.php

يقول **(ابن عاشور)** : « و مجيء (تراود) بصيغة المضارع مع كون المراودة مضت لقصد استحضار الحالة العجيبة لقصد الإنكار عليها في أنفسهنّ و لومها على صنيعها و جملة (قد شغفها حبّا) في موضع التّعليل لجملة (تراود فتاها) و جملة (إنّا لنراها في ضـــلال مبين) استئناف ابتدائيّ لإظهار اللّوم و الإنكار عليها. و التّأكـــــــيد بـ (إن) و اللاّم لتحقيق اعتقادهنّ ذلك، و الضلال هنا : مخالفة طريق الصّواب ، أي: هي مفتونة العقل بحبّ هذا الفتى و ليس المراد الضّلال الدّينيّ[1]».

إذا جاء حكم النّسوة على امرأة (العزيز) (بالضّلال المبين) نتيجة منطقيّة و حتميّـــة بعد ذكرهنّ و تبيانهنّ للسّبب المتمثل في مراودتها لغلامها، و إبداء تعجـــــــبهنّ و غضبهنّ و إنكارهنّ لهذا الفعل المشين.

فكيف كان ردّ فعلها على حكمهنّ عليها و موقفهنّ منها؟ لقد اعتبرت كلامهـــــــنّ و حكمهنّ مكرا للنّيل من قيمتها و من شخصيّتها، و لتردّ كيدهنّ و مكرهنّ وتقدّم الدّليل على صعوبة مقاومة هواها عمدت إلى امتحان سلوكهنّ بأن دعتهنّ إلى مأدبة قدّمت لهنّ فيها فاكهة و طعاما تستخدم في أكله السّكاكين ثم طلبت من (يوســـف) أن يخرج عليهن ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ ،

و من شدة انبهارهـــــــنّ و إعجابهنّ بجمال (يوسف) و بهائه رحن يقطّعن أيديهنّ بدل الفاكهة . و هذا دليل على كيفيّة تأثير الجانب الانفعاليّ في الجانب الجسميّ [2].

يبدو أنّ امرأة (العزيز) كانت على دراية بكيد و مكر بنات جنسها ، و ضعفهنّ في المواقف الجنسيّة ، حيث استطاعت بمكرها و خبرتها أن تدافع عن نفسها و تردّ كيدهنّ ، فبعد أن استضافتهنّ في بيتها ، طلبت من (يوسف) أن يخرج عليهنّ لتختبر سلوكهنّ و ردّ فعلهنّ إثر رؤيتهنّ له، و مدى قدرتهن على مقاومة ذهولهـــــــــن و انبهارهنّ و إعجابهنّ و حبّهن و افتتانهنّ به: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، ج12 ص261

[2] ينظر مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف قراءة نفسية.الموقع:

www.almaktabah.net/vb/showthread.php

وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[1]

فأقامت عليهنّ الحجّة إذ لو كنّ مكانها لفعلن مثلها.

و بعد نجاح مكيدتها و خطّتها راحت تعاتبهن على مؤاخذتهنّ و لومهنّ لها على مراودتها ليوسف -عليه السّلام - معترفة بمحاولتها متبجّحة و متفاخرة بذلك غير مستحية ، لأنّها أقامت عليهنّ الحجّة ، بل راحت تهدّده بالسّجن و الصّغار علنا - على مرأى و مسمع منهنّ - إن هو امتنع منها و لم يطعها فيما تأمره به مـــــــرّة أخرى ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ *﴿٣٢﴾ ﴾[2].

إن دلّ هذا التّهديد على شيء إنّما يدلّ على إصرار امرأة (العزيز) على ارتكاب المعصيّة (الفاحشة) دون حياء أو خوف، و بحضور النّسوة المبهورات -هنّ أيضا- بجمال يوسف - عليه السّلام - إذ يكشف السّياق أنّهنّ كنّ مفتونات فاتنـــــــــات في مواجهته و مراودته إمّا بالقول أو الحركات أو اللّفتات ، و خير دليل على ذلك هو فعلهنّ (سلوكهنّ) و قولهنّ لحظة رؤيته ، حيث قطّعن أيديهنّ بدل الفاكهة و قلن بصـــريح العبـــارة: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ مَاكَرِيمٌ هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ كردّ فعل على تأثرهنّ و افتتانهنّ بجماله الأخّاذ و بهائه منقطع النّظير.

فلم يجد يوسف -عليه السّلام - حلاّ و مخرجا من هذه الفتنة العظيمة إلاّ بالتّضرع إلى الله - عزّ و جلّ - لينقذه و يخلّصه منها مفضّلا السّجن على الوقوع في الخطيئة

---

[1] سورة يوسف ، الآية 31

* استعصم: مبالغة في عصم نفسه، فالسين و التاء للمبالغة، مثل: استمسك، و استجمع الرأي، و استجاب. فالمعنى أنه امتنع امتناع معصوم. و الصاغر: الذليل، و تركيب من الصاغرين أقوى في معنى الوصف بالصغار من أن يقال و ليوكنن صاغرا " عن ابن عاشور، تفسير التحرير التنوير ج12 ص254"

[2] سورة يوسف ، الآية 32

* أصب بمعنى (أمل) و الصبو الميل إلى المحبوب و الجاهلون : سفهاء الأحلام فالجهل هنا مقابل الحلم ."عن ابن عاشور : تفسير التحرير و التنوير" ج12ص266

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ

*إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .[1]

رفض يوسف - عليه السّلام - الاستجابة و الانصياع لطلب امرأة (العزيز) و إغراء النّسوة له -رغم أنّ النّفس البشريّة ميّالة توّاقة إلى الملذات و إشباع الرّغبات - و فضل السّجن و ما يلحقه فيه من معاناة و شقاء و آلام و أحزان على الوقوع في الهوى و ما يغضب الرّحمن « فالسّجن منجاة من كيد النّساء و فتنتهنّ التي يعلم يقينا بأنّه من الصّعب عليه مقاومتها إلى الأبد ، فهو قبل كلّ شيء إنسان و شابّ يافع قد بلغ أشده محاطا بكلّ أسباب الفتنة التي يفتقر إليها النّساء من حوله و هي الجمال و السّلطة و السّطوة و الوقاحة و قلّة الحياء و لكنّ (يوسف) يدرك تماما مصيره إذا استسلم لإغراء و فتنة النّساء و لهوى نفسه، فالمصير أن يوصم بالجهل[2]»

و هذا ما لا يليق بالمكانة و المرتبة التي شرفه و أكرمه الله - سبحانه و تعالى- بها بأن أتاه حكما و علما و جعله من عباده المحسنين و المخلصين ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ

فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾.[3]

إنّ استعمال حرف العطف (فـ) - الذي يفيد التّعقيب - كأداة ربط بين دعاء يوسف -عليه السّلام -المتضمّن في قوله تعالى : ﴿ و إلاّ تصرّف عنّي كيدهنّ ﴾ بلفظ (استجاب) فيه دلالة و إشارة إلى سرعة استجابة الله - سبحانه و تعالى - دعاءه بأن صرف عنه كيدهنّ[4] « و هذا الصّرف قد يكون بإدخال اليأس في نفوسهنّ من استجابته لهنّ بعد هذه التّجربة أو بزيادة انصرافه عن الإغراء حتّى لا يحسّ في نفسه أثرا منه أو بهما جميعا[5]».

يؤكد الله - سبحانه و تعالى - في قوله ﴿ إنّه هو السّميع العليم﴾ بالحرف المشبّه بالفعل (إنّ) و ضمير الشأن (هو) على إحاطته - سمعا و علما - بتفاصيل الحادثة، حادثة إغراء النّسوة ليوسف -عليه السّلام - و مراودة امرأة (العزيز) له و تهديدها

---

(1) سورة يوسف ، الآية 33
(2) مصطفى مولود عشوي : سورة يوسف ، قراءة نفسية.الموقع: www.almaktabah.net/vb/showthread.php
(3) سورة يوسف ، الآية 34
(4) ينظر ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، ج12 ص267
(5) سيد قطب، في ظلال القرآن : مج4 ج12 ص1985

إيّاهإن لـــــــم يستجب لطلبها ، و على امتناع(يوسف) و دعائه و تضرّعه لله - عزّو جلّ - كي ينقذه من هذه المحنة و يصرف عنه كيد النّساء.
فالله - سبحانه و تعالى – سميع لدعاء عبده و نبيّه – يوسف -عليه السّلام - سريع الإجابة لطلبه لأنّه عليم بإخلاصه و تقواه و خشيته له. و في هذا يقول **(ابن عاشور)**: «و جملة ﴿إنّه هو السّميع العليم﴾ في موضع العلّة لـ (استجاب) المعطوفة بفاء التّعقيب ، أي أجاب دعاءه بدون مهلة لأنّه سريع الإجابة و عليم بالضّمائر الخالصة[1]».

- قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[2].

رغم ظهور الأدلّة التي تبرّئ ساحة يوسف -عليه السّلام - و تدين امرأة (العزيـــز) و تكشف كذبها و كيدها و مكرها بشهادة الشاهد و رؤية القميص ممزّقا من دبـــــر و فشل النّسوة في محاولة إغوائه و إغرائه على ارتكاب المعصيّة (الفاحشة) بسبب امتناعه و اعتصامه على الرّغم من تهديد امرأة (العزيز) له بالسّجن و الصّغار أمامهنّ أن يفعل ما تأمره به , إلاّ أنّهم فضّلوا سجنه طمسا للحقيقة و ردءا للفضيحة و وقوفا عند رغبة امرأة (العزيز) و تنفيذا لتهديدها إيّاه « حتّى يظهر في صورة المجرمين بإرادته السّوء بامرأة العزيز ، و هي ترمي بذلك إلى تطويعه لها[3]» ظنّا منهـــــا أنّ عقوبة السّجن ستكسره و تذلّه و تجعله يرضخ لأوامرها و يستجيب لرغباتهـــا و نزواتها مستقبلا دون محاولة الامتناع و الاعتصام و الرّفض و الصّد مرّة أخرى.

4- الاستدلال في الدّعوة إلى الله:

استغلّ يوسف - عليه السّلام - فرصة طلب و استفسار رفيقيه في السّجن منه تأويل رؤيتيهما في الدّعوة إلى الله قبل تفسيرهما ، لأنّ حاجتهما إلى معرفة ذلك ستجعل منهما آذانا صاغية و تجعلهما أكثر انجذابا و انتباها و تركيزا و تأثرا بحديثـــــــه و رسالته، و هذا دهاء و فطنة و كياسة من يوسف - عليه السّلام - في تبليغ و توصيل رسالة ربّه إلى النّاس و إقناعهم بها، ألا و هي وحدانيّة الله - سبحانه و تعالـــــى - و عبادته وحده ، و تجنّب الشرك به - عزّ و جلّ -

---

[1] ابن عاشور، تفسير التحرير و التنوير ج12 ص267
[2] سورة يوسف : الآية 35
[3] ابن عاشور، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

و عبـــادة غيـــره . ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠ ﴾.[1]

بدأ يوسف ـ عليه السّلام ـ بمحاولة كسب ثقة السّجينين أكثر إذ راح يطمئنهما مسبّقا بإمكاناته و قدراته على تفسير الرّؤى ، فهو قادر حتّى على إنبائهما بالطّعام الذي سيرزقان به قبل أن يأتيهما أو يقدّم لهما ، لأنّ الله ـ سبحانه و تعالى ـ هو الذي أكرمه و وهبه هذا العلم اللّدني الذي سيؤوّل لهما به رؤياهما ، و تأتي عبارة: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي ﴾ في اللّحظة المناسبة من النّاحية النّفسية ليدخل بها إلى قلبيهما بدعوته إلى ربّه[2]، إلاّ أنّ **(ابن عاشور)** في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَا ﴾ فيرى : « بأنّه يعبّر لهما رؤياهما غير بعيد و جعل لذلك وقتا معلوما لهما و هو وقت إحضار طعام المساجين (...) و يظهر أنّ أمد إتيان الطّعام حينئذ لم يكن بعيدا كما دلّ عليه قوله ﴿ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَا﴾ من تعجيله لهما تأويل رؤياهما و أنّه لا يتريّث في ذلك»[3].

---

[1] سورة يوسف، الآيات 37-40

[2] ينظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، مج4 ج12 ص1988

[3] ابن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، ج12، ص270

و يعلّل هذه القدرة المعرفيّة و العلميّة - القدرة على تأويل الرّؤى و معرفة الغيب - بأنّ الله -عزّ و جلّ - هو الذي علّمه و وهبه هذا العلم الذي يعرف به الغيب و الرّؤى في إشارة إلى أنّ الله- سبحانه و تعالى- هو الذي يعلم الغيب و يطّلع عليه ، و هو الوّهاب الذي يهب و يمنح هذا العلم لمن يشاء و يصطفي من عباده ، و يوسف -عليه السّلام- أحد هؤلاء.

و هذا تلميح و تدرّج في إقناع الفتيين بوحدانيّة الله -عزّ و جلّ - و تنزيهه عن الشرك,و تأكيدا على ذلك عمد يوسف - عليه السّلام - إلى عقد مقارنة بين العقيدة الفاسدة -عقيدة الكفر و الشرك بالله -و العقيدة الصّحيحة السّليمة - عقيدة توحيد الله - سبحانه و تعالى - و عبادته وحده دون سواه من مخلوقاته على اختلاف أنواعها و أشكالها و مسمياتها حيث قال : «قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨ [1] » ، فراح يؤكّد للفتين بأنّه ترك ملّة الشرك و الكفر و عدم الإيمان باليوم الآخر و البعث التي كان عليها القوم الذي نشأ فيهم و هم (الكنعانيون) ، و القوم الذين شبّ فيهم و هم (القبط) ، و ربّما أراد (الكنعانيين) باعتبارهم قومه تعريضا بالقبط الذين ماثلوهم في الشرك ، حتّى لا يحرج الفتيين القبطيين فينفّرهما من موعظته لهما[2]. كما راح يؤكّد على إتباعه للمنهج العقائديّ الصّحيح و السّليم الذي سلكه و انتهجه آباؤه (إبراهيم) و (إسحاق) و (يعقوب)- عليهم السّلام - ألا و هو ملّة التّوحيد الخالص لله - عزّ و جلّ - الخالي من شوائب الشرك ، و هي فضل من الله عليهم إذ جعلهم موحّدين مهتدين و على كلّ النّاس الذين اتّبعوا هديهم و حذوا حذوهم ، يقول **(سيّد قطب)**: « و الهداية إلى التّوحيد فضل من الله على المهتدين ، و هو فضل في متناول النّاس جميعا لو اتجهوا إليه و أرادوه, ففي فطرتهم أصوله و هواتفه ، و في الوجود من حولهم

[1] سورة يوسف ، الآيات 37-38
[2] ينظر : ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير، ص272

موحياته و دلائله ، و في رسالات الرّسل بيانه و تقريره[1]». و لكنّ الكثير من النّاس يجحدون هذه النّعمة التي منّ الله عليهم بها و لا يشكرونه عليها.

و أمّا **(ابن عاشور)** في تفسيره الآية: ﴿ و اتّبعت ملّة أبائي .... يشكرون﴾.

فقال : « و ذكر آبائه تعليما بفضلهم و إظهارا لسابقيّه الصّلاح فيه، و أنّه متسلسل من آبائه و قد عقله من أوّل نشأته ثمّ تأيّد بما علمه ربّه فحصل له بذلك الشرف العظاميّ و الشرف العصاميّ . و لذلك قال النّبيّ -صلّى الله عليه و سلّم- لمّا سئل عن أكرم النّاس -:" **يوسف** بن **يعقوب** بن **إسحاق** بن **إبراهيم** نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي"(...)و جملة ﴿ذلك من فضل الله علينا ﴾ زيادة في الاستئناف و البيان لقصد التّرغيب في اتّباع دين التّوحيد بأنّه فضل, ﴿و على النّاس﴾ أي الذين يتّبعونهم و هو المقصود من التّرغيب بالجملة. و أتى بالاستدراك بقوله «و لكنّ أكثر النّاس لا يشكرون» للتّصريح بأنّ حال المخاطبين في إشراكهما حال من يكفر نعمة الله[2]».

ثم يتوغّل يوسف ـ عليه السّلام ـ شيئا فشيئا في لطف و لين في حديثه إليهما بهدف التّأثير فيهما و إقناعهما بفساد معتقدهما و بطلان ما يعبدون من دون الله و دعوتهما إلى توحيد الله ـ سبحانه و تعالى ـ و تنزيهه عن الشرك , فيناديهما بلفظة (صاحبين) تقرّبا و تحبّبا إليهما ، قصد التّأثير فيهما عاطفيّا ليستمعا و يصغيا إلى رسالته ليدخل بذلك في صلب الموضوع ألا و هو الدّعوة إلى الله و الابتعاد عن الشرك و يطرح القضيّة بطريقة موضوعيّة[3]، أي بفسح المجال للعقل و المنطق للفصل في القضيّة -قضيّة وحدانيّة الله و أحقيّته بالعبادة ، أو تعدّد الآلهة - ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ؟﴾ « سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها و يهزّها هزّا شديدا ... إنّ الفطرة تعرف لها إله واحدا، ففيم إذن تعدّد الأرباب؟[4]». حيث عمد يوسف- عليه السّلام- في هذا الاستفهام التّقريري إلى عقد مقارنة و مفاضلة من تعدّد الآلهة في هذا الوجود أو الكون ، و بيّن إله واحد له الحكم المطلق و السّلطان الدّائم ـ حيث يقتضي تعدّد الآلهة اختلافا في الحكم و تفرّقا في وضع نظام الكون و تسيير شؤونه ، حيث يتصرّف كلّ إله فيما خلق من موجودات واقعة تحت سلطانه دون

---

(1) سيد قطب : في ظلال القرآن الكريم ، ص1989

(2) ابن عاشور : تفسير التحرير و التنوير- ص272-273

(3) ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن - مج4 ج12 ، ص1989

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

أن يعيدوها إلى ما هو تحت سلطان غيره، و بذلك يسود الكون الخلل و الاضطراب و الفوضى و اللاّاستقرار و تستحيل الحياة ليصل بذلك إلى إقناعهما بأن حال المنفرد بالألوهية أعظم و أغنى فيرجعان عن اعتقادهما الفاسد بالتّعدّد. و كان القبط يعتقدون بنحو ثلاثين آلهة أكبرها و أعظمها (**آمون**) (**رع**) ثمّ (**أوزوريس**) ، و (**أزيس**) و (**هوروس**). [1]

و في سياق هذا الموضوع يقول ربّ العزّة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾[2] ﴾ و قال أيضا - سبحانه و تعالى- : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾[3] ﴾ .

و بعد هذا التدرّج في الاستدلال و الحجاج قصد إقناع الفتيين بفساد معتقدهما المتمثل في تعدّد الآلهة و بطلان عبادتهما لها ، و ضرورة تصحيح ذلك بتوحيد الله - عزّ و جلّ - و إفراده بالعبادة انتقل يوسف - عليه السّلام - إلى الطريقة المباشرة و الدّعوة الصّريحة لإقناعهما ، فقال : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾[4] ﴾ ، فحكم ببطلان عبادتهما لآلهة متعدّدة من دون الله هذه الآلهة التي لا أساس لها من الصّحة ، فهي لا تنفع و لا تضرّ ، و إنّما هي نابعة من اعتقاد فاسد عنهما ، و عن آبائهما في تسمية مخلوقات و تأليهها و عبادتها . و دعاهما إلى توحيد الله - سبحانه و تعالى- و تنزيهه عن الشرك لأنّ الحكم كلّه يؤول إليه وحده - سبحانه و تعالى - و بيده ملكوت

---

[1] ينظر ابن عاشور : تفسير التحرير و التنوير، ص274 - 276
[2] سورة الأنبياء، الآية 22
[3] سورة المؤمنون ، الآيتان 91-92
[4] سورة يوسف ، الآية 40

كلّ شيء و لهذا وجبت له العبادة وحده -عزّ و جلّ - دون سواه و ذلك هو الدّين الصّحيح الذي يجهله الكثير من النّاس.

5- المحاجّة لإثبات براءة يوسف أمام الملك:

بعد أن فسّر يوسف - عليه السّلام - رؤيا الفتيين طلب من الذي ظنّ أنّه ناج منهما من الإعدام بأن يذكره عند ربّه (الملك) عسى أن يطلق سراحه إلاّ أنّه نسيه بسبب الشيطان الذي شغله بالدّنيا و هواها، فبقي في السّجن سنين أخرى ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾[1].

و في هذه الآية دليل على أنّ النّسيان من عمل الشيطان، حيث يسعى جاهدا ليمنع الإنسان عن أمور الخير، و يحول بينه و بين ما فيه النّفع و الصّلاح له و للنّاس في دينهم و دنياهم. و من الطّرق و الأساليب التي يمنع بها الشيطان الإنسان عن فعل الخير النّسيان؛ فالنّسيان إذن من الشيطان و لولاه لتذكّر الفتى ما أوصاه به يوسف-عليه السّلام- و هو أن يذكره عند الملك.

يقول **(محمد علي أبو حمدة)**: « و إذن يكون الشيطان قد نجح في إعاقة مسيرة يوسف -عليه السّلام -بضع سنين من خلال ثغرة النّسيان[2]».

و لكنّه (الفتى) تذكّر بعد أن رأى الملك رؤيا و طلب من الملأ تفسيرها و عجزوا عن ذلك و قالوا : «إنّها عبارة عن أضغاث أحلام، و طلب من الملك أو المسؤولين في القصر بأن يرسلوه إلى السّجن ليطلب من يوسف - عليه السّلام - تفسير هذه الرّؤيا ، فكان له ذلك. ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[3]».

و بعد هذه الحبكة الفنّيّة في تسلسل أحداث القصّة و مشاهدها ، و إيجاز بعضها و حذف بعضها الآخر و التي تعكس البلاغة القرآنيّة في دقّة التّعبير

---

(1) سورة يوسف الآية 42
(2) محمد علي أبو حمدة"في التذوق الجمالي لسورة يوسف" مرجع سابق ، ص36
(3) سورة يوسف : الآية 46

و عبقريّة التّصوير لبلوغ الغاية من هذه القصّة المتمثلة في توصيل و تبليغ ما اشتملت عليه من عبر و مواعظ إلى النّاس قصد الاتعاظ و الاعتبار منها.
تأتي الفرصة السّانحة و المواتية ليوسف -عليه السّلام- كي يثبت براءته قبل أن يخرج من السّجن و يصبح من المقرّبين من الملك : ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ ﴾[1] .

نجح يوسف ـ عليه السّلام ـ بعد تأويله رؤيا الملك في جلب احترام و اهتمام هذا الأخير و إقناعه بإعادة التّحقيق في قضيّة المراودة التي دخل بسببها إلى السّجن ، حيث لمّا أرسل الملك في طلبه أبى أن يخرج منه حتّى تظهر و تثبت براءته من التّهمة المنسوبة إليه، فطلب من مبعوث أو رسول الملك بأن يعود إلى سيّده و يطلب منه بأن يسأل النّسوة و يستفسر هن عن سبب تقطيعهنّ لأيديهنّ و طلب يوسف ـ عليه السّلام ـ من الملك توجيه السّؤال إلى النّسوة دون ذكر امرأة (العزيز) خوفا من عزوفه (الملك) عن التّحقيق في القضيّة مراعاة لمنصب و مكانة (العزيز) كما أنّ النّسوة يوم المتّكأ سمعن اعتراف و إقرار امرأة (العزيز) ـ أمامهنّ- بأنّها

[1] سورة يوسف ، الآيات 50-55

راودت (يوسف) عن نفسه . الأمر الذي يسهّل على الملك تحرّي و استقصاء الحقيقة و ذلك منتهى الحكمة في البحث و غاية الإيجاز في الخطاب. [1]

و لمّا فعل ذلك اكتشف الحقيقة المتمثلة في براءة يوسف ـ عليه السّلام ـ. يقول **(الشعراوي)** : «الخطب هو الحدث الجلل غير العادي (...) و هو يدلّ على أنّ الملك سمع الحكاية بتفاصيلها فاهتزّ لها و اعتبرها خطبا»[2] ، و الخطب هو الشأن المهمّ من حالة أو حادثة [3] »أو هو «الأمر الجلل و المصاب»[4].

و بالإضافة إلى أنّ سؤال الملك جاء صريحا و مباشرا و موجزا في اتّهام النّسوة بمراودة يوسف ـ عليه السّلام ـ عن نفسه فإنّه تضمّن شدّة و قوّة و صرامة في الطّرح بدليل توظيفه للفظ ﴿خطبكنّ﴾ الذي يدلّ على الأمر العظيم الجلل، و لفظ (راودتّن) .
الذي يوحي بالاتّهام المباشر ـ بحيث لم يترك لهنّ مجالا للكذب أو التّردّد في الإجابة إلاّ في الاعتراف بالحقيقة و الشهادة بالحقّ ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ ﴾ و هذه شهادة حيّة من النّسوة على حسن أخلاق يوسف ـ عليه السّلام ـ المتمثلة في الطّهارة و العفاف. و على إثر هذه الشهادة لم تجد امرأة (العزيز) بدّا أو وسيلة للنّكران إلاّ الاعتراف الصّريح ـأمام الملك ـ بكيدها و ذنبها و خطئها مبرّئة يوسف ـعليه السّلام- من هذه التّهمة الباطلة : ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

في الوقت الذي تشهد فيه النّسوة بحسن خلق يوسف ـ عليه السّلام ـ تشهد امرأة (العزيز) بأنّ الحقّ حصحص أي : (ثبت و استقرّ) [5] أو هو بمعنى : «ظهور حصّة الحقّ على حصّة الباطل» [6]. ثمّ تعترف بأنّها هي التي راودت (يوسف) عن نفسه مقدّمة ضمير المتكلّم (أنا) الذي يفيد تخصيصها بالمراودة دون غيرها. يقول **(أحمد**

---

[1] ينظر ابن عاشور تفسير التحرير و التنوير ج12 ص289
[2] محمد متولي الشعراوي :"تفسير الشعراوي" مج11 ص6989 - 6990
[3] ابن عاشور : المصدر نفسه، ص290
[4] سيد قطب : في ظلال القرآن ، مج4 ، ج12، ص1995
[5] الزمخشري ، الكشاف ، مج2 ص327 و ابن عاشور : تفسير التحرير و التنوير ، ص291
[6] الشعراوي ، تفسير الشعراوي ـ مصدر سابق ، ص6990

جمال الدّين) : «و تقديم المسند إليه (أنا) لنفى أدنى شكّ قد يساور المتلقي في حدوث المراودة من غيرها أي : أنّ امرأة(العزيز) تريد أن تزيل أدنى ريبة في (يوسف) ، و ذلك بإقرار الانفراد بالمراودة و الاستبداد بها و هذه هي الدلالة العميقة المتوخّاة من تقديم المسند إليه على المسند»[1]. كما جاء في قول امرأة (العزيز) ﴿أنا راودته عن نفسه﴾ و قول يوسف ـ عليه السّلام ـ ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ متوافقين في تبرئة ساحة يوسف ـ عليه السّلام ـ من تهمة المراودة و حصرها في امرأة (العزيز) . و ما زاد اعتراف امرأة(العزيز) قوّة و تأكيدا إثباتا و حسما هو تعزيزها و إردافها له بقولها ﴿و إنّه لمن الصادقين﴾ موظفة مؤكّدين (إنّ) و (اللاّم) لتنفي عنه شبهة المشاركة في المراودة[2].

إنّ في كلامها المؤكد هذا دليل على شعورها بالنّدم على الخطأ الذي ارتكبته في حقّ يوسف ـ عليه السّلام ـ و المتمثل في اتّهامها له كذبا و افتراء، و سجنه ظلما و باطلا. و فيه التماس للعذر و العفو و السّماح منه علّها تحظى باحترامه و مودّته، حيث تعلّل سبب اعترافها و شهادتها بالحقّ حتى تقنع يوسف- عليه السّلام ـ بندمها على الذنب الذي اقترفته في حقه ، و صدق توبتها و عدم خيانته و غيبته موظفة اسم الإشارة (ذلك) و حرف التّعليل(اللاّم) و حرف التّوكيد (إنّ) في قولها : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[3].

فهي و إن كانت – فيما مضى – قد اتّهمته زورا و بهتانا و في حضوره فإنّها -اليوم- تعترف بالحقيقة في غيابه.

و تمضي قدما في تعليلها و تبريرها ملتمسة العفو و الصّفح من يوسف- عليه السّلام- مؤكّدا خطأها و ندمها عليه ، راجية و طامعة في مغفرة الله ـ سبحانه و تعالى ـ في قولها : ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[4] .

تؤكّد امرأة (العزيز) بأنّ النّفس أمّارة بالسّوء مشيرة إلى نفسها التي أمرتها بالسّوء، أي: بالهوى و الخضوع إلى نداءات اللّذة و التّعسف في استخدام السّلطة وفي قولها : ﴿و ما أبرّئ نفسي﴾ ثم تتحدّث بصيغة التّعميم ﴿ إنّ النّفس أمّارة

---

(1) أحمد جمال الدين ، لغة الحوار في سورة يوسف ، دراسة أسلوبية ص (narratology-eg-.com/Ahmed Gemels17)
(2) ينظر أحمد جمال الدين "لغة الحوار في سورة يوسف ، دراسة أسلوبية"(narratology-eg-.com/Ahmed Gemels).
(3) سورة يوسف ، الآية 52
(4) سورة يوسف ، الآية 53

بالسّوء﴾ لأنّ النّفس البشريّة بطبيعتها ميّالة إلى الرّغبات و الشهوات و لهذا فكلّ إنسان معرّض للخطأ و الزلل إلاّ من حفظه الله ـ سبحانه و تعالى ـ و وفقه إلى كبح جماح نفسه و صدّها عن المحرّمات و المعاصي.

و ربّما تحدّثت بصيغة التّعميم ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ و لم تقل (إنّ نفسي أمّارة بالسّوء) تعليلا و تبريرا و تخفيفا لخطئها و التماسا للعفو و الصّفح من يوسف ـعليه السّلام ـعلى أساس أنّ كلّ النّاس معرّضون للخطأ و هي واحدة منهم و ليست معصومة « و لاشكّ أنّ الانفعالات التي سيطرت عليها في هذه اللّحظات قد تمثلت في الشعور بالإثم و النّدم على ما بدر منها و الغضب على سلوكها مع مسحة من الحزن»[1] . ثم تؤكّد بأنّ الله ـ سبحانه و تعالى ـ يغفر ذنب و معصية عبده إذا تاب توبة نصوحا ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مستعملة حرف التّوكيد (إنّ) و صيغة المبالغة (غفور) في إشارة إلى أنّ الله ـعزّ و جلّ ـ كثير المغفرة لعباده رحيم بهم ، و عساها أن تكون منهم. و هذا دليل على صدق توبتها و رجوعها إلى الله ـعزّ و جلّ ـ ، و في هذا المقام جاء عن النّبيّ ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ أنّه قال: " قال الله – عزّ و جلّ – أنا عند ظنّ عبدي بي و أنا معه حيث يذكرني ، و الله ، لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالّته بالفلاة ، و من تقرّب إليّ شبرا تقرّبت إليه ذراعا ، و من تقرّب إليّ ذراعا تقرّبت إليه باعا و إذا أقبل يمشي أقبلت إليه أهرول "[2] .

و في هذا الحديث دليل على حبّ الله ـسبحانه و تعالى ـ لعباده الذين يتقرّبون إليه بالتّوبة و الاستغفار.

و كأنّي بامرأة (العزيز) أرادت من وراء هذا الاعتراف و التّأكيد و التّعليل و التّبرير ـأيضا ـ الوصول إلى هدف ألا و هو إقناع يوسف ـعليه السّلام ـ بأن يسامحها و يصفح عنها . فإذا كان الخالق ـ سبحانه و تعالى ـ يقبل توبة عبدهو يغفر ذنوبه إذا ندم عليها و أقلع عنها، فكيف للمخلوق يوسف ـعليه السّلام ـ ألا يسامح و لا يعفو؟!

---

[1] مصطفى مولود عشوي، المرجع نفسه.الموقع:www.almaktabah.net/vb/showthread.php

[2] مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب التوبة، ص1126

و لمّا علم الملك الحقيقة، و أدرك صدق و أمانة وطهارة يوسف-عليه السّلام - أرسل في طلبه و جعله من المقرّبين: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ ﴾[1] .

و قول الملك ﴿أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ ﴾ بمعنى أجعله خاصّا بي أعمل معه و أستشيره في أمور الحكم ، و هذا نظرا لما أبداه من حكمة و علم و حسن خلق و صبر على تحمّل المشاقّ ، و هذه الصّفات و الميزات علامات و مؤهّلات الرّجل الذي يصلح للحكم و السّلطة ، أو هي مؤهلات الحاشية و البطانة الصّالحة التي يستشيرها الملك فتشير عليه بالرّأي الصائب و السّديد الذي ينفع الرّعية أو تأخذ بيده في تسيير دوالب الحكم و تنظيم شؤون الحياة و العدل بين النّاس و لذلك قال له الملك: ﴿ إنّك اليوم لدينا مكين أمين﴾أي: ذا مكانة و مرتبة عظيمة ؛ مرتبة الحكم و الجاه و السّلطان ، أمين في تأديّة هذه المهمّة و المسؤوليّة و حفظها ممّا يدلّ على أنّ يوسف - عليه السّلام - كلّم الملك كلاما حكيما ، فلمّا رأى حسن منطقه و بلاغة قوله و أصالة رأيه فتبيّن له بأنّه أهل للثقة و المسؤوليّة[2] . فهو مقرّب ذو مكانة و سيادة بعيدا عن العبوديّة أومن على نفسه من السّجن و الذلّ و الهوان[3]، ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ و طلب يوسف - عليه السّلام - من الملك بأن يجعله أمينا على المال لأنّه من يعلم أنّه بإمكانه المحافظة عليه من الضّياع و كيفيّة توزيعه بالعدل على النّاس في أيّام الجدب و القحط.

6- حجّة يوسف للإبقاء على أخيه:

بعد معرفة يوسف - عليه السّلام- لإخوته عندما جاؤوا للكيل، و جهلهم له، اشترط عليهم إحضار أخيهم الصّغير ليكيل لهم، وردّ بضاعتهم في أكياسهم، فما كان لهم إلاّ أن عادوا إلى بلدهم و ديارهم ، و ناشدوا والدهم و استعطفوه بأن يسمح لهم باصطحاب أخيهم الصّغير استجابة لطلب (العزيز) ، و رغبة و طلبا للكيل ، و بعد أن أحضروه إليه كال لهم لإبقاء أخيه عنده،

---

[1] سورة يوسف ، الآية 54

[2] ينظر : ابن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير، ج13 ص07

[3] ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن مج4 ج13 ص2005

فجعل السّقاية في رحل أخيه ليثبت عليه السّرقة، و يطبّق عليه الشريعة المعمول بها آنذاك في معاقبة السّارق بأن يؤخذ عبدا لدى المسروق له.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

في هذه الآيات الكريمة تفصيل للمكيدة التي دبّرها و نفّذها يوسف -عليه السّلام- للإبقاء على أخيه عنده و هذا بجعل السّقاية في رحل أخيه كدليل مادّيّ لإدانته بفعل السّرقة -بالاتّفاق مع شقيقه طبعا- أمام إخوته و تحكيم شريعتهم في عقوبة السّارق.

---

[1] سورة يوسف ، الآيات 74-75

يقول **(ابن عاشور)**: «و إسناد جعل السّقاية[1] إلى ضمير (يوسف) مجاز عقليّ و إنّما هو آمر بالجعل و الذين جعلوا السّقاية هم العبيد الموكّلون بالكيل (...) و إضافة الصّواع إلى الملك لتشريفه و تهويل سرقته على وجه الحقيقة لأنّ شؤون الدّولة كلّها للملك. [2] ».

و بعد اتّهامهم بالسّرقة إخوة (يوسف): ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ راحوا يدفعون عن أنفسهم هذه التّهمة الخطيرة و يدافعون عن براءتهم بكلّ قوّة و صرامة ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾.

و هنا يتحقق ما كان يريده و يرغب فيه يوسف - عليه السّلام - ألا و هو تحكيم و تطبيق القانون أو الشريعة التي يتحاكم و يتعامل بها إخوة (يوسف) في بلدهم (الشام) ، بخصوص عقوبة السّارق و التي تتمثل في استرقاق السّارق أي: أخذه عبدا لدى المسروق له: «قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ » [3] و بذلك يتسنّى ليوسف -عليه السّلام - تنفيذ خطّته بكلّ سهولة و لباقة ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [4]

فيوسف بدأ بأوعية إخوته غير الأشقاء قبل وعاء أخيه الشقيق كي لا يثير شبهة في نتيجة التّفتيش [5] و ليضلّلهم بأنّ الأمر غير مدبّر [1]، إذ لو بدأ بوعاء

---

[1] **السقاية :** إناء كبير يسقي بع الماء و الخمر ،و الصواع : و عاء للكيل يقدر بوزن رطل و ربع أو ثلث. و كانوا يشربون الخمر بالمقدار ، و يجعلون آنية الخمر مقدرة بمقادير مختلفة ، فيقول الشارب للساقي: رطلا أو صواعا أو نحو ذلك. فتسمية هذا الإناء سقاية و تسمية صواعا جاريه على ذلك ، و في التوراة سمي طاسا و وصف بأنه من فضة : ينظر ابن عاشور ، التحرير و التنزير ج13 ص28/27

[2] ينظر ابن عاشور : التحرير و التنوير ، نفس الصفحة

[3] سورة يوسف ، الآيتان 74-75

[4] سورة يوسف ، الآية 76

[5] سيد قطب ، في ظلال القرآن، مج4 ج13 ص2020

أخـــــيه و استخرج السّقاية منه لشكّ إخوته في الأمر ، و لتكشّـــــــــفت مكيدته و خطـّـــــــته ، و لكن(يوسف) بهذه الطّريقة جعلهم يقتنعون بسرقة أخيهم دون أن يراودهم أي شكّ في ذلك رغم أنّهم يعرفون أخلاقه و تربيّته تربية يعقوب ـ عليه السّلام ـ ، فبـــــدل أن يدافعوا عنه راحوا يثبتون عليه التّهمة و يورّطونه، و الأدهى و الأمر قذفهم لأخيهم(يوسف) بالسّرقة زورا و بهتانا ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾[2].

لقد غضب يوسف ـعليه السّلامـ من ردّ فعل إخوته و افترائهم عليه و على أخيه﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ ﴾ إذ بدل الدفاع عن أخيهم الصّغير راحوا يثبتون و يؤكّدون عليه التّهمة بل يقذفون بها أخاهم (يوسف) بالباطل محاولين بذلك تبرئة أنفسهم و إقناع (العزيز) و فتيانه بأنّهم برّاء من هذا الجرم جرم ـالسّرقةـ و الـــــذي لا يمكن أن يصدر عنهم ، و إنّما يصدر عن أخويهم من أبيهم (يوسف)و أخيـــــه حتّى أنّهم ترفّعوا عن الانتساب إلى(يوسف)و أخيه ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ « حيث لم يقولوا «أخانا» في إشارة إلى أنّهم هم الشّرفاء و الأتقيـــــاء و المتخلّفون و الصّالحون ... » و هذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على الكره و الحقد الشديدين الذين يكنّهما إخوة (يوسف) له و لأخيه ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ و رغم الغضب الشّديد الذي اعترى يوسف ـ عليه السّلام ـ نتيجة ادّعاء و افتراء إخوته عليه بالسّرقة إلاّ أنّه تمالك نفسه و كظم غيظه « و أعرض عن زجرهم و عقابهم مع أنّها طعن فيـــــه و كذب عليه» و هذا حتّى لا تنكشف مكيدته و خطّته في الإبقاء على أخيه عنـــــده إذ لو عاتبهم أو عاقبهم لتعرّفوا عليه و اكتشفت بذلك خطّته و لهذا أسرّها في نفســه و لم يبدها

---

(1) ينظر مصطفى مولود عشوي ، سورة يوسف ، قراءة نفسية.الموقع:

www.almaktabah.net/vb/showthread.php

(2) سورة يوسف ، الآية 77

لهم . إلاّ أنّ ما رآه من مكر إخوته و حقدهم و ظلمهم له و لأخيه لم يثنه عن القول: ﴿ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾.

ثم ماذا سرق يوسف- عليه السّلام- ؟!.

إنّه الكذب و البهتان و ربّما - غرضا - كانوا يقصدون سرقة (يوسف) محبّة أبيهم منهم و انفراده بإيثاره له و تفضيله عليهم.

و لكن حتّى و لو كان ظنّهم أو اعتقادهم كذلك فإنّه لا يبرّر جرمهم و ظلمهم ضدّ أخيهم يوسف و أبيهم يعقوب - عليهما السّلام - ؟!.

ثمّ إنّ يعقوب -عليه السّلام - كان يحبّ أبناءه جميعا، و خير دليل على ذلك هو قوله لهم: ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1].

فنداؤه لهم بلفظة (بنيّ) توحي بالمحبّة الأبويّة و تحمل في طيّاتها معاني الرّحمة و العطف و الحنان.

و الغرض من النّداء هو لفت انتباه أبنائه إلى أمر مهمّ سيقوله و يوصيهم به و تمثل في نصحهم عن طريق النّهي﴿لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ ﴾ و الأمر﴿وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ .

فنهى يعقوب - عليه السّلام - لأبنائه على الدّخول من باب واحد و طلب منهم بأن يدخلوا من أبواب متفرّقة كان خشية العين و الحسد و حرصا عليهم من أن يصيبهم مكروه - جماعة أو مجتمعين - لدليل قاطع على محبّته لهم.

ثم إنّ رعاية الصّغار و العطف عليهم و الميل إليهم طبيعة في البشر، كونهم ضعافا يحتاجون إلى حنان آبائهم و عطفهم و رعايتهم حتّى تكتمل شخصيّتهم.

فإذا كانت الحيوانات بغريزتها -التي خلقها الله عليها- ترعى و تحمي صغارها حتّى تكبر و تصبح قادرة على العيش بمفردها و حماية نفسها، فما بالك بالإنسان الذي خلقه الله في أحسن صورة و وهبه نعمتي العقل و العاطفة معا ؟!

و بعد أن أقام يوسف -عليه السّلام - الحجّة على إخوته في الإبقاء على أخيهم الصّغير عنده بعد استخراج صواع الملك من وعائه و إثبات جرم السّرقة عليه

---

[1] سورة يوسف ، الآية67

و اقتناع إخوته بسرقته و إثباتها عليه باتّهام شقيقه (يوسف) بهذه الجريمة- أيضا- تذكّروا الوعد الذي قطعوه لأبيهم بالمحافظة على أخيهم : ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾[1].

فراحوا يستخدمون التّأثير النّفسيّ و العاطفيّ كأسلوب إقناعيّ لاستمالة قلب يوسف-عليه السّلام- و إثارة شفقته ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾[2].

و تمثل هذا التّأثير النّفسيّ و العاطفيّ في استعطافهم ليوسف -عليه السّلام- بأن يأخذ أحدهم بدل أخيهم الصّغير لأنّ له أبا شيخا كبيرا لا يمكنه تحمّل مثل هذه الصّدمـــــة و بخاصّة أنّه مازال يعاني ألم الفراق و مرارة الحزن على ضياع يوسف - عليه السّلام-.

و حتّى يحققوا الاستجابة و الرّد الإيجابيّ عن طلبهم -المتمثل في إبقاء أحدهم عوضا عن أخيهم الصّغير- راحوا يمدحون و ينعتون (العزيز) يوسف -عليه السّلام- بالإحسان للتّأثير عليه و استمالة قلبه، و للمدح أثره الكبير على النّفس في تغيير المواقف و الأحكام أحيانا، إلاّ أنّ أسلوبهم هذا باء بالفشل لأنّ يوسف -عليه السّلام- رفض اقتراحهم و رأى فيه ظلما: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[3] فردّ حجّتهم بحجّة أخرى أكثر إقناعا و هي وجوب معاقبة المجرم الحقيقيّ على جريمته إذ لا يجوز شرعا أن يتحمّل بريء عقوبة جرم لم يقترفه بدلا عن المذنب أو مرتكب الجريمة بدليل قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾[4].

---

[1] سورة يوسف، الآية 66
[2] سورة يوسف الآية78
[3] سورة يوسف ، الآية79
[4] سورة النّجم: الآية 38

و في هذا الموقف يقول(**مصطفى مولود عشوي**): « و نلاحظ أنّ حجّة إخوة (يوسف) في استعطافهم للعزيز قائمة أساسا على تجنيد الجانب الوجدانيّ عند (العزيز) لعلّه يلين و يستجيب لاستعطافهم. و لكنّ ردّ (العزيز) كان منطقيّا و عقلانيّا إذ رفض استعطافهم مبرّرا ذلك بإقامة العدل إذ ليس من العدل أن يأخذ شخص ما بجريمة شخص آخر. و كيف يقام العدل إذا أطلق (المجرم) الذي تثبت عليه (السّرقـــــــة) و يسجن (البريء)؟!» [1]

لقد ألزم يوسف(العزيز) - عليه السّلام- إخوته بحجّة دامغة مقنعة لم تترك لهم مجالا لمحاولات الاستعطاف و التّوسل. فكانت حجّته أقوى من حجّتهم ، إذ أنّه لو استجاب لطلبهم بأخذ أحدهم بدل أخيهم الصّغير ، لغاب العدل و ساد قانون الغاب ، و أصبح البقاء للأقوى لا للأصلح.

[1] مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف ، قراءة نفسية.الموقع :

www.almaktabah.net/vb/showthread.php

خـــاتـــمـــة

خاتـــمة

إنّ الباحث في القرآن الكريم عموما، و القصص القرآني على وجه الخصوص ليجد متعة و لذّة و جاذبيّة في دراسته سواء من ناحية الشّكل أوالمضمون، بإعجازه اللّغوي المتمثّل في عظمة اختيّار الألفاظ و انسجامها، و دقّتها في تأدية المعانـــي، و في عبقريّة نسج التّراكيب و حسن صياغتها، و بإعجازه المضموني أو العلمي فيما يحمله من معان سامية، و أخلاق عالية ، و أحكام عظيمة ، و مقاصد طيّبة ، تحقّق جميعها للبشرية السّعادة الدنيويّة و الأخرويّة.

و اختصّ القصص القرآني بسرد أخبار الأنبيّاء و الرّسل الصّالحين، و وصف تسلّط و تجبّر الطّغاة المشركين، و أخبـــار الأمـــم الغابـرة، بغرض وعظ أمّة محمد ـ عليه الصّلاة و السّلام ـ و إرشادها لتستلهم العبر و الدّروس، فتهتـــدي إلى سواء السّبيل.

و لعلّ سورة يوسف واحدة مـن هذا القصـص الذي يجسّـد هذه القيـــم و الدّروس و العبر انطلاقا من سرد يوسف - الصبيّ- رؤياه على والده ، و نصح هذا الأخير له بإخفاء الأمر عن إخوته خوفا عليه من أذيّتهم وصولا إلى تحقّق هذه الرؤيا ؛ رؤيا يوسف النبيّ - عليه السّلام – و بين الرّؤيا و تحقّقها حيـاة يوســف و أبيه الملأى بالابتلاءات و المحن و الأحـزان و الأشجان و الآلام و الآمال و بالصّبر و التّجلّد، و الدّعاء و التضرّع و تفويض الأمر للّه –عزّ و جلّ-

فيوسف – عليه السّلام – يرمى في البئر صبيّا فترعاه العنايـة الإلهيّـة ، و يستخرج من الجبّ و يباع رقيقا و يشتريه عزيز مصر لتتحقّق له أسباب العيش الرّغيـد و الحياة الهنيّة ، إلى أن يصير شابا قويّا وسيما ، فتراوده امرأة العزيز عن نفسه فيمتنع و تتعفّف نفسه الأبيّة ، و يدخل السجن ظلما و قهرا، فيدعو إلى ربّه بالحكمة و الحجّة القويّة و يؤوّل رؤيا السجينين ، ثم رؤيا الملك ، فيحظى باهتمامه و يقرّبه منه فيصبح عزيز مصر و أمين خزائنها ، لتتحقّق رؤياه بأن سجد له أبواه و إخوته سجود التحيّة.

إنّ المتدبّر في سورة يوسف يستشفّ ما تعكسـه من قـيـم أخلاقيّة و اجتماعيّـة و سياسيّة و اقتصاديّة و علميّة ، و معالم ثقافيّة و حضاريّة، كالدّعـوة إلى الله و الدّعاء و التضرّع و تفويض الأمر للّه – سبحانـه و تعالـى- و الصّبر و العفو و السّماحة و الحكمة و التّخطيط الاقتصـاديّ و العدل و أدب الحوار و المعاملة.

و يستخلص بالمقابل ما يناقض ذلك من سوء أخلاق و معاملـــة، كالكـــذب و الحسد و الكره و المكر و الكيد و مخالفة الوعد، و الغدر...، و ينتصر في الأخير الحقّ على الباطل و الخير على الشرّ، فيتبيّن أنّ عمر الشرّ قصيـــر و لو طال أمده، و أنّ الله - عزّ و جلّ – يظهر الحقّ و ينصره، و يزهـــق الباطـــل و يدحضـــه ولو بعد حين.

و رغم تعدّد و تنوّع الدّراسات و البحوث في القرآن الكريم و قصصه - قديما وحديثا- و لاسيما في سورة يوسف ، إلا أنّها لم تغـــن الباحثـــين و الدّارسيـــن من مواصلة البحث ، بل زادت من فتح شهيّتهم لذلك ؛ بأن كانت منطلقا لبحـــوث و دراسات جديدة أخرى ، و هكذا دواليك سيبقى القرآن الكريم و قصصه المادّة الخام التي لا تنفذ و المعين الذي لا ينضب ، مصداقا لقوله تعالى :﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً (109) ﴾ سورة الكهف: الآية 192

و في هذا دليل على أنّ علوم القرآن بحر زاخر ليس له قرار، و أن العقل البشريّ لا يمكن أن يحيط بها جميعا، و أنّ البحث و الاكتشاف فيهـــا مستمـــرّ و متواصل و لا ينتهي إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

فالقرآن الكريم – إذن- لا تنتهي علومه و لا عجائبه كونه حجّة النبيّ- صلى الله عليه و سلّم- على النّاس، و معجزته الخالدة إلى يوم الدّين، حيث جاء فـــي الأثر: « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، و خبر ما بعدكم ، و حكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبّار قصمه الله، و من ابتغى الهدى في غيره أضلـــه الله، و هو حبل الله المتين، و هو الذّكر الحكيم، و هو الصّراط المستقيم، هو الـــذي لا تزيغ به الأهواء و لا تلتبس به الألسنة، و لا يشبع منه العلماء و لا يخلـــق عن كثرة الردّ، و لا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجنّ إذ سمعته حتّى قالـــوا:﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ سورة الجنّ: الآية 1-2 مـــن قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حكم به عدل، و من دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»

انطلاقا من هذا البحث يمكن أن أقدّم بعض التّوصيّات، و أخصّ منها:

1- إقامة ندوات و مؤتمرات تهتمّ باستراتيجيّات و أساليب الإقناع في القرآن الكريم، و بطرق الحوار و المحاجّة فيه للاستفادة منها في ترقيّة الخطاب اليومي بين النّاس و في الدّعوة إلى الله و في الردّ على الخصوم.
2- اعتماد استراتيجيّات و أساليب الإقناع القرآنية في مناهج التّدريس و طرق التّعليم لتحقيق نتائج إيجابيّة في عمليّة تبليغ و توصيل المعلومـات و الأفكار و الدّروس للطّلبة، و الرّفع من مستواهم العلميّ.
3- تشجيع البحث في القرآن الكريم باعتباره أساس اللّغة العربيّة و قمّة بلاغتها و علومها.
4- تنظيم ندوات تعالج و تدرس جماليّة البناء القصصي في القصص القرآني على غرار قصّة يوسف – عليه السّلام- للرّفع من مستوى القصّة الفنّية العربيّة.

و ليس لي في الأخير إلاّ أن أحمد الله- سبحانه و تعالى- لأن وفّقني لإتمام هذا البحث المتواضع، وأسأله – عزّ و جلّ- أن يكون عملا موفّقا و نافعا – آمين.

مـــــــــــلـــــــــــحـــــــــــق

﴿سورة يوسف﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢
نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن
قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا
وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ
إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ
يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ
يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦ ۞
لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا
يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا
تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠
قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا
يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن
يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ
إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ

لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾
قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ
لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ
فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا
يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ
﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ
أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ
وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ
ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا
عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ
مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ
رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾
وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ
أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ
وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ
﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا

قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ
عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي
ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ
مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ
مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا
هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ
رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ
ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي
كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ
حِينٖ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ
ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ
مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن
يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ
هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن
نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ

﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا
مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا
ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾
وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ
فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ
يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي
رُءۡيَايَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ
بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ
﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ
سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ
سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي
مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي
مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا
جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي
بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن

نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا
يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ
قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ
عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا
مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟
يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠
خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟
سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ
ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ
ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى
ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ
يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن
يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا

تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن
شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ
مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ
يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨
وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٦٩ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١ قَالُواْ
نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ
عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ
كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ
كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ
دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ
لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ
أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا
مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا
مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ

كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ
فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾
ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا
كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا
لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن
يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ
يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي
وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن
يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ
مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ
عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ
قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا
يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا
لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ
﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ

أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ
عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾
قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟
مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ
هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ
ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى
لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى
مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى
مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ
لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم
بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ
ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا

نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾

صدق الله العظيم

في رحاب سورة يوسف

1- التّعريف بالسّورة:

سورة يوسف تأتي في المرتبة الثّانيّة عشر حسب ترتيب المصحف الشّريف،وتقع في الجزء الثّاني عشر أيضا ، نزلت بعد سورة (هود) و قبل سورة (الحجر)، و هي السّورة الثّالثة و الخمسون في ترتيب نزول السّور على قول الجمهور، عدد آياتها إحدى عشر و مائة آية(111)[1]، و هي وإن كانت سورة مكيّة إلاّ أنّها جاءت مختلفة و متميّزة نوعا ما عن باقي السّور المكيّة بتلك الموسيقى الدّاخلية التي أعجز جرسها أساطين اللّغة و البلاغة من أهل مكّة فأذهلتهم و حملتهم على الاستجابة لسحرها[2].

فهي تمثّل الحسن و الجمال و العظمة في « ألفاظها و تعابيرها و أدائها وقصصها الممتع اللّطيف، تسري مع النّفس بسريان الدّم في العروق، و تجري ـ برقّتها و سلاستها ـ في القلب جريان الرّوح في الجسد، فهي و إن كانت من السّور المكيّة التي تحمل ـ في الغالب ـ طابع الإنذار و التّهديد إلاّ أنّها اختلفت عنها في هذا الميدان ، فجاءت طريّة نديّة في أسلوب ممتع لطيف ، سلس رقيق يحمل جو الأنس والرّحمة و الرأفة و الحنان ». و لهذا قال **(خالد بن معن)** «سور(يوسف) و (مريم) ممّا يتفكّه بهما أهل الجنّة في الجنّة»، و قال **(عطاء)** : «لا يسمع سورة (يوسف) محزون إلاّ استراح إليها »[3].كيف لا يستريح لها مهموم أو محزون ، بعد قراءته أو سماعه لسورة (يوسف)، و معرفة ما تعرّض له يوسف ــ عليه السّلام- من ابتلاءات و محن و أحزان ، و هو من هو! نبيّ مختار، فواجهها كلّها بالصّبر على قدر الله ـ سبحانه و تعالى- و تفويض الأمر إليه ـ عزّ و جلّ- فجزاه الله خير الجزاء على صبره، و أعزّه بأن صار عزيز مصر.

ومن الطّبيعي أن يشعر القارئ بالذهول أمام هذا التّعبير الرّبانيّ و ينجذب لنسقها و حلاوة نسجها « كيف لا وناظم كلامها وصانعها هو صانع الحياة نفسها ، وإنّك إذ تقرأ هذه السّورة أو تستمع إلى من يقرأها لتحسّ بموسيقى عذبة علويّة ترافق ما يتراءى لك فيها من صور الحياة الإنسانيّة وما تقرأه من ورائها من أحكام القضاء وسطور القدر»[4]«، فسورة (يوسف) جمعت و زاوجت بين جماليّة الأسلوب و عظمة المضمون ، جمعت بين تلك الموسيقى الدّاخليّة النّاجمة عن حسن تجاور الألفاظ و العبارات و تناسقها ، و بين

---

[1] ينظر أحمد نوفل : سورة يوسف دراسة تحليلية ط2 ـ ص23

[2] ينظر : محمد علي أبو حمدة :في التذوق الجمالي لسورة يوسف ص 21

[3] الصابوني محمد علي : صفوة التفاسير مج 02 ، ط 4 ص 29

[4] محمد مبارك : دراسة أدبية لنصوص من القرآن ط :4 ، ص 81

المعاني ، و الغايات السّاميّة التي اشتملت عليها، لتصل إلينا مؤثّرة مقنعة ، بغرض الاقتداء و الاعتبار».

و هي أيضا « نموذج للآيات التي تتناول بالعرض المفصّل حياة الأنبياء و محيطهم النّفسيّ و الاجتماعيّ، و ما لاقوه في سبيل الدّعوة إلى الحقّ من متاعب و أهوال وأحزان... و هذه السّورة نموذج للصّراع بين الحقّ و الباطل ، و بين العقل والهوى، و بين المصالح المبنيّة على الأنانيّة و خدمة المصلحة العامّة للأسرة والمجتمع و الإنسانيّة و هذه السّورة مثال واقعيّ يبيّن أنّ المظلوم قد يعامل كظالم و البريء قد يصبح متّهما و أنّ الشخص مهما علا مقامه و مكانته قد يحكم عليه زورا و بهتانا و يودع السّجن مع المجرمين» [1]، فيصبر لقضاء الله و قدره، و يرضى بحكمه و لا يقنط من رحمته، حتّى يفرّج الله كربه، فيذهب عنه الهمّ و الحزن، و ينصره على من ظلمه ، و يعلي مقامه.

2- أسباب نزولها:

لقد وردت روايات مختلفة في كتب التّفاسير تتحدّث عن أسباب نزول سورة (يوسف) منها ما أورده **(الزمخشري)** في كشافه: « أنّ علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمّدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ و عن قصّة (يوسف)» [2] و قيل أنّه طلب من الرّسول - صلّى الله عليه و سلّم - أن يقصّها عليهم فنزلت[3].

وقيل إنّ السّورة نزلت تسلية للنّبيّ - صلّى الله عليه و سلّم - ، و تخفيفا عليه في ظرف عصيب عانى فيه الشدائد إذ توفّي سنداه : زوجته (خديجة) و عمّه(أبو طالب)، فكان عام الحزن ، و كابد في ذات الوقت تكذيب و أذى قريش له و لأصحابه ، فكانت هذه السّورة إيذانا لمحمّد - صلّى الله عليه و سلّم - بالفرج بعد الصّبر على الشّدة امتثالا و اهتداء بدروسها وعبرها [4]، فأكثر النّاس ابتلاء هم الأنبياء و الرّسل (عليهم السّلام) لأنهم قدوة و أسوة لأقوامهم و أممهم في الصّبر على المصائب و الهموم و الأحزان.

و سورة (يوسف) أيضا تأكيد على صدق نبوءته خاصّة أمام المشركين و اليهود المعاندين والحاسدين، فالقصّة كانت غيبا لا يعرفه محمّد - صلّى الله عليه و سلّم - إلاّ بعد أن أوحى إليه، قال تعالى:﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ

---

[1] مصطفى مولود عشوي، سورة يوسف ، قراءة نفسية، (www.Aluka.net/culture/1045/page/3)

[2] الزمخشري : الكشاف مج 2 ص 300

[3] ينظر : مختصر تفسير ابن كثير - تحقيق : محمد علي الصابوني مج 2 ص 239

[4] ينظر : محمد علي الصابوني " صفوة التفاسير ج 2 ص 39، وسيد قطب في ظلال القرآن مج 4 ، ج12، ط15 ، ص 1949

لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] و قال تعالى أيضا: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[2]

و هاتان الآيتان تثبتان عدم معرفة محمّد- صلّى الله عليه و سلّم- لقصّة (يوسف) قبل نزول الوحي ، و التي ورد ذكرها قبل ذلك في التّوراة و الإنجيل، و علمه بها بعد نزول الوحي ، دليل قاطع على صدق ما جاء به - صلّى الله عليه و سلّم- و إفحام لليهود، و حجّة عليهم و على المشركين الذين كذّبوا و شكّكوا في نبوءته.

3- ملخص القصّة:

سيّدنا يوسف ابن لسيّدنا يعقوب - عليهما السّلام -، الأقرب و الأحبّ إلى قلبه من بين أبنائه بحكم الصّبا و الصغر، ليزداد و يتعاظم هذا الحبّ بعد أن قصّ عليه رؤياه المتمثلة في سجود أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر،عرف بأنّه سيكون له شأن عظيم في المستقبل ، فحذره من قصّ رؤياه على إخوته خشية أن يكيدوا له ، ووقع ما كان يخشاه يعقوب - عليه السّلام - بالفعل من مكر أبنائه و إيذائهم لأخيهم (يوسف)،إذ غيّبوه في غيابة الجبّ بدافع حسدهم له ، وغيرتهم من حبّ أبيهم المفرط له ، و تشاء العناية الإلهيّة أن تلتقطه قافلة باتّجاه مصر أين يباع(لعزيزها) الذي يؤويه في بيته إلى أن يبلغ أشدّه و قد أعطاه الله من الحكمة و الجمال ما جعل النّسوة ذوات الجاه والمال و السلطان يفتتن به ، و يراودنه إلى درجة تقطيع الأيدي بالسّكاكين ، فهذه امرأة (العزيز) تراوده عن نفسه فيستعصم و يمتنع ولا يمتثل لرغبتها ، فيزجّ به في السّجن رغم ظهور دليل براءته و هو تمزيق القميص من الخلف، أين يلتقي برجلين فيدعوهما إلى توحيد الله - سبحانه و تعالى- ، و يؤوّل لهما رؤييهما ، و يطلب من الذي نجا منهما أن يذكره عند الملك، و لكن تشاء قدرة الله أن ينسى فيلبث يوسف -عليه السّلام- في السّجن بضع سنين أخرى، و يأتي الفرج بعد رؤيا الملك التي استعصى تفسيرها على الملأ فتذكر السّاقي (يوسف)، و دلّهم عليه فأوّلها و أبى أن يخرج حتى تظهر براءته و يقتنع بها الجميع، و كان له ذلك باعتراف زوجة العزيز ذاتها بذنبها و عفّة(يوسف) و براءته من التّهمة الباطلة، فقرّبه الملك و ولاّه على خزائن مصر وقوفا عند طلبه.

---

[1] سورة يوسف الآية 102

[2] سورة يوسف الآية 03

و يشاء الله أن تأتي سنوات الجوع و القحط و لاسيما في البلاد المجاورة التي لم تكن مستعدة لمثل هذا الخطب، لتأتي الوفود إلى مصر طالبة الغوث و المدد ، فيحلّ إخوة يوسف ـ عليه السّلام- فيمن يحلّون ، فيعرفهم دون أن يعرفوا و يشترط عليهم إحضار أخيهم الأصغر وإلاّ منع عنهم الكيل، فيجتهدون في إحضاره ، و ما إن يفعلوا حتّى يحتجزه(يوسف) بحجّة أنّه سرق ، و على إثر هذه الفاجعة يتعاظم حزن يعقوب -عليه السّلام -على فقد ابنيه ، و يفقد بصره من فرط البكاء، ليستردّه عندما يلقي البشير على وجهه قميص يوسف -عليه السّلام-، و يتم اللّقاء بمصر, و يجتمع الشمل من جديد و تتحقّق بهذه رؤيا يوسف -عليه السّلام - بأن سجد له أبوه و إخوته الأحد عشر سجود التّحية.

المصادر و المراجع

ـالمصادر و المراجع:

1- **القرآن الكريم** برواية حفص عن عاصم.

2- ابن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر**، تحقيق :محمد محي الدين، مكتبة و مطبعة مصطفى البادي، القاهرة،1939.

3- ابن الظافر الشهري، عبد الهادي، **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004.

4- ابن العربي، محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت،دت

5- ابن جني، أبو الفتح عثمان،**الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، الجزء الأول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط4، 1990.

6- ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2003.

7- ابن رشد، الوليد، **فصل المقال فيما بين الحكمة و الشريعة من الاتصال**، تحقيق: محمد عمارة، المؤسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع،القاهرة، ط3، 1986.

8- ابن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير و التنوير**، ج12 و ج13 ، الدار التونسية للنشر،تونس،1984.

9- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ، **تفسير ابن كثير**، الجزء 2 ، دار الفكر،بيروت، 1407ه/1986م.

10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل،البداية و النهاية، ط1، مكتبة الصفا، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، 1423ه/2003م.

11- ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، و مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط2، 1993.

12- ابن نبي، مالك، **الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين**، دار الفكر، دمشق، ط4، 1987.

13- ابن وهب، اسحاق بن ابراهيم، **البرهان في وجود البيان**، مطبعة الرسالة، بيروت، 1969.

14- أبو أصبع، صالح خليل، **الاتصال الجماهيري**، دار الشروق، عمان، ط1، 1999.

15- أبو حمدة، محمد علي، **في التذوق الجمالي لسورة يوسف**، دراسة نقدية إبداعية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
16- أبو عرقوب، إبراهيم، **الاتصال الإنساني و دوره في التفاعل الاجتماعي**، دار المجدلاوي للنشر و التوزيع، الأردن، ط1 ،1993.
17- إحدادن، زهير، **مدخل لعلوم الإعلام و الاتصال**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دت).
18- أحمد خلف الله، محمد، **الفن القصصي في القرآن الكريم**، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، (دط)، 1965.
19- أحمد رشتي، جيهان، **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.
20- أحمد زكي، بدوي، **معجم مصطلحات الإعلام**، دار الكتاب المصري، القاهرة، و دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985.
21- الألمعي، زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط3، 1404ه.
22- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (دت).
23- بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، 1984.
24- بناني، محمد الصغير، **النظريات اللسانية و البلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1 ،1994.
25- التومي،محمد،الجدل في القرآن،فعالية في بناء العقلية الإسلامية، شركة الشهاب،الجزائر،(دت)
26- الجرجاني، عبد القاهر،**دلائل الإعجاز**، سلسلة الأنيس موفم للنشر، الجزائر،1991.
27- ـــــــــ،ـــــــــ **مختصر تفسير ابن كثير**،دار القرآن، بيروت، ط2، مج2، 1981.
28- الجردي، نبيل عارف، **مقدمة في علم الاتصال**، مكتبة الإمارات، 1985.
29- جوهر، صلاح الدين، **علم الاتصال، مفاهيم و نظريات، ومجالات**، مكتبة عين شمس،القاهرة،1980.
30- حسان تمام، **البيان في روائع القرآن**، دراسة لغوي أسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000.

31- الحفني، عبد المنعم، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، مكتبة مدبولي، مصر،ط3، 2000.
32- خرما، نايف، **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1978.
33- الخطيب، عبد الكريم، **القصص القرآني في منطوقه و مفهومه**، دار الفكر العربي، القاهرة.
34- درويش محمد الطاهر، **الخطابة في صدر الإسلام، العنصر الديني، عصر البعثة الإسلامية**، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت.
35- دلفلير ملفين، وساندرا بروكتيش، **نظريات وسائل الإعلام**، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، ط5 ، 2004.
36- دليو، فضيل، **مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1998.
37- دي سوسير، فاردیناند، **محاضرات في الألسنية العامة**، ترجمة يوسف غازي و محمد النصر، المؤسسة الجزائرية.
38- رضا، محمد، **معجم متن اللغة**، (دط)، مج1، منشورات دار الحياة، بيروت، 1908.
39- الزركشي، بدر الدين، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،ط1، 1958.
40- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار المعرفة، بيروت، مج2.
41- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، **أساس البلاغة**، دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت،1984.
42- الزيات، أحمد حسن، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، ط2 ، 1967.
43- سلامة، إبراهيم، **بلاغة أرسطو بين العرب و اليونان، دراسة تحليلية نقدية تقارنية**، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ط2، 1952.
44- سيد محمد،محمد، **الإعلام و اللغة**، عالم الكتب، القاهرة، 1982،
45- ـــــــ،ـــــــ **الصناعتين: الكتابة و الشعر**، تحقيق :علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط2،دت ....
46- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ط1،دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 2003.

47- الشايب، أحمد، **الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية**، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط6، 1966.
48- شرف، عبد العزيز، **علم الإعلام اللغوي**، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 2000.
49- ـــــــــ،ـــــــــ أسرار البلاغة، مطبعة وزارة المعارف، القاهرة،ط2، 1979.
50- الشعراوي، محمد متولي ، **تفسير الشعراوي**، قطاع الثقافة، مج11 ، ج11 -12 ،
51- شلبي، كرم، **معجم المصطلحات الإعلامية**، دار الشروق، بيروت، ط1، 1989.
52- الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، قصر الكتاب، شركة الشهاب، الجزائر، ج2. بدون
53- تاريخ.
54- ـــــــــ،ـــــ **المسؤولية الإعلامية في الإسلام**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، 1986.
55- الصرايرة، محمد نجيب، **العلاقات العامة : الأسس و المبادئ، مكتبة الرائد العلمية**، الأردن، 2001.
56- صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني و مكتبة المدرسة، بيروت، 1982.
57- الطنوبي، محمد عمر، **نظريات الاتصال**، مكتبة الإشعاع الفنية،مصر،ط1، 2001..
58- ظاظا، حسن، **اللسان و الإنسان**، مطبعة المصري، دت.
59- عبد الباقي، محمد فؤاد،**اللؤلؤ و المرجان فيما اتفق عليه الشيخان(البخاري و مسلم)**، دار الحديث ، القاهرة، 1424ه/2003م.
60- عبد النور، جبور، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979.
61- عبده، محمد، **الأعمال الكاملة**، تحقيق و تقديم: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 1993.
62- عتيق، عبد العزيز،**علم المعاني**، دار النهضة العربية ، بيروت،1984.
63- ـــــــــ **علم البيان**، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، 1988.
64- العسكري، أبو هلال، **الفروق في اللغة**، دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط4، 1963.
65- ـــــــــ،ـــــــــ شرف، عبد اعزيز، **نماذج الاتصال**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2003.
66- عشراتي، سليمان، **الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998.

67- العمري، محمد، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، مدخل نظري و تطبيقي في دراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجا، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.
68- عودة، محمود، أساليب الاتصال و التغير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، 1998.
69- العيد عبيد، عاطف عدلي، **مدخل إلى الاتصال و الرأي العام**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1999.
70- عيد، رجاء، **فلسفة البلاغة بين التّقنية و التّطور**، منشأة المعارف، الإسكندرية ، ط2، 1988.
71- عيسوي، عبد الرحمن، **دراسات في علم النفس الاجتماعي**، دار النهضة العربية، بيروت،01974.
72- فضل الله، محمد حسين، الحوار في القرآن؛ قواعده، أساليبه؛ معطياته،ط6 ،دار الملاك، بيروت، 1421ه/2001م.
73- فياض، محمد جابر، **البلاغة و الفصاحة لغة و اصطلاحا**، دار المنارة للنشر و التوزيع، جدة،ط1، 1989.
74- القرطاجني،حازم، **منهاج البلغاء و سراج الأدباء**، تحقيق: محمد بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس،1966.
75- القرطبي، محمد ابن أحمد،**الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي،ط2، 1952.
76- القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، **سنن بن ماجه**، دار بن حزم، بيروت،ط1، (دت).
77- القطان، مناع خليل، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988.
78- قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط15، 1408ه/1988م.
79- الكرماني، محمود بن حمزة، **أسرار التكرار في القرآن** ، المسمى ب البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة و البيان، (ت نحو 505ه) دراسة و تحقيق: احمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب، عوض، دار الفضيلة،
80- مالك،بن أنس بن مالك، الموطّأ،دار الكتب العلمية، لبنان، ج1 ،
81- المبارك، محمد، **دراسة أدبية لنصوص من القرآن الكريم**، دار الفكر ،بيروت، ط4، 1973.
82- محمود، عزّت، محمد زيد، **قاموس المصطلحات الإعلامية إنجليزي عربي**، دار الشروق للطباعة ، بيروت، 1984.

83- المسدي، عبد السلام، **اللسانيات و أسسها المعرفية**،الدار التونسية للنشر، تونس، و المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986.

84- مسلم، أبو الحسين، **صحيح مسلم**، تحقيق و تخريج: أحمد زهرة، و أحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت،1429ه/2008م.

85- مصباح، عامر، **الإقناع الاجتماعي**، ديوان المطبوعات الاجتماعية، الجزائر،

86- مصطفى، معتصم بابكر، **من أساليب الإقناع في القرآن الكريم**،كتاب الأمة، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الدوحة، ط1، 2003.

87- مكاوي، حسن عماد، و سيد، ليلى حسين، **الاتصال و نظرياته المعاصرة**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط3، 2002.

88- ناصف، مصطفى، **اللغة و التفسير و التواصل**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1995

89- النخلاوي، عبد الرحمن، **من أساليب التربية الإسلامية**؛ التربية بالحوار، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1421،1ه/ 2000.م

90- نوفل، أحمد، **سورة يوسف؛ دراسة تحليلية**، دار الفرقان للنشر، ط2، 1999.

91- الوعر، مازن، **قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث**، دار طلاس،دمشق،ط1 ،1993.

92- وهبة، مراد، **المعجم الفلسفي**، (دط)، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 1998.

93- يحي عبد المجيد، العلاقات العامة بين النظرية الحديثة و المنهج الإسلامي،مكتبة القرآن، القاهرة، 2001م.

94- يوسف، أحمد، **سيميائيات التواصل و فعالية الحوار، المفاهيم و الآليات**، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2004.

ـالمجلات و الملتقيات و المحاضرات:

95- أبو الخير، محمد فؤاد، **التّواصل و الاتّصال**، المجلة الجزائرية للاتصال، العدد08، ت:1992.

96- السّامرائي، فاضل صالح، **أسرار البيان في التعبير القرآني**، و هو عنوان لمحاضرة ألقاها ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2002.

97- التويجري، عبد العزيز بن عثمان، محاضرة المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، يونسكو، في أعمال الملتقى الدولي حول شروط الحوار المثمر بين الثقافات و الحضارات، منشورات المجلس الأعلى الإسلامي ، الجزائر،2000.

98- بوحوش، رابح، **الخطاب الأدبي و ثورته اللغوية على ضوء اللسانيات و علم النص،** مجلة اللغة و الأدب، ديسمبر 1997.

99- مرتاض، عبد الجليل، **اللغة العربية و الاتصال،** مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال الموسم الثقافي ، الجزائر، 2000.

ـالرّسائل الجامعية:

100- ابن الطاهر، بن عيسى، **أساليب الإقناع في القرآن الكريم،** مع دراسة تطبيقية لسورة الفرقان، رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب، جامعة الأردن ، 1990.

101- برقان، محمد، **الاتصال ألإقناعي من خلال فن الخطابة،** مقاربة نظرية مع دراسة تحليلية لنماذج من خطب الإمام علي بن أبي طالب، رسالة لنيل درجة الماجستير في علوم الإعلام و الإعلام ، كلية الآداب و اللغات، قسم علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر، 2000.

102- محمود عثمان، ضمرة، **الحوار في القرآن الكريم،** أطروحة ماجستير في أصول الدين، بكلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،2005.

103- صيني، سعيد إسماعيل،**شروط القائم بالاتصال عند المسيحيين و المسلمين،** أطروحة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم الإعلام، 1988.

104- سعود، مريم، **البعد التصويري في القرآن الكريم،** سورة يوسف نموذجا، مذكرة معدّة لنيل الماجستير تخصص الأدب قديما و حديثا،كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر، 2006.

ـالمواقع الإلكترونية:

105- التعريف بشخصيات العلماء و الباحثين الأجانب.

الموقع:www.wikipedia.arg

106- جمال الدين، أحمد، أستاذ بكلية الآداب الإسماعيلية، جامعة قناة السويس، **لغة الحوار في سورة يوسف**، دراسة أسلوبية (أقوال يوسف و إخوته وامرأة العزيز نموذجا) .

الموقع: ***www.narratology-eg.com/ahmed gamal***

107- دفة بلقاسم، **بنية الخطاب السردي في سورة يوسف،دراسة سيميائية**،

الموقع: ***www.adablado.net/daffa-htm***

108- مرتضى مازن، **الإعلام و التبليغ، قراءة في المصطلح و الوسائل**،موسوعة أطلس العالم.

الموقع: ***www.uofislam.net/uofislam/view.php***

109- مسلم مصطفى، **النظم القرآني؛ جزالته و تناسقه**.

الموقع: ***www.vb-alfris-net***

110- عشوي مصطفى مولود، **سورة يوسف، قراءة نفسية**، أستاذ في الإدارة و التسويق، جامعة الملك فهد للبترول و المعادن، الظهران، المملكة العربية السعودية.

الموقع: ***www.almaktabah.net/vb/showthread.php***

ـالمصادر و المراجع باللّغة الأجنبية:

111- Amado, Gille, et André Guitlet, **dynamique des communications** dans les groupes, Armand colin, Paris,1993.

112- Breton, Philipe**, L'argumentation dans la communication**, casbah édition, 2eme éd, Alger, 1998.

113- Gschwind Holtzer, Gisele, **Analyse sociolinguistique de la communication**, Crédif, Hatier, France, 1981.

114- **Grand Larousse encyclopédique**, Librairie Larousse.paris.1984.

115- Jakobson, Roman, **essais de linguistique générale**, rapports internes et externes du langage, T2, Minuit, Paris, 1973.

116- Larousse , **dictionnaire de français**, eurolivre a Manche court, France,2005.

117- Lazar, Judith, **Sociologie de le communication de masse**, Armand colin, Paris, 1991.

118- Nouveau **dictionnaire analogique**, Référence Larousse, Paris, 1981.

119- Sfez, lucien, **dictionnaire critique de la communication**, T1, puf, 1993.

120- Lenet, Michel**, l'état annonceure, technique doctrine et morale de la communication sociale**, les édition d'organisation,Paris, 1981.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة.....أ–ز

الفصل الأوّل: علم الاتّصال: دراسة في الأسس والمفاهيم.....**1–46**

1. **مفهوم الاتّصال**.....**3**
2. **الاتّصال عند العرب**.....**4**
3. **الألفاظ الدّالة على معنى الاتّصال أو الإعلام في القرآن الكريم**.....**8**
4. **الفرق بين الاتّصال والتّواصل**.....**12**
5. **عناصر العملية الاتّصالية**.....**16**
6. **أهداف الاتّصال ووظائفه**.....**26**
7. **أنواع الاتّصال**.....**28**
8. **بعض النماذج المشهورة لعملية الاتّصال**.....**37**
9. **الاتّصال في اللّسانيات الحديثة**.....**39**
10. **تقنية الاتّصال عند شانون و ويفر**.....**44**

الفصل الثّاني: الإقناع: استراتجياته وأساليبه **47–107**

1. **مفهوم الإقناع**.....**48**
2. **استراتيجيات الإقناع**.....**50**

1.2 – **الاستراتيجية الدّينامية النّفسية**.....**50**

2.2 – **الاستراتيجية الثّقافية الاجتماعية**.....**53**

3.2 – **استراتجية إنشاء المعاني**.....**56**

3. **أساليب الإقناع ما بين الخطاب الإنساني والخطاب القرآني**.....**60**

1.3– **البلاغة ومكانتها في الإقناع**.....**61**

أ. **مفهوم البلاغة**.....**62**

ب. **البلاغة في القرآن**.....**65**

2.3– **الأسلوب**.....**67**

أ. **مفهوم الأسلوب**.....**67**

ب. أسلوب التكرار.....**68**

ج. أسلوب التوكيد.....**69**

د. **أسلوب الاستفهام**.....**71**

ه. **أسلوب القصص**.....**75**

و. **أسلوب التمثيل**.....**76**

3.3– **الحوار والجدل**.....**79**

أ. مفهوم الحوار..... 80
ب. منطلقات الحوار وموضوعاته وأهدافه..... 82
ج. مفهوم الجدل..... 86
د. ألفاظ مرادفة للجدل..... 87
ه. الجدل في القرآن الكريم..... 88
و. الفرق بين الحوار والجدل 90
4.3- الحجاج..... 92
5.3- الاستدلال المنطقي..... 94
أ. الاستنتاج..... 94
ب. القياس..... 94
- القياس المضمر..... 95
- قياس الخلف..... 95
ج. الاستقراء..... 96

الفصل الثالث: البلاغة وأساليبها الإقناعية في سورة يوسف 108-200

1. الحوار في سورة يوسف وفعاليته الإقناعية..... 110
2. الأسلوب..... 118

أ. **أسلوب التوكيد**..... 118
أ.1 التوكيد الذي جاء في بداية السّورة..... 118
أ.2 توكيد يوسف رؤياه لأبيه..... 120
أ.3 توكيد يعقوب ليوسف على كيد إخوته 121
أ.4 التوكيد الوارد في أقوال إخوة يوسف..... 122
❖ التّوكيد الذي وقع في حديثهم مع بعضهم البعض..... 122
❖ – التوكيد باللاّم في بداية السّورة..... 122
– التّوكيد بـ (إنّ و اللاّم)..... 122
توكيدهم لأبيهم..... 123
– التوكيد بـ (إنّ و اللاّم) 123
– التوكيد بـ (إنّ) 125
– التوكيد بـ (ما) النّافية وحرف الجرّ الزّائد..... 127
– التوكيد بالقسم..... 127
❖ توكيدهم ليوسف..... 129

ب. **التّكرار في سورة يوسف**..... 132

ج. **أسلوب الاستفهام**..... 153
ج.1 استفهام اخوة يوسف لوالدهم..... 154
ج.2استفهام امرأة العزيز لزوجها..... 156
ج.3 استفهام يوسف –عليه السّلام– للسّجينين..... 158
ج.4 استفهام يوسف لإخوته..... 160

ج.5 استفهام يعقوب –عليه السّلام– لأبنائه..... 160
ج.6 استفهام كبير إخوة يوسف لإخوته..... 164
ج.7 استفهام يوسف لإخوته عن جريمتهم..... 165
د. الإضمار (الإيجاز بالحذف) 171
هـ. النّظم اللّغوي والتّناسق الفنّي..... 182
هـ.1 التّمهيد للقصّة..... 183
هـ.2 الحروف المقطّعة..... 184
هـ.3 الفواصل والتّعقيبات..... 185
هـ.4 التّقابلات..... 191
هـ.5 فواصل الآيات..... 196
هـ.6 حسن استعمال الألفاظ وجمالية التّعبير..... 196
هـ.7 جمالية البناء القصصي..... 199

الفصل الرابع: الاستدلال والمحاججة في سورة يوسف 201-253

1. حجاج إخوة يوسف لأبيهم..... 202
2. الاستدلال والمحاججة في قضيّة المراودة..... 214
3. حجاج امرأة العزيز لنسوة المدينة..... 233
4. الاستدلال في الدّعوة إلى الله..... 238
5. المحاججة لإثبات براءة يوسف..... 242
6. حجّة يوسف للإبقاء على أخيه..... 248

خاتمة 254

ملحق 258

1- نصّ سّورة يوسف..... 259
2- في رحاب سّورة يوسف..... 268..
أ- التّعريف بها..... 268
ب- أسباب نزولها..... 269
ج – ملخّص القصّة..... 270

المصادر والمراجع 272

فهرس الموضوعات 283

الملخص
تتمحور الرسالة الموسومة بأساليب الإقناع في سورة يوسف من أربعة فصول تطرّقت في بدايتهه إلى تحديد مفهوم الاتّصال لغة و اصطلاحا، من خلال تعاريف علماء اللّغة و الاتصال و علم الاجتماع ، و علم النّفس...، ثم تعرّضت لمفهوم الاتّصال عند العلماء و الباحثين العرب قديما و حديثا، كمفهومه عند الجاحظ و ابن خلدون و السّيوطي و غيرهم .و عرّجت بعد ذلك إلى تحديد بعض الألفاظ التي جاءت في القرآن الكريم لتدلّ على معنى الاتّصال كالتّبليغ، و التّعارف ، و البيان لانتقل – بعد ذلك – إلى توضيح الفرق و الاختلاف الدّلالي بين مصطلحي الاتّصال و التّواصل و بعد ذلك حاولت التّأسيس للدّراسة التّطبيقيّة على سورة يوسف من خلال الإلمام بمختلف الأساليب الإقناعيّة و الطرق الحجاجيّة و الاستدلالات المنطقيّة الموظّفة سواء في النّصوص القرآنيّة أو النّصوص الأدبيّة بصفة عامّة. وقدمت بعض التّعريفات لعلماء غربيين وعرب. ثم انتقلت إلى عرض استراتجيات الإقناع الثلاث بالشرح والتّحليل والتّمثيل والاستشهاد من القران الكريم وبعد هذا الغرض النّظري ، باشرت الدّراسة التّطبيقيّة التي تعتبر لبَّ البلاغة وأساليبها الإقناعيّة في سورة يوسف و بدأت بدراسة الحوار الذي دار بين شخصيّات قصّتها، نظرا لأهميّته في العمليّة الإقناعيّة إذ يحمل في ثناياه مختلف الطرق الحجاجيّة و الاستدلالات المنطقيّة و الأساليب البلاغيّة كالتكرار و التوكيد و الاستفهام و الإضمار . و أمّا في الفصل الرابع قدمت تعريفا موجزا لكلّ من الاستدلال و المحاججة حتى أوضّح الفرق بينهما .ثم انتقلت إلى عرض بعض الصور الحجاجيّة ، و طرق و أساليب الاستدلال التي اشتملت عليها قصّة يوسف – عليه السّلام -و هي 1:حجاج إخوة يوسف لأبيهم قصد إقناعه بفكرة اصطحاب يوسف معهم2-.الاستدلال و المحاججة في قضية مراودة امرأة العزيز ليوسف عن نفسه 3-.حجاج امرأة العزيز لنسوة المدينة، حتى تردّ كيدهنّ 4-.الاستدلال و الحجاج في الدّعوة إلى الله - سبحانه و تعالى -باختيار الظرف و الموقف المناسبين للتبليغ 5-.المحاججة لإثبات براءة يوسف أمام الملك، و شهادة النّسوة على حسن خلق يوسف و عفّته و اعتراف امرأة العزيز بخطئها ، و صدق يوسف – عليه السّلام 6-. -و أخيرا حجّة يوسف – عليه السّلام – للإبقاء على أخيه

الكلمات المفتاحية:

الاتصال؛ الإقناع؛ الحجاج؛ الحوار؛ الجدل؛ الاستدلال؛ السياق؛ التمثيل؛ الأسلوب؛ التداولية.